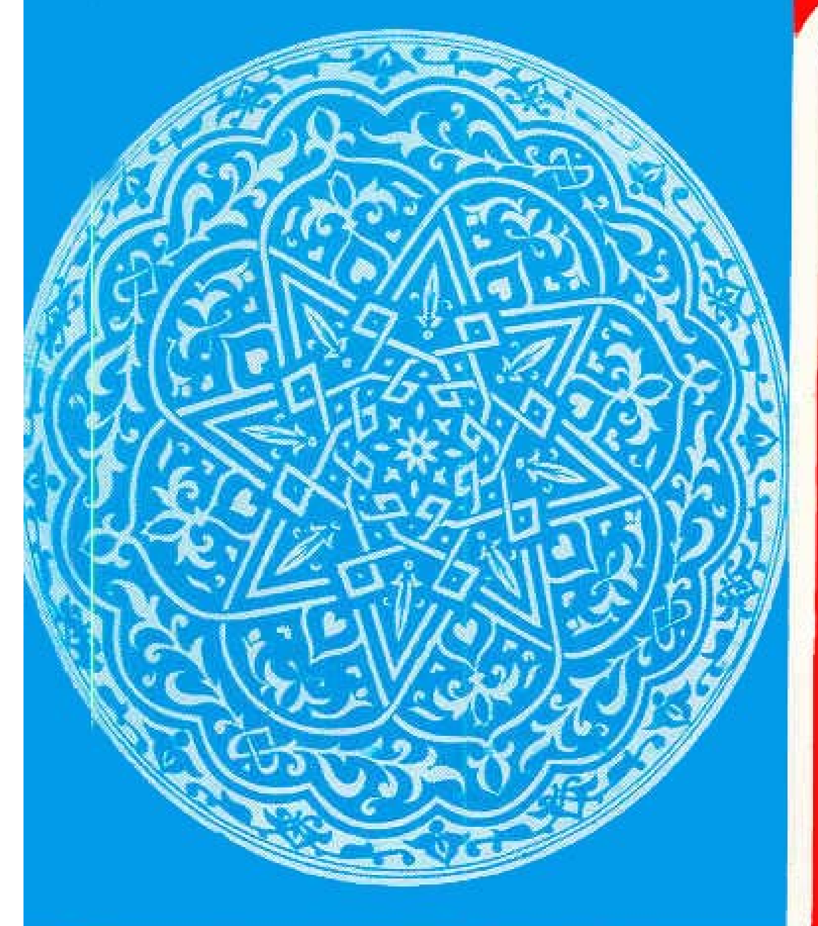
دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية



دور الصحراء المغربية

والتكامل الفكري

من تشويهات التحليل الماركسي

الثقافة الوطنية

العدد العاشر - السنة 18 • ذو الحجة 1397 - نونبر - دجنبر 1977 • ثمن العدد 3 دراهم

العدد التاسع
السنة الثامنة عشرة
شوال 1397
أكتوبر 1977
ثمن العدد 3 دراهم

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد العاشر
السنة الثامنة عشرة
ذو الحجة 1397
نونبر - دجنبر 1977
ثمن العدد: 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 · 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55
à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الإفتتاحية:

المؤامرة ضد الإسلام مستمرة..

●● التاكيد على استمرار المؤامرة ضد الاسلام ليس وليد الظروف الراهنة التي تحيط بالعالم الاسلامي وتطبع شعوبه بطابع القلق والفزع وعدم الاستقرار على حال ، ولكنه استنتاج منطقي دقيـــق للتطــورات السياسية والفكرية التي يموج بها العالم المعاصر .

ان الركون الى هذا التاكيد خلق حالة من الذهول وانعدام القدرة على التحرك فى الاتجاه السليم نحو الخروج من دائرة المؤامرة ، ولكأنما اصيب العقل الاسلامي بنوع من التخدير افقده الرؤية الصحيحة والتحليل الواعي والقرار الحاسم، فبقى جامدا عند السؤال الذي طرحه شكيب أرسلان منذ نصف قرن أو يزيد: ((لماذا تاخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟)) وذلك بالرغم من تعدد الاجوبة التي اتخذت شكل ركام فكـــري ضخــم استنزف طاقات عقلية جبارة وجهودا مضنية مرهقة .

لقد مضى تلثا قرن على المسلمين وهم يتبادلون التهم ويتنابذون بالالقاب ، ويمكرون ببعضهم البعض ، مفسحين المجال امـــام جحافــل الالحاد والتغريب والغزو الفكري والتغلغل الاقتصـــادي الرهيـــب . وتعاقبت عدة أجيال تحمل شعاراً واحداً يختلف شكلا ويتفق مضمونا : ((الاسلام فى خطر)) .. اطلق الشعار اولا فى عهد التبشير المسيحي ، وردد ابان انتشار الوجودية والفكر الفوضوي ، وها هو اليوم يرفع مـــن جديد فى الوقت الذي يتصاعد فيه المد الماركسي الشيوعي فى البلاد الاسلامية دون أن تختلف أداة العمل . هذا فى حالة ما اذا كان هناك عمل حقيقي ومجد يبذل بصدق واقتناع .

ونتج عن هذا الموقف تضخم في قاموس المصطلحات العربية من مثل : « يجب أن نتصدى للالحاد » ، « ينبغي أن نحارب الكفر » ، « يلزم ان نقارع الحجة بالحجة » ، « لا مناص لنا من مواجهة المذاهب الهدامة » ، « انهم يحاربون الاسلام في عقر داره » ، « مقاومة الغارة على العالم الاسلامي » . واستغرق ذلك جل اهتمامات المفكرين والكتاب والعلماء ، وكل من يمت للدعوة الاسلامية بصلة ، في حين اشتدت ضربات العدو ، وتفاقم خطره ، واتسعت رقعة الاكتساح ، فبقدر ما كان يتراجع المدفع مهزوما مغلوبا ، كان يتقدم الغزو الفكري ليحتل مساحة اكبر في العقل والوجدان ، وكأنما كان هناك تبادل لمواقع الاحتلال مما جعل النتيجة في نهاية المطاف استبدال استعمار بآخر .

والآن تبدلت الآية نهائيا ، واتخذت المؤامرة شكلا جديدا مغايرا لما كان عليه الوضع من قبل . وهكذا تحالف المدفع مع الفكر في غارة جديدة اشرس واعنف من الاولى التي كشف خيوطها محب الدين الخطيب في كتابه المشهور في مستهل هذا القرن ...

● ولناخذ المثال من واقعنا المغربي :

لقد وجد المغرب نفسه غداة حصوله على الاستقلال مقحما في خضم الصراعات المذهبية ومدفوعا بحكم الضغوط الى مواجهة تيارات فكرية وسياسية متعددة في الوقت الذي كان عليه ان يجند كل طاقاته لمعركة البناء الاقتصادي والتغيير الاجتماعي حتى يعطي للاستقلال مضمونه الحقيقي . وقد استنزفت هذه المواجهة من المغرب طاقات وجهودا كان احرى بها ان تصرف في وجوه اخرى . ولكنها ضريبة الاصالة ورفض التبعية ، فكان أن تصاعدت الحملات العدائية بطرق مختلفة ، تجمعت في النهاية في صورة التحدي الاستعماري الوقح بجنوب المملكة .. وهنا حل السلاح محل الفكر والدعوة والنشاطات السياسية المريبة ، بمعنى ان المواجهة أصبحت مباشرة : فهذه قوة دولية رهيبة تحمل السلاح في وجه المغرب لتقويض بنيانه، لا دفاعا عن الاسطورة السياسية التي تسمى « بالشعب الصحراوي » ، ولا انحيازا الى جانب الحق الانساني كما يحلو لفقهاء السياسة الدولية في بعض الاحايين ان يفسروا به ما حدث ، ولكن انتقاما من المغرب الذي يحتضن الدعوة الاسلامية ويحمل لواء البعث الاسلامي ، ويفتتح قائده خطبه وتصريحاته وكلماته واحاديثه الصحافية بالآيات القرءانية والآحاديث النبوية ، ويربط بين الدين والسياسة ، وبين الاقتصاد والشريعة ، وبين التكنولوجيا والفقه .

الضربة — اذن — موجهة أساسا الى قلب المغرب ، اي الى المس بالعقيدة الدينية وبكل مظاهر التحضر والاصالة التي تميز الشخصية المغربية . وتلك هي الصورة الحقيقية لما جرى ويجري اليوم في المنطقة .

ولقد وفق جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الى اختصار هذه المعاني جميعها في عبارة واحدة حينما قال حفظه الله في ندوته الصحافية الاخيرة: ان ما بيننا وبين الجزائر صراع ايديولوجي في الصميم ..

● نخلص من هذا الى ان الايديولوجية المسلحة أهم مظهر من مظاهر الصراع فى العالم الحديث ...

الاسلام – الآن – يواجه بحرب ضروس بالمعنى الكامل للكلمة ... أفتك الاسلحة تستخدم ضد الشعوب الاسلامية والانظمة الاصيلة الممثلة حق التمثيل لشعوبها ... لقد دخلنا عصرا جديدا أبرز مميزاته العداء للاصالة فى جميع اشكالها .. عقيدة كانت أم نظاما أم سلوكا أم منهجا فكريا ...

ولعله من العبث – الذي نربأ بانفسنا عنه – أن نواجه كل هذا الخطر الكاسح بوسائل وعقلية متخلفة تعتمد التشخيص بديلا عن العلاج ...

اننا لم نخرج بعد من مرحلة الغيبوبة والذهول من هول الصدمة ..

لقد مضى علينا ثلثا قرن ونحن منهمكون فى وصف أعراض الداء وكتابة الوصفات الطبية حتى بلغت ركاما من الورق الذي لا يجدي نفعا ..

دعوة الحق

دعوة الى المحققين والمهتمين بالتراث العربي

●● يوجه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية انظار الاساتذة والمحققين والمهتمين بدراسة التراث العربي الى انه يزمع اصدار كتاب يحتوي على أسماء الباحثين والعلماء الذين يعملون فى هذا المجال من العرب والمستشرقين ، وذلك لتعميم الفائدة بمعرفتهم ، وزيادة الروابط العلمية بينهم .

والمعهد يرجو هؤلاء السادة أن يتفضلوا فيقدموا الي المعهد البيانات الآتية :

1) الاسم كاملا .

2) العمل الحالي .

3) الدرجة العلمية أو الدرجات والجهات التي حصل عليها منها ، وتاريخ حصوله عليها .

4) العنوان كاملا .

5) الكتب التي حققها وأخرجها أو شارك فيها (عناوينها وعدد صفحاتها وسنة صدورها) .

6) المؤلفات التي اخرجها سواء كانت فى التراث أو غيره (عناوينها وعدد صفحاتها وسنة صدورها) .

7) اية معلومات اخرى يرغب فى اضافتها .

ويرجو المعهد ارسال هذه المعلومات فى أقرب فرصة ممكنة الى : (مدير معهد المخطوطات ، مبنى جامعة الدول العربية ـ ميدان التحرير ـ القاهرة ج. م. ع.) .

دراســـات اســـلامـيـــة

- الفتنة أشد حملة يتعرض لها المسلمون
- موالاة الاعداء
- في الالحاد والكسل الفكري



من موضوعات
العدد الأول . السنة ١٩

- منهجية التعليم في الاسلام
للأستاذ محمد المنوني
- صورة جده (قصة) للأستاذ عبد المجيد ابن جلون
- من مظاهر الوحدة العربية الاسلامية
للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- ظاهرة التمرد الفكري
للأستاذ عبد العلي الوزاني
- دراسات في الادب المغربي
للأستاذ عبد الكريم التواتي
- اتصال المغرب بالمشرق
للأستاذ الحاج أحمد معنينو
- الحنفية والحنفاء .. للأستاذ إسماعيل الخطيب

الفتنة

أخطر حملة يتعرض لها المسلمون

للأستاذ محمد العربي الزكاري

> أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين « قرآن كريم »

مقدمة لا بد منها

بمجرد ما يرن فى الاذن طنين « الفتنة » تنطلق من المخ صفارة الانذار لجميع الاجهزة فى الانسان، فتستعد الحواس تلقائيا للدفاع عن النفس بكل الوسائل وجميع الامكانيات، باعتبار الفتنة عنوان الشؤم ونذير الفوضى، أن لم تكن رسول الدمار والخراب، « **والفتنة اشد من القتل** » كما وصفها كتاب الله العزيز.

والمؤمن فى حياته الخاصة والعامة عرضة لها، كما ان الشعوب والحكومات تتحمل النصيب الاكبر من ويلاتها ومضاعفاتها، سواء اخمدتها فى مهدها، أم خاضت معركة ضارية للقضاء عليها، ولعل أكثرية المشاكل والمصائب التي تعاني منها البشرية الامرين مصدرها عند التحليل العميق فتنة أصحاب المطامع والاهواء الذين لا يتطلعون دائما الا لتحقيق أحلامهم على حساب الآخرين.

وصراع الانسان ضد الفتنة فى جميع مظاهرها يتخذ اشكالا والوانا، تقل وتكثر، وتضعف وتقوى، تبعا لرصيد الخير فى الفرد، وانطلاقا من وعي الامة، وانبعاثا من الحذر وسرعة التدخل من لدن المسئولين.

مفهوم الفتنة

والفتنة فى مفهومها ومنطوقها تشمل عدة ميادين يصول ويجول ابليس وجنوده فيها صولات شيطانية وجولات جهنمية، بحكم توفره على انواع شتى من الحيل والخداع، وامتلاكه للكثير من أساليب المكر والبدع، وبما يتوفر عليه من أساليب الكذب والبهتان والتضليل، التي تحدث البلبلة فى

صفوف الافراد والمجتمعات والدول ، فهي قبل كل شيء وبعد كل شيء أساس كل محنة ، وبؤرة تفريخ الشكوى فى العقول والاضطرابات فى الشعوب .

الامتحـــــــان

وعندي ان الفتنة ليست الا امتحانـــا من الله تعالى للمؤمنين ليختبروا بأنفسم مدى عمق ايمانهم ، **« احسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهـــم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمـــن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »** .

ومن جانب آخر تكون كشفا للغطاء عن المنافقين وتقديمهم للناس على حقيقتهم البشعـــة وسلوكهـــم الخبيث طبقا للوصف الالهي فى قولـــه تعالـــى : **« ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئـــا ، اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهـــم فى الدنيا خزي ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »** .

ولايـــة اللـــه للمؤمنيـــن

والمؤمن عرضة للفتنة أينما توجه وحيثما نزل، حتى يظل قلبه يقظا كل اليقظة ومتحفزا بايمانه لقهر وسوسة الشيطان أثناء السعي فى كسب معاشـــه والحياة داخل بيته وبين اسرتـــه « انما أموالكـــم واولادكـــم فتنـــة » .

فبقدر ما للمال من منافع اذا كان الكسب من طرقه الشرعية وانفاقه فيما أحله الله من الطيبات ، بقدر ما يكون شؤما ووبالا على صاحبه ان جمعه من حرام وانفقه فى الحرام ، والاولاد نعمة كبـــرى ان حرص الفرد على تهذيبهم وتعميق الايمان فى قلوبهم ، والا انقلبوا مثار قلق دائم وحزن مستمر وخسران مبيـــن على أنفسهـــم وأسرهـــم ومجتمعهـــم **« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون »** .

فالمسألة هنا تنحصر فى شيء واحد ، هو ان يكون المسلم وليا لله فى تصرفاته وأفعاله ومواقفه ، بحيث لا يعمل الا داخل نطاق التعاليم الربانيـــة ولا يسير الا على ضوء الهداية المحمدية ، فهما الوسيلة الوحيدة التي لا نصب فيها ولا عناء الى رضوان الله، وهذا النوع من البشر لا سبيل للفتنة الى قلوبهم ، ولا سيطرة للمفسدين على أفكارهم ، بدليل قوله تعالى **« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحيـــاة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيـــم »** .

يقظـــة الشعـــوب

اما عندما تتعرض الشعوب لوباء الفتنة فهناك تكمن الطامة الكبرى اذا لم تكن تلك الشعوب واعيـــة كل الوعي ومدركة الادراك التام لما يراد بها ويحاك فى الخفاء ضدها ، واذا اطلقنا كلمة « الشعوب » فنعني بها المسلمة بوجه خاص ، فهي التي تعنينا فى هـــذا البحث الذي نرمي منه الى ازاحة الستار عن اولئك المندسين فى الصفوف لاجل تخريب العقول ، واماطة اللثام عن الفئة الضالة التي تسعى فى الارض فسادا، حتى يكون المسلمون على حذر من دعاة الفتنة تمشيا مع تحذير الله لاوليائه « **يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » .

الفتنة فى بدء الدعوة الاسلامية

ولا احد يجهل ما يتعرض له الاسلام من حملات مجنونة ، وما يدبر للمسلمين من مكائد خبيثة ، لبلبلة افكارهم ، وزعزعة عقيدتهم ، ونسف قيمهم ، وبث روح العداوة والبغضاء بينهم ، لا لشيء سوى العداوة التقليدية التي لا تزال مع الاسف دفينة فى القلوب ، وللرغبة فى اضعاف المسلمين لاستغلالهـــم ابشـــع استغـــلال .

على ان الفتنة التي عرفها المسلمون فى بـــدء الدعوة المحمدية كانت فتنة علنيـــة بيـــن الشـــرك والتوحيد ، وصراعا بين رسول الله وأتباعه وبيـــن اعداء الملة والدين ، فهي من هذه الوجهة لم تكـــن خطيرة بالمقارنة مع الحرب الخفيـــة التـــي يعمـــل مدبروها فى الظلام ووراء شعارات براقة ظاهرهـــا الرحمة وباطنها العذاب .

وما من شك ولا ريب ان الاعداء التقليديـــين للاسلام ومن لف لفهم فكروا وقدروا وخططوا ودبروا، فكانت حصيلة مكرهم الخطير أن اتخذوا من بعـــض الذين غرهم الشيطان وخدعهم السراب مطايا لحملاتهم

على المسلمين ، وبراذين لتنفيذ مخططاتهم على مراحل وفترات « **ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من افواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر** » .

مخطط مرعب

والحقيقة ان اعداء الاسلام اليوم اقتنعوا بأن لا سبيل للقضاء على الروح المعنوية العالية والحصانة العميقة عند المسلمين المستمدة من القرءان الكريم، وادركوا أن هذا الكتاب المقدس قد استعصت محاربته على دهاقنتهم ، رغم ما بذلوه من جهود مضنية وما رصدوه لذلك من أموال باهضة على مر العصور والاجيال « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » واستخلصوا من تجاربهم السابقة والحديثة أن الحل الوحيد هو « فتنة » المسلمين بكل الوسائل وعلى جميع المستويات ، حتى اذا ما تسربت ميكروبات الخداع ودخلت جراثيم البلبلة الى الادمغة تمهد الطريق وانفسح المجال امام الطامعين الذين يحركون الدمى من الوراء ، ومن هذه الفكرة الابليسية انطلقت جحافل الشياطين الانسية تعمل لتخريب العقول في بقاع الدنيا مستخدمة في سبيل غايتها الدنيئة كل أنواع التضليل والتشكيك من كتب ونشرات ، وجرائد ومجلات ، ومحافل ومنتديات .

لا خطر على الاسلام

ونحن وان كنا على يقين لا يتزعزع من ان ديننا خالد خلود السماوات والارض ، ونؤمن عميق الايمان بأن لا سبيل للقضاء على الاسلام كدين ارتضاه الله ليكون آخر الاديان ، فلا مناص من الاعتراف بأن خصومه استطاعوا التسرب – ولو جزئيا – الى بعض القلوب المريضة فزعزعوها ، وبعض الفئات المدخولة فاستغلوها مطية لتحقيق أغراضهم والوصول عن طريقها الى اهدافهم القريبة والبعيدة ، مرددين تعليمات من تواطؤوا معهم على الكذب والبهتان « **وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا** » .

كلمة الى الشباب المسلم

وهنا نهيب بشباب الاسلام أن يكون فى طليعة مسيرة دينه الطاهر ، فقد كان زملاؤهم فى الواجهة الامامية للدعوة الاسلامية ، وفى الطليعة التي آمنت بالرسول عليه السلام وهو يعارك الشرك والمشركين، ويناضل فى سبيل التوحيد واعلاء كلمة الدين . فمواقف شباب الاسلام فى صدر الدعوة المحمدية مواقف لامعة نتطلع ان يكون شبابنا مرآة صافية لها ، خصوصا فى وقتنا الحاضر الذي فسح المجال امامهم للاحتكاك بزملائهم عن طريق الرحلات والمؤتمرات والتجمعات فى أطراف الدنيا ، مما يساعدهم على ان يكونوا رسل الهداية وسفراء الاسلام .

سيدنا علي قدوة الشباب

ومثال واحد اقدمه لشبابنا آمل أن يتدبره بامعان ويركز تفكيره فيه ولو لحظة واحدة ، فهو النموذج الحي الذي كان عليه شباب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

هذا المثال الرائع هو سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الذي نام فى سرير النبي عليه السلام وهو يدرك مسبقا أن سيوف فتية من المشركين على اهبة لتمزق جسده ، فبهذا الموقف الشجاع والبطولي ضرب هذا الشاب مثالا رائعا للتضحية والفداء فى سبيل العقيدة الاسلامية ، وخط الطريق امام شباب الاسلام لحماية المبادىء السامية من كيد الكائدين ، ومع عزمه على الفداء تجاه الله وادخره لخدمة الاسلام « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » .

مسئولية الدعاة

اما مسئولية رجال الدعوة الاسلامية فهي ان يكونوا على حذر من تسرب الافكار المسمومة والنظريات الملغومة المستوردة من الشرق او الغرب، وان يعملوا على تسفيه تلك الدعوات المضلة بالحجة والدليل ، ولنا فى كتاب الله وسنة رسوله الرصيد الضخم لتسفيه الافكار التي لا تثبت أمام البرهان ، فهي الوسيلة المجدية والايجابية للقضاء على أوكار الفساد والانحلال وبؤر الالحاد والضلال ، وقد دلت التجربة على ان دعاة الفتنة لا يستطيعون الصمود فى وجه الحق ، ويتهربون من المرشد الحكيم الذي يعرف كيف يصارع الضلال بالهدى ، ويقارع الباطل بالحق « **ان الباطل كان زهوقا** » .

ولا مناص للدعاة من الخروج عن عزلتهم ، بحيث لا يقتصرون على الكتابة والوعظ والارشاد من

بعيد ، بل لا مندوحة من النزول الى الشارع والمقهى وغشيان الاندية والتجمعات للالتحام بالشباب على جميع مستوياته لشرح ما حيره من تساؤلات ، وتفنيد ما علق بذهنه من وسوسة المفسدين ، وهذه الطريقة — فيما اعتقد — ناجعة ومجدية فى ارشاد الحيارى والوقوف فى وجه مروجي الضلال ، وكلنا يعلم ان خصومنا يكتسحون هذه الميادين وغيرها لبث الشكوك وتفجير قنابلهم المدمرة لنسف العقيدة الاسلامية فى ادمغة جميع الطبقات ، وليس من المنطق ان نترك الميدان فارغا أمام الزيغ والالحاد ، بل لا بد من ان نؤكد حضور الاسلام فى كل وقت وحين ، وبذلك نقطع الطريق على كل افاك أثيم .

وسيقول البعض ان المفسدين يمولون من جهات مختصة للتفرغ فى العمل داخل هذا الميدان، ودعاتنا اكثرهم من المتطوعين فى سبيل الله ، والحقل واسع وعريض يحتاج الى المتفرغين للحرث والبذر والسقي .

وهذا القول وجيه من بعض جوانبه ، ولكننا يجب ان نعرف — فى بلدنا على الاقل — ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تتوفر على مديرية للشؤون الاسلامية مختصة فى هذا الميدان ، ولها جهاز قار للتوعية والارشاد ، بمعنى ان لدينا نواة صالحة لهذا العمل الديني الكثير ، ولا يحتاج الامر الا لتوسيع هذا الجهاز من الوعاظ وتلقيحه بعناصر جديدة متنورة وواعية ، وآمل أن تكون من الشباب الموثوق به فى عقيدته ، فقد يستطيع اداء الرسالة على أحسن وجه ، وقد يكون فى متناوله الاحتكاك بالشباب فى اي حي وعلى اي مستوى .

كما ان المغرب ولله الحمد يفتخر بأن لديه رابطة علماء المغرب ، وجمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية ، وغيرهما من المؤسسات الدينية الحرة ، ويتوفر على صحف ومجلات وجرائد دينية ووطنية تعمل جاهدة فى هذا السبيل ، وبتضافر هؤلاء واولئك تشق الدعوة طريقها بعون الله ومدده الذي لا ينقطع عن المؤمنين الصادقين .

واجب المسئولين

اما على الصعيد الرسمي فى العالم الاسلامي ، فلا بد من ان نناقش بعض الحالات فى مجالنا هذا ، ومن الواضح جدا أن الفتنة متى تسربت الى الامة واندست فى صفوف الشعب ، فان الحكومة — أية حكومة — ستكتوى بنارها ، وستحتاج الى كثير من الجهد والعديد من الاجراءات للقضاء عليها ، سواء أكانت فتنة عقائدية أم غيرها من الفتن التي يتخيلها العقل .

ومن هذا المنطق يأتي دورها فى الحفاظ على سلامة مواطنيها من البلبلة الدخيلة على مجتمعها ، وحماية الشعب من دعاة الفتنة التي لم تكن ولن تكون الا نفطا مشتعلا يأتي على الاخضر واليابس .

وهنا تبرز امامنا مشكلة أخرى لا مناص من الاشارة اليها ولو بايجاز ، ذلك أن بعض الحكومات — أو بعض قادتها على الاصح — يكونون هم السبب الرئيسي فى هذه الفتنة بتبنيهم نظرية من النظريات السياسية والاجتماعية التي ما انزل الله بها من سلطان ، ويحاولون فرضها على شعوبهم بالقوة الغاشمة ، رغم انها دخيلة على المحيط الاسلامي وبعيدة كل البعد عن تقاليد المسلمين واعرافهم ، بل الادهى من ذلك ان هذه الفئة تسعى جادة لتصدير تلك الانحرافات الى جيرانها ، والا ناصبتهم العداء ، واظهرت ما كان لديها فى الخفاء ، ولم تخجل من تسخير اجهزة اعلامها للتحريف والهذيان والقذف والبهتان « **وكان الانسان أكثر جدلا** »

وهذه الظاهرة المؤسفة ليست الا فتنة من الفتن التي يتعرض لها الاسلام ، والتي تحتم على الشعوب الاسلامية أن تنتبه اليها وتحذر مصادرها ، وتحاصرها فى كل الطرقات وعلى جميع المنعرجات ، فهي السم الزعاف الذي يريد أعداء الاسلام ان يجرعوه للمسلمين ليشتتوا شملهم ، ويحطموا وحدتهم ، ويبعثروا جهودهم ، ولهؤلاء الذين يسعون فى الارض فسادا نردد ما قاله الله تعالى فى كتابه الحكيم « **أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** » .

الرباط : محمد العربي الزكاري

موالاة الأعداء

للأستاذ حسين أحمد العليمي

عقدت معاهدة الحديبية بين المسلمين وقريش في السنة السادسة للهجرة ، وكانت تقضي بتهادن الطرفين عشر سنين .

وفي السنة الثامنة للهجرة نقضت قريش عهدها مع المسلمين ، حين حرضت حلفاءها من بني بكر على اخذ ثارات قديمة لهم من بني خزاعة حلفاء المسلمين . ولم تكتف قريش فقط بتحريض حلفائها من بني بكر على القتال بل أمدوهم سرا بالرجال والسلاح . فقامت بنو بكر بهجوم مباغت على خزاعة واوقعوا فيهم بعض الخسائر في الارواح والاموال . ولما التجأت خزاعة الى البيت الحرام طاردتهم بنو بكر مصممين على القضاء عليهم غير مكترثين بعهد الحديبية .

عند ذلك راى النبي – صلى الله عليه وسلم – ان ما قامت به قريش من نقض العهد لا مقابل له الا فتح مكة . فأمر المسلمين بالاستعداد للحركة ، وارسل من يخبر قبائل المسلمين خارج المدينة بالاستعداد ايضا ، كما أمر أهله أن يجهزوه . ولكنه لم يخبر احدا بنواياه الحقيقية ولا باتجاه حركته ، بل اخفى هذه النوايا حتى عن أقرب المقربين اليه ، لقد كان صلى الله عليه وسلم يريد أن لا يترك لقريش الفرصة حتى يتجهزوا للقائه . ولئن كان واثقا من قوته ومن نصر الله له ، الا انه كان حريصا أشد الحرص على كتمان امره ، حتى يتمكن من مباغتة قريش في غرة منهم فلا يجدوا له دفعا ، فيسلموا من غير ان تراق الدماء ، ولذلك اصدر اوامره الى المسلمين بالتجهز دون ان يخبر احدا بنواياه الحقيقية .

دخل ابو بكر على ابنته عائشة زوج النبي وهي تهيء جهاز الرسول فقال لها : « اي بنية ; أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه ؟ » قالت : نعم . فسألها ابو بكر : « فأين ترينه يريد ؟» فقالت : « والله لا ادري » .

وهكذا ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفي نواياه حتى استكمل المسلمون استعداداتهم وتجهزوا للحركة ، وعندئذ صرح بانه سائر الى مكة ، وامرهم بالجد والصبر ، ودعا الله ان يأخذ العيون والاخبار عن قريش حتى لا تقف على انباء سير المسلمين الى مكة .

* * *

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يستكملون تجهيزاتهم للحركة ، قدمت الى المدينة امراة من اهل مكة كانت مغنية معروفة عند كل الشباب هناك . وهذه المراة هي « سارة » مولاة ابي عمرو بن صيفي من بني عبد المطلب ، جاءت الى المدينة تلتمس العطاء والكساء ، فلما قدمت على الرسول صلى الله عليه وسلم دار بينهما حديث على النحو التالي :

— أمهاجرة جئت يا سارة ؟
— لا .
— امسلمة جئت ؟
— لا .
— فما جاء بك ؟
— كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة . وقد ذهب الموالي وقتلوا يوم بدر ، وقد احتجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني .
— فأين انت عن شباب أهل مكة ؟
— ما طلب مني شيء من الغناء بعد وقعة بدر .

فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على اعطائها ، فكسوها واعطوها ، فخرجت فى هودجها بما تدر لها من العطاء تقصد مكة عائدة من حيث جاءت .

* * *

وبينما كانت سارة تتهيأ للخروج من المدينة عائدة الى مكة ، أتاها حاطب ابن ابي بلتعة وقال لها : « اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي هذا الكتاب الى أهل مكة » . واعطاها رسالة موجهة الى قريش يقول لهم فيها : « اما بعد ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لأظفره الله بكم ، وانجز له موعده فيكم ، فان الله وليه وناصره » .

فخرجت سارة ومعها كتاب حاطب بعد أن اخفته فى ثنايا ملابسها . ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فاستدعى بعض الفرسان وعلى رأسهم علي بن ابي طالب وامرهم بأن ينطلقوا حتى يلحقوا بالمرأة على مسافة اثنى عشر ميلا من المدينة . وفى ذلك قال لهم : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة (اي امرأة فى هودج) ومعها كتاب من حاطب الى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها » .

فانطلق الفرسان وادركوا امرأة عند المكان الذي حدده لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا لها : « أين الكتاب الذي معك ؟ » فحلفت ما معها كتاب . ففتشوا أمتعتها فلم يجدوا معها كتابا ، فهموا بالرجوع الى المدينة . ولكن عليا — رضي الله عنه وكرم الله وجهه — قال لهم : « والله ما كذبنا ولا كذبنا — يعني بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ليقول لهم الا الصدق ، وقد اخبرهم بأن مع المرأة كتابا ، ومع ذلك فانهم حتى تلك اللحظة لم يقدموا على تكذيب المرأة فيما قالته لهم من ان ليس معها كتاب .

ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليعطي اصحابه الذين ارسلهم الا كل معلومات صادقة ودقيقة . فوجب اذن أن تكون هذه المرأة هي الكاذبة . وهنا استل على سيفه وقال للمرأة : « اخرجي الكتاب ، والا فو الله لاجردنك ولاضربن عنقك » . فلما رأت منه الجد والحسم اخرجت الكتاب ودفعته اليه . فخلوا سبيلها ، وعادوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

كان حاطب بن ابي بلتعة من أهل اليمن . وقد هاجر الى المدينة فرارا بدينه مع المسلمين ، ولم تكن له قرابات من النسب مع قريش الذين ترك فيهم اولاده وارحامه . وكان لبعض المهاجرين قرابات من النسب مع قريش ، فكانت تلك القرابات بمثابة نوع من الحماية النسبية لذويهم واهليهم الذين خلفوهم وراءهم فى مكة . أما حاطب بن ابى بلتعة وأمثاله فمن أين لهم ان يوفروا شيئا من الحماية لاولادهم واهليهم ؟

صحيح أن الدين الجديد اتى بمفاهيم مختلفة فيما يتصل بالاخوة وعلاقات الاهل والموالاة والمصادقة وكل الروابط الاجتماعية ، فيما بين الاب وابنه ، والابن وامه ، والاخ واخيه ، والزوج وزوجته ، فكانت اخوة الايمان مقدمة على اخوة النسب ، وموالاة المسلمين مقدمة على موالاة الاهل والاقرباء ، والقرءان الكريم يؤكد : « انما المؤمنون اخوة » وايضا « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسولهولو كانوا آباءهماو ابناءهم أو اخوانهم او عشيرتهم » ، ويقول : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

وصحيح أن المسلمين المهاجرين كانوا على علم وقناعة بذلك كله ، وصحيح ايضا أن حاطب بن ابى بلتعة كان من الصحابة البارزين وكان ممن اخرجوا مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، الا انه رغم ذلك وقع فى ذلك الموقف الشاذ ، وتعرض لتلك اللحظة التي لا يقاس عليها .

ارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى حاطب ، فلما جاء سأله عن الكتاب ، فاعترف بما اقترف ، فطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيرا لما

فعل ، فقال حاطب : « لا تعجل علي يا رسول الله ، اني كنت امرؤا ملصقا في قريش (أي حليفا لهم وليس منهم) ، وكان ممن معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها اهليهم ، فأحببت اذ فاتني ذلك فيهم من النسب ان أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق » .

لحظة ضعف ، ربما ، والضعف في الانسان ، تذكر فيها حاطب اولاده واهله . ومن اجدر بتوليد مثل تلك اللحظة من الارحام وفلذات الاكباد ؟

ولكن رغم كل الاعتبارات المخففة فقد اخطأ حاطب خطأ كبيرا لا شك في ذلك . وعظم الخطأ انه يأتي من ناحية الموالاة مع الاعداء . فهذا من أكبر الاخطاء ، بل لعله من افدح الخطايا ، مهما كانت الدوافع والمسببات . وربما كان ذلك هو ما دفع عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – لان يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : « دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق » . فهنا كان عمر رضي الله عنه لا يرى غير حجم الخطأ ، بله الخطيئة ، وانه لكبير حقا .

ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يرى اكثر مما يراه عمر . انه يرى الخطأ ، ويرى ضعف الانسان ، ويرى سبق الاسلام وفضل الهجرة ، ويرى غير هذا وذاك مما غاب عن حسبان عمر . ولهذا كان رده على عمر بن الخطاب حين طلب منه الاذن بضرب عنق حاطب ان قال له : « انه قد شهد بدرا ، وما يدريك ، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » .

وفي هذه المناسبة نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير » .

وهكذا نزلت تلك الآيات لتحيط بالقضية من مختلف جوانبها المتعددة . لقد جاءت مؤيدة لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من حاطب حين نزل الخطاب بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا » . ويروى ان حاطبا خر مغشيا عليه من الفرح حين سمع الخطاب بالايمان .

ولكن هذه الآيات جاءت أيضا مؤكدة نهي الله تعالى عن موالاة الاعداء والكفار ايا كانت الروافع والمسببات . فالموالاة معهم محرمة ، بل هي خيانة عظمى للدين وللامة ، وتعريض بهما للخطر . ليس ذلك فقط ، بل انها مخاطرة بالنفس ، لانه لا يعقل حين يتمكن الاعداء ان يقدروا بعين الاعتبار ما قدمه لهم عملاؤهم أو ينظروا اليهم نظرة فيها اقل قدر من الاحترام . وانى لنار العدو ان تميز بين خصم لدود وعميل ودود ؟

وصدق الله العظيم : « ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا او تكفرون » .

* * *

حق علينا جميعا – عربا ومسلمين – ان نتوقف مع انفسنا في زحمة الحياة وسرعة ايقاعها لنسلط الضوء على علاقاتنا بكل ما حولنا ومن حولنا :

هل كل ما نأتي وما ندع متسق في دوافعه وغاياته ونتائجه مع مصلحة الاسلام والعروبة ؟

هل كل ما نأتي وما ندع متسق في دوافعه وغاياته ونتائجه مع مصلحة الاسلام والعروبة ؟

ومع القرءان الكريم ، لغة ، وعقيدة ، وتشريعا ، ومثلا عليا ؟

ومع السنة النبوية المطهرة ، ادبا ، ونورا ، ورحمة ، وجهادا ، وقدوة حسنة ؟

ام اننا في ضعف نفوسنا ، وفي هواننا على الناس وعلى انفسنا ، لا نبالي أن يكون في مواقفنا وفي تصرفاتنا وفي أعمالنا شيء – لعله الكثير – من ممالأة أعدائنا وموالاتهم ؟

ندعو الله ان نكون على الجادة فيما نسر وما نعلن .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

حسين احمد العليمي

في الإلحاد والكسل الفكري: الداء والتشخيص

أحمد بن محمد البورقادي

أرسل الى مجموعة من الشباب في اقسام الباكلوريا باحدى المدن المغربية ، هذه الرسالة ، فقرأتها بتأثر كبير ، وامعان شديد ، لانها رسالة تترجم ما يحيا عليه كل شاب ، وتعبر بصدق عن نفسيته وكوامن صدره ، فاشفقت بالغ الاشفاق على شبابنا وفلذات اكبادنا ، وهم يعانون صراعا مريرا من الشك والقلق ، ويواجهون تساؤلات عريضة لا حصر لها ، فاجبت خدمة لهذا الشباب الحائر ، وطمعا في تجلية شكوكه ، ان ابسط مشاكله ، وأجيب عن استفهاماته بقدر الامكان ، وعلى الله قصد السبيل ..

وفي مقدمة ذلك أعرض عليكم الرسالة بأمانة وكما وردت علي :

« سيدي : هناك سؤال كلما واجهنا القبلة ، وتأملنا الطبيعة الا ونجده يتردد على السنتنا وعقولنا وهو : احقا الله موجود ؟ واذا كان فما هو ؟ أم ان هذه الكلمة اسطورة من جملة الاساطير التي وصلتنا ونسمعها ؟ انه حقا سؤال سخيف ومهم جدا . اننا حقا نشعر بوجود الله ، ويتجلى ذلك في تفكيرنا في هذا السؤال ، فتغمرنا الرهبة واقشعرار البدن . واذا كان هذا الالاه حقيقيا فلماذا نسمع سبه في الطرقات والشوارع من أفواه الصغار والكبار ؟ ولو كان حقا موجودا لانتقم منهم كما ينتقم الانسان من الانسان اذا أساء اليه .

اننا مقتنعون بوجود الله . ولكنه اقتناع غير شاف ، مقتنعون الى الحد الذي جعل الكلمات ترتعش في افواهنا ، وهي تتطاير خائفة من هذه الشكوك والاسئلة التي تراود كل شاب أصبح متصلا ومرتبطا بتيار الفكر الاوربي الذي يتلقاه عن الاساتذة الاوربيين الذين ياتون كمبشرين يطعنون في ديننا ومعتقداتنا ، ونحن نؤمن بأقوالهم وادلتهم السخيفة والقاطعة في نفس الوقت لجهلنا وعدم معرفتنا بديننا.

اننا نسمع من آبائنا ان الله يحب الحق ، يحب العدل ، يحب الخير ، يحب الفضيلة ، يحب كل ما هو صالح لعباده ، ويساعدهم على ذلك ، ولكن نرى العكس اذن : لماذا يتركنا الحق للضلال ؟ لماذا ينتصر الشر فينا على الخير ؟ لماذا تتخلى عنا الفضيلة للخطيئة ؟ قولوا لهذا الشباب الضائع لماذا ؟

لقد قيل لنا : ان الله خلقنا وخلق فينا العقل والارادة : الاول لنميز به بين الشر والخير ، والثاني لنتكل به على انفسنا ، ثم تركنا ليختبر سلوكنا في الحياة ، ليجري لنا امتحانا فمن نجح كان نصيبه الجنة ، ومن رسب كانت له النار . قيل لنا هذا الكلام وحاولنا ان نقتنع به فلم نستطع ، فهب اننا فشلنا في هذا الامتحان ـ وهذه هي الحقيقة ـ فمن المسؤول ؟ المسؤول هي عقولنا الغبية وارادتنا الضعيفة ، وبالتالي فالله هو المسؤول عن رسوبنا في

امتحان السماء ، واذا كان كذلك فكيف عقابنا على جريمة لسنا مسؤولين عنها ؟ كيف نحترق بالنار لذنب لم نجنه ، ولمجرد ان السماء ظلمتنا فكان نصيبنا منها عقلا قاصرا ، وارادة ضعيفة . لا والف مرة لا . لا يمكن ان يكون هذا هو الله ، ان الله ليس فى حاجة الى امتحان الناس .

نعم اننا شباب ضائع فى هاوية من الجهل والبعد عن حقيقة ديننا وبكل ما يتعلق بامر آخرتنا . اننا شباب نتلقى فى صمت عن اساتذتنا ما يقولون ثم نصبه فى قوالب وسطنا ، فيصبح ما تلقيناه شرا وذلك لاننا لم نجد شكيمة تردعنا عن غينا ان صحت الكلمة . فنحن فى الواقع مجني علينا ، نقولها ونحن بريئون من كل ماينسب لنا ، ولسنا مسؤولين اذا خرجنا عن ديننا ، واتبعنا دينا آخر . اننا نستحق الرحمة ، نستحق الشفقة من الوعاظ والمرشدين ، واصحاب الدين عوض السخط .

قولوا لنا هل نحن المسؤولون عما نتخبط فيه، ولماذا يسمح الله لنا بهذا الضرر والشقاء ؟ وهل تتحمل مسؤولية خطئنا وخروجنا عن طريق الله ؟ اننا نتناقض من شدة شكنا واعتقادنا فى حقيقة وجود الله كما رايتم . هذه مأساة الشباب وهي مختصرة ومستتبة على مسرح الحياة ، وقد كثر المتفرجون علينا بدون نتيجة وقل من تأمل وعقل . ان نفوسنا تتعذب امام هذه المشاكل وهي ثابتة فهل من انقاذ ».

انتهت الرسالة ، وادعو كل مسلم مثقف غيور ان يقراها ويعيد قراءتها بامعان ليتعرف من خلال كلماتها الملحاحة على ما تحمله من معان وظلال ، وما تحتويه من ريبة وشك واتهام ، وما تعرضه من مشاكل العقيدة والايمان لدى شبابنا وابنائنا الذين فقدوا المرشد الامين ، والناصح الصدوق ، والموجه البار .

ان تساؤلات الرسالة عريضة ، وعلامات استفهامها مفتوحة ، واصابع ابنائنا تشير بالتهمة فى غير رفق الى كل من يحمل مسؤولية التوجيه والتعليم والتربية والارشاد فى بلدنا ليدركوا خطر المسؤولية، ويكبروا جسامة التبعة الملقاة على كواهلهم ، ويعلموا ان النداء موجه من الابناء لمحاولة الانقاذ ، فلا يمكن والحالة هذه ان يضيع المسؤولون عن توجيه شبابنا هذه الفرصة وهي بيدهم الآن قبل ان تصير غصة فلا يستطيعون الى الانقاذ سبيلا : ها هم ابناؤنا يقولون وبوضوح : نحن فى الواقع مجني علينا ، نقولها ونحن بريئون من كل ما ينسب لنا ، ولسنا مسؤولين اذا خرجنا عن ديننا واتبعنا دينا آخر . اننا نستحق الرحمة نستحق الشفقة من الوعاظ والمرشدين واصحاب الدين عوض السخط .

ان الرسالة عرضت لاهم واخطر المشاكل العقيدية التي يحياها شبابنا الآن ، فهي تتناول قضية الحقيقة الكبرى ، او قضية القضايا التي هي وجود الله فى سؤالها : احقا الله موجود ؟

والسؤال ينبيء عن شك طاغ يساور عقول الشباب وقلوبهم لا يجلوه الا يقين صادق وايمان كامل واقتناع واضح بحقيقة هذا الاله العظيم . ان جلاء هذا الشك لن يتاتى والكتب المقررة لشبابنا فى مناهج الدراسة تزيد هذا الشك غموضا ولبسا ، وذلك كالكتاب المقرر فى مادة الفلسفة مثلا والاطر العارضة لهذه الكتب من الاساتذة والموجهين تعرض هذا الشك فى ثوبه القاتم الكثيف الذي يحجب النور، ويبعد الشباب عن الحقيقة ، ويحول بينهم وبين تلمس الهداية . هذا فى المدرسة فاذا خرج الشباب الى الشارع والطريق سمع ما لم يكن فى الحسبان : سمع سب الملة والدين ، فهو يتساءل فى رسالته : اذا كان هذا الاله حقيقيا فلماذا نسمع سبه فى الطرقات من افواه الصغار والكبار ؟ ان منشأ هذا التجرؤ السافر ، يرجع الى نقص فى تكوين البنية الدينية لدى الفرد المسلم ، من أول وهلة يعرف ويتعلم الى ان يتدرج فى اطوار الحياة ومراحلها ، انه لا يتنسم عبير هذه التربية ولا يتذوقها ولا يتشبع منها لا فى طفولته وبين والديه فى البيت ، ولا فى مدرسته حيث المناهج بعيدة عن هذه التربية ، ولا فى الحياة العلمية حينما يود ان يرى ممارسة فعلية لهذه التربية .

انه فى البيت لا يجد الاب المسلم حقيقة ، ولا الام المؤمنة صدقا ، لا يجد فى البيت المظاهر الاسلامية من صلاة وصوم وزكاة وغيرها ، ولا يجد فيه الاخلاق الاسلامية من صدق وامانة وعزة وبرور. فاذا غادر هذا البيت بكل علله الى المدرسة وجدها مكتظة بكل مادة الا مادة التربية الاسلامية ، فهو لا يلتقي بالاسلام الا مرة واحدة فى الاسبوع ، وانى لساعة واحدة فى الاسبوع ان تشفي غليله من مادة يشعر بكامل النقص والجهل فيها ، وكيف يتاتى للشباب ان يجلس مرة واحدة فى الاسبوع الى مائدة

شهية كمائدة التربية الاسلامية ولون من الطعام الذيذ كهذا اللون ، ويتزود بما يكفي ، ويأخذ من هذه المائدة قوتها ولذاذتها وفيتاميناتها . ان هذا امر عسير وغير ممكن .

ان ساعة واحدة في الاسبوع لن تستطيع ان تخرج الشاب المسلم الذي نريد ، والاطار المسلم الذي يعرف واجبه ويؤديه اينما وجد ، وكيفما كان هذا الاطار كان عالما او طبيبا او محاميا او قاضيا او استاذا جامعيا او موظفا جنديا او صانعا او تاجرا .

ان خلفيات هذا الفقر المدقع في التربية الاسلامية لها نتائجها العكسية على سلوك الناس وحياتهم ، وافعالهم واقوالهم ، وجهلهم بهذه التربية يؤدي بهم الى معاداتها والتنكر لها وبالتالي الى سب الملة والدين ، وقد قيل من جهل شيئا عاداه .

وهذا كفر بالنعمة ، وعصيان لله ، وهدم لقيم هذا الدين ومبادئه ، وغمط للبناء الشامخ الذي بناه السلف ووضع المحافظة عليه امانة في عنق هذا الخلف ، فاستهتر هذا الخلف بها ، وسمع مقدسات الدين تسب ، ورآها تهان ، فلم ينه عن منكر ، ولم يرفع عقيرته بالشكوى ولم يتغير حتى قلبه لها ، ومر بها وكأن الامر لا يعنيه .

وتساءلت الرسالة لماذا لاينتقم الالاه من هؤلاء كما ينتقم الانسان من اخيه اذا اساء اليه .

ان الانسان اذا اسيء اليه فانتقم فهو محتاج لا يستغني عن الانتقام لتركيز بشريته ، ولارجاع حقه ، والانتصاف من الظالم الذي اساء اليه ، اما بالنسبة للالاه فلا يقاس بالانسان لوجود الفارق ، لانه سبحانه غني عنا وعن اعمالنا ، لاتضره معصيتنا ، ولا تنفعه طاعتنا ، لا يزيد الانتقام في قدرته ، ولا ينقص العفو من قوته ، بل هو سبحانه يامر الانسان المحتاج الى اخذ حقه ، بالصبر والسماح في قوله تعالى : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . فاذا كان هو يامر بالصبر في حالة توجب الحقوق ، فكيف به تعالى وهو الغني المطلق الواسع الرحمة والمغفرة .

لكن ليس معنى هذا ان الله في غفلة عن افعال الظلمة ، قال تعالى : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء » .

ان الله شديد الغيرة على محارمه ، ويمهل الظالم ولكنه لا يمهله ، ففي الحديث المتفق عليه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى يغار وغيرة الله ان ياتي المرء ما حرم الله عليه .

وعن ابن موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم فاذا اخذه لم يفلته ، ثم قرا : (وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد) متفق عليه .

ان الله رحمة بنا لا يعاملنا كما نعامله ، ولا يواخذنا على كثير مما نجنيه وما يدريك ان ما يحل بنا من مصائب وويلات هو نتيجة لما نقترفه في حقه من موبقات ، وما نجاهر الله به من عصيان : « فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » . قال تعالى في سورة الشورى: « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

ثم ان الرسالة تؤكد ان كاتبيها من الشباب مقتنعون بوجود الله ، ولكنه اقتناع غير شاف ، وعللت ذلك بأسباب ثلاثة : لوجود الجهل بالدين الذي يعيشون عليه ، وبطغيان التبشير والمبشرين ، وبغزو التيارات الفكرية الملحدة لعقولهم وقلوبهم ، وسنعالج كل واحد من هذه الاسباب على حدة وباختصار .

فبالنسبة للتعليل الاول : فقد قدمت ان ضآلة المادة الدينية في المدارس والمعاهد والكليات ، وضحالة منهجها ، وضعف الاطار الذي يدرسها وعدم اقبال التلاميذ عليها ، وعدم اعتبارها كمادة اساسية لها وزنها في الامتحانات والاختبارات ، كل ذلك يجعل منها مادة لا تفي بالفرض المقصود منها ، وتجعل التلاميذ والطلاب ينفرون من الحضور في حصتها ، ولذلك نهيب بالمسؤولين عن المناهج ان يعيروا هذه المادة ما تستحقه من العناية ، ويعطوها الاعتبار اللازم ، وفي ذلك ضمان للتوجيه الاسلامي الهادف ، واطمئنان على عقيدة أولادنا وشبابنا ، فهم

كما قالت الرسالة : شباب ضائع فى هاوية من الجهل والبعد عن حقيقة الدين وبكل ما يتعلق بأمر الآخرة .

اما بالنسبة للتبشير والمبشرين : فان المسالة معادة مكرورة ، قد تناولها الكثير بالبحث والنقد والتوجيه ، والذي يمكن ان يضاف هنا : هو ان ما يهمنا من عقيدة ابنائنا هو مثله الذي يهمنا من السهر على مطعمهم ومشربهم وملبسهم وشؤون حياتهم ، فاذا كنا أمام هذه الاشياء نجهد انفسنا ، ونحاول جهد الامكان ان نوفر لهم ما يحتاجون اليه من غذاء وغيره ، فان الواجب يفرض اكثر ان نجهد انفسنا اكثر لتوفير الغذاء العلمي السليم ، وتوفير الجو الاسلامي الصالح لتربية أبنائنا على عقيدة صحيحة تصلهم بربهم ، منها يصدرون ، وعليها يغارون ، وفى سبيلها يضحون .

وايضا يجب أن تكون قيمة العقيدة فى نظرنا وشعورنا واعمالنا أكبر من قيمة اي شيء ، آخر فى الحياة ولو كان الدرهم والدنيا فلا يعقل فى نظرنا ان الانسان المسلم يثور ويغضب ، وتقوم قيامته اذا مس فى عرضه أو درهمه وديناره ، ولا يثور ولا يغضب اذا مس فى عقيدته ودينه ، او عقيدة ابنائه ودينهم . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه ولكنه كان يغضب لربه اذا انتهكت حرمات الدين . وقضية أسامة وشفاعته للشريفة المخزومية وجواب الرسول صلى الله عليه وسلم عليها بقوله : انما اهلك من كان قبلكم كان اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الوضيع اقاموا عليه الحد ، والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها او كما قال صلى الله عليه وسلم — دليل على ذلك وتأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى غضبه لله يجب علينا نحن كذلك ، ان نغضب لله اذا مست عقيدتنا وعقيدة ابنائنا بسوء .
ان كثيرا من السموم ينفثها هؤلاء المبشرون الاوربيون ، ومن والاهم وسار على سنتهم من المتنطعين ، يريدون بذلك ان ينالوا من هذه العقيدة ، ويشككوا الشباب فيها ، ويحملوهم على غير طريقها ، والآباء وغيرهم من المسؤولين على الابناء فى غفلة عن هذا وامثاله ، افلا ننتظر بعد هذه الغفلة تهويدا وتنصيرا وتمجيسا ، وشيوعية والحادا ، وتفسخا وانحلالا . أفلا ناخذ الامر بجد ؟ ونعد له عدته قبل ان نفاجأ ونندم ، ولات حين مندم . انه لن يتأتى توفير عقيدة ثابتة صحيحة للابناء الا اذا استأصلنا جذور الشر ، ونحينا الطفيليات وما علق من الشوائب فى راض هذه العقيدة وهيأنا المناخ الصالح لها ، وغرسنا بذورها حتى تنمو شجرتها مباركة طيبة ، وينعقد عليها قلب أبنائنا ، فاذا هي شجرة وارفة الظلال ، اصلها ثابت وفرعها فى السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها .

وما هذه الجذور الشريرة ، وهذه الطفيليات الدخيلة الا أصوات نشاز من هنا وهناك ، وأياد محطمة تمتد ، ومعاول افساد تريد الهدم ، آلت على نفسها ان تنخر وتخرب ، وتنفذ الى قلوب شبابنا بوسائل التضليل تارة ، وبوسائل الاغراء تارة أخرى، (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .

ان نور الله لا يطفأ ولن يطفأ أبدا ، وان صخرة هذا الدين لن توهنها قرون الاوعال الرعاديد ، فهم كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وان زحف العقيدة ليتقدم وهو يغزو القلوب بهديه ، ودون حاجة الى دعوة وتبشير ، ودعاة ومبشرين ، ودون نفقات وميزانيات كما تفعل الكنيسة الآن ، ولا ادل على ذلك من الاحصائيات التي تصلنا — والحمد لله — من المئات من المسيحيين وغيرهم فى بقاع المعمور ، وخصوصا فى اوربا وامريكا وآسيا وافريقيا الذين يعتنقون الاسلام عن طواعية واقتناع .

فلو كان الى جانب هذا المد الالهي الفطري مد من جانب الحكومات الاسلامية ، والهيئات العلمية، والجمعيات المؤمنة وذوي الغيرة من المسلمين لكان لذلك اثره وفعله ، خصوصا وانا الآن بحاجة الى تكثير القوى الاسلامية والسواد المسلم ، والاستفادة من الطاقات المؤمنة ، وتقوية الصف الاسلامي ، وتزويد الواجهات الاسلامية فى كل مكان بما يدرأ عنها خطر الاعداء وهم كثيرون .

ومن ثم انبه الى انه اذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استغنى عن المؤلفة قلوبهم فلم يعطهم بدعوى ان الاسلام فى قوة وغنى عنهم ، فان الحاجة

تدعو الآن : ـ ما دام الاصل مؤصلا فى الدين ولم ينسخ ـ الى اعطاء الزكاة الى المؤلفة قلوبهم ومعنى ذلك : ان نجعل من هذه الزكاة اموالا ترصد للدعوة الى الله ، وتعطى للدعاة المنبثين فى كل قارات الارض ، لينفقوا منها على انفسهم وعلى رحلاتهم ، وتنقلاتهم واقامتهم ، وعلى الكتب الاسلامية التي يوزعونها ، وعلى الافلام الاسلامية التي تبرز وجه المسلمين والاسلام الحق ، وعلى كل ما يحتاجونه للقيام بهذه المهمة الصعبة التي هي مهمة الرسل والانبياء والتي هي امانة فى اعناقنا الى يوم القيامة .

قال تعالى فى سورة آل عمران : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » . وقال تعالى فى سورة التوبة : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

ان آفة التبشير والمبشرين عانى منها العالم الاسلامي الامرين ، وافسدت ولا زالت تفسد على ابنائه عقولهم وقلوبهم ، فلا معنى لان يرتع هؤلاء فى مرتع مؤمن يشهد ان لا اله الا الله ، ويخلى لهم الجو فى مجتمع مسلم يومن بمحمد رسول الله .

ان الواجب يفرض ان ترحل وسائل التبشير ودعاته ، وتقفل كنائسه ونواديه ومكتباته ، ويضم ذلك الى مساجد المسلمين واوقافهم ، وبذلك نامن على اولادنا وفلذات اكبادنا من الغزو المسيحي الذي يطرق دورنا ومنازلنا ، ويؤثر فى عقولنا وعقيدتنا .

اما بالنسبة للنقطة الثالثة وهي غزو التيارات الفكرية الملحدة لعقول الشباب : فان الامر فيها اخطر مما نتوقع ، ذلك ان هذه الوافدات والواردات قد ملأت علينا كل فراغ ، وشغلت كل حيز ، واندست الى كل بيت ، وطغت على كل عقل ، فنتج عن ذلك ذبذبة وزعزعة ، وضعف وتشكك ، ومزاعم وظنون ، وتحد وثورة ، واخيرا تمرد والحاد .

القت هذه الواردات بشبابنا فى منعطفات خطيرة ، ومزالق مهلكة ، وخدر مفعولها العقول والقلوب ، وتردى الشباب بسببها فى مهاوي الحيرة والقلق والتميع والاستلاب ، فاستحكمت المغاليق ، وانسدت الابواب ، وعسر الخلاص .

ان تعداد هذه الواردات لا يحصر ، وكيف يأتى حصرها ، وقد تنوعت أساليبها ، وتشكلت مظاهرها ، وهبطت الى السوق بكثرة موضاتها وازيائها ، فنرى تقليعات للعقيدة واخرى للاخلاق ، وثالثة للحياة الخاصة والعامة ، ورابعة للنساء ، وخامسة للتربية والتعليم ، وسادسة للعلاقات الاجتماعية بين الناس ، وسابعة وثامنة ... وهكذا . لقد نفذت هذه الموضات الى كل مرفق من مرافق حياتنا ، والى كل حالة من احوالنا ، وصرنا لا نعيش او لا نستطيع العيش الا بها .

وفى الصحيح شاهد من ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟

ان الدعوات الهدامة ، والتيارات الكافرة الملحدة التي تتمثل فى الباطنية والبهائية والقاديانية ، وغلاة الشيعة ، والماركسية الشيوعية ، والتعصب الاعمى للمعسكرات الشرقية والغربية ، وموالاة غير الله من اليهود والنصارى ، والتكذيب بالبعث واليوم الآخر ، ونكران الغيبيات التي جاء الاسلام بها من الملائكة والجنة والنار ، والنشر والعرض على الله للجزاء ، والتكذيب بالقصص القرآني وانه من مثيل الاساطير والخزعبلات ، والتخطيط لتكفير الشباب وسلخه عن مقوماته الاصيلة ، والايمان بأن الدين افيون الشعوب ، والتصفيق لقول ماركس ولينين وماو ، والسخرية من اقوال الله ورسوله ، واقبار السنة واحياء البدع التي ما انزل الله بها من سلطان ، وتحكيم غير الله فى التشريع والحكم والقضاء والمعاملة ، وترك الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وطغيان المصالح الخاصة على العامة ، والتكالب على المادة ، وجعلها وثنا معبودا وعجلا له خوار : كل هذا فى نظري من الدعوات التي تهدم جدار الدين لبنة لبنة ، وتفتح ثغرات واسعة فيه ، ينفذ منها الخطر المحدق ، واللهيب المحرق ، اضف الى ذلك ما تتسم به أجهزة الاعلام فى العالم الاسلامي من نقص وقصور ، وسوء تصرف وتوجيه بحيث يزداد الخرق اتساعا بها ، ويزداد الطين بلة بسببها .

ان المفروض فى هذه الاجهزة ان تكون اداة اصلاح وتربية ، ووسيلة توجيه وخلق ، لا معولا من معاول الهدم فى الامة وشبابها .

انه لا يضرنا الهدم والتخريب من عدو الاسلام الخارجي ، بقدر ما يضرنا هذا الهدم من عدوه الداخلي ، من الامة نفسها ، من اجهزتها الداخلية التي تعين عدوها عليها ، وتدله على مواطن الضعف فيها ، وتفتح له الطريق لينال منها .

ان الحصانة الداخلية فى الامة المسلمة ضرورية لبقائها ونموها ، ضرورية لقوتها حتى تستطيع ان تتغلب على عدوها كيفما كان هذا العدو من القوة والبأس ، فاذا تخربت حصونها من الداخل سهل على عدوها ان يهزمها وأن يأخذها على غرة وهي غافلة .

والدواء الناجع للهداية والغلبة هو فى قوله تعالى : « وجعلنا منهم امة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » .

فلقد ذكر العلامة ابن القيم فى زاد المعاد ما يفيد ان الامة لا تتبوأ هذه المرتبة وتتوفر على الائمة الهداة الا بسلاحين هامين وضروريين : الاول : سلاح اليقين لمحاربة الاعداء الداخليين من النفس الامارة بالسوء ، والهوى الضال ، والشيطان المضل ، حتى اذا صلحت الامة فى داخلها وانتفعت بدواء الايمان واليقين ، تصدت لمحاربة العدو الخارجي بالسلاح الثاني وهو الصبر : الصبر على المواجهة ، وثبات القدم عند النزال ، وعدم التولي يوم الزحف .

ان اجهزة الاعلام فى البلاد الاسلامية من اذاعات وصحف وتلفزة وسينما يجب ان تراجع نفسها فيما تقول وما تكتب وما تقدم من افلام ، وتعرض كل ذلك على ميزان الشرع والاخلاق ، فتنبذ ما يجب نبذه ، وتبقي ما وضح صلاحه وبره ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض.

ان المفروض فى المجتمع المسلم أن يفرض رقابته الاسلامية الصارمة على كل ما يقدم ليقرأ او يسمع او يرى ، وتكون لجان المراقبة من ذوي الاختصاص والدراية بالصالح والفاسد ، والحق والباطل ، حتى نأمن على اخلاقنا من الشبهات ، وعلى حياتنا من التعفن والتميع .

اننا سئمنا الاقلام المأجورة ، والاقلام المسمومة ، والاقلام التي تبعث كتابتها الضغائن والاحقاد المدفونة ، وتجر الامة وشبابها الى الضياع ، ضياع الاعمال والاوقات والجهود .

سئمنا افلام الجنس ، والافلام الوحشية ، والافلام الخرافية .

سئمنا البرامج الهزيلة التافهة ، والاغاني الفاحشة السافلة ، والاصوات المنكرة الخاطئة ، والاعمال السلبية الفارغة .

نريد اجهزة اعلام تسد الفراغ ، وتدل على الداء وتقدم الدواء وتقوم الاعوجاج ، وتصلح الفاسد ، وتوجه الضال ، وتعلم الخير ، وتهدي الى البر .

نريد اجهزة اعلام نجلس اليها ولا نحتشم ، ونتحلق حولها ولا نخجل ، ونرفع اليها ابصارنا واسماعنا ونستفيد .

ذلك ما نرجوه من وسائل الاعلام عندنا وذلك ما نعبر عنه باسم شبابنا .

ان هذا غيض من فيض ، ونزر يسير من كثير مما نود ان ننبه فى هذه الكلمات المتواضعات ، ونحن نطرح مشاكل الشباب او بعضا منها على المسؤولين والعلماء والمثقفين ، وذوي الغيرة على هذا الدين ، ليتدارسوها ويحاولوا اعطاء الحلول وانقاذ الشباب من براثن الجهل والقلق والاستلاب .

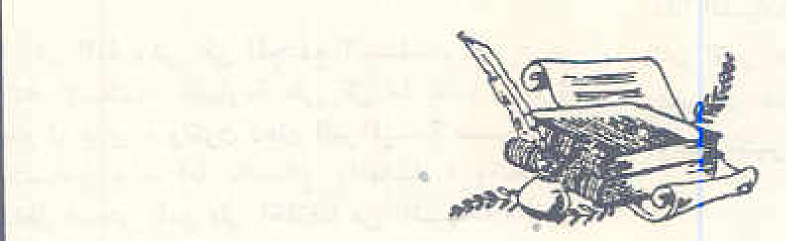
وما جوابي المتواضع عن بعض اسئلة رسالة هذا الشباب ، الا فتح للطريق امام علمائنا الاجلة اذا كان الامر يحتاج لاستفاضة واستيعاب ، والمقام يدعو الى علم غزير ، والاسئلة تحتاج الى جواب اوسع بكثير .

فاس : احمد بن محمد البورقادي

طبعة جديدة من موسوعة "تاريخ الأدب العربي"

● كلفت المنظمة العربية للثقافة عددا من المترجمين العرب ، بنقل كتاب المستشرق الالماني (كارل بروكلمان) (تاريخ الادب العربي) الى اللغة العربية ، وهو كتاب يتالف من ثمانية عشرة جزءا قضى في تأليفه عددا من السنين .

كانت (دار المعارف) قد أصدرت منذ سنوات بضعة أجزاء من هذا الكتاب ، اطلقت عليه اسم (تاريخ الادب العربي) مع انها لم تكن سوى استعراض فهرس لهذا الكتاب يشير الى أماكن وجود المخطوطات وتواريخها .



دراسات مغربية

- القاضى أبو بكر بن العربي (١٥)
- الشيخ القاضى ابو عبد الله ابن عرضون
- الشاعر الوزير محمد ابن موسى: (4)
- الشيخ ابن العتيق العالم الأديب
- دور الصحراء المغربية فى ازدهار الآداب والعلوم



● أعلام الأندلس:

القاضي أبو بكر بن العربي (468 - 543 هـ)

للأستاذ سعيد أعراب

— 10 —

لم يمض قليل على عودة ابن العربي الى وطنه ، حتى تألق نجمه ، وذاع صيته ، وغطى على كثير من مشيخة عصره ! مما دفع ببعض منافسيه الى النيل منه ، والحط من قدره ، فنفروا الناس من الاخــذ عنه ، والسماع عليه ، ورموه بالتزيد والاغراب في احاديثه ورواياته (1) ...

دخل أبو محمد التادلي (2) الى الاندلس للاخذ عن مشايخها ، فهم بالسماع من ابن العربي ، فصده الفقهاء عنه ، واحالوه على ابى بكر بن طاهر راوية ابى علي الغساني . قال ابن الابار : وما أراه سمع منه ، فصحب عياضا ، ولقى ابا القاسم بن بشكوال (3) — وهما من تلاميذ ابن العربي .

ويذكر ابن مسدي (4) في معجمه عن الحافظ ابن الجد وغيره ، ان فقهاء اشبيلية حضروا يومــا بمجلس — وفيهم أبو بكر بن المرخي (5) ، وكان ممن حضر معهم ابو بكر ابن العربي ، فتذاكروا حديــث

---

* آخر حلقة من هذه الدراسة القيمة نشرت في العدد 6 . وسنوالي نشر الحلقات القادمة تباعــا بحول الله . (دعوة الحــق)

(1) انظر الغنيــة — (مخطوط خاص) .

(2) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي الفاسي ، كان عالما متفننا ، فقيها أديبا ، له رسائل واشعار — مع شجاعة وصرامة عرف بها . (ت 597 هـ) . انظر التكملة 2 / 921 — 922 — طبع مصر — وشجرة النور ص 164 ، والاتحاف 4/494 — 495 .

(3) انظــر التكملــة 2 / 921 .

(4) ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسي ،المعروف بابن مسدى ، الامام الحافظ ، من الائمــة المشهورين بالمشرق والمغرب (ت 636 هـ) . لــه (معجــم) — في ثلاثــة مجلــــدات . انظر تذكرة الحفاظ ص 1848 ، والنفح 2 / 112 .

(5) ابو بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن المرخي ، قال فيه ابن الابار : احد رجال الكمال بالاندلس علما وادبا ، وشرفا ومنصبا ، وقال ابن عبد الملك المراكشي : كان محدثا متقــنا ضابطــا . (ت 536 هـ) — انظر بغية الملتمس ص 92 ،والصلة 529 ، والمعجم 137 ، والتكملــة 6 / 3 — طبع مجريط ، والذيل والتكملة 6 / 414 ، والمغــرب 1 / 307 .

المغفر (6) ، فقال ابن المرخي : لا يعرف الا من حديث مالك عن الزهري ، فقال ابن العربي : قد رويته من ثلاث عشرة طريقا غير طريق مالك ؛ فقالوا : افدنا هذا ، فوعدهم ، فلم يات بشيء ، فاقاموا الدنيا واقعدوها ، حتى قال قائلهم في ذلك أبياتا كلها افك وبهتان (7) !

وقد ذهب الناس في هذه القصة مذاهب شتى ، فمنهم من انكرها من أصلها — وفي مقدمتهم الحافظ ابن مسدى .

ومنهم من اثبتها ، وحاول الدفاع عن ابن العربي ، ومن بين هؤلاء — الحافظ الذهبي ، فقد ذكر ان القصة ساذجة ، لا تدل على جرح صحيح ، والشعراء يخلقون الافك ؟ قال : ولعل القاضي ابن العربي وهم ، وسرى فكره الى حديث فظنه (8) هذا ؟!

وظلت قصة ابن العربي مع فقهاء اشبيلية لغزا مغلقا ، لم يهتد احد الى وجه الصواب فيها ، حتى جاء الحافظ ابن حجر ، فاثبت ان القصة صحيحة ، وراويها عدل ثبت ، وان ابن العربي لم يهم ولم يعجز ، وانما الواهم العاجز ، اولئك الذين خطاوه لجهلهم ، وانما ضن بافادتهم ، لانكارهم وتعنتهم ؛ واورد ابن حجر الطرق الثلاث عشرة التي ذكرها ابن العربي وزاد عليها (9) .

ومن الد خصوم ابن العربي ابو بكر الزنجاني ، فقد كان لا يجد فرصة للطعن عليه الا اهتبلها وبنى قبة من حبة ؛ اتفق ذات يوم ان خضر الناس الى الجمعة بالجامع الاعظم باشبيلية ، فتغيب الخطيب لعذر قاهر ، فلم يكن بد من ان يقوم للصلاة قاضي البلد — وهو — اذ ذاك — ابو بكر ابن العربي ؛ وعندما سكت المؤذن ، قام ليخطب — وهو الخطيب الموقع — فلم يجد حرفا من الخطبة ، فارتج عليه ؛ فقال : يا أيها الناس ، قولوا لا اله الا الله ، فقالوها ؛ فقال : روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اذا قال العبد : لا اله الا الله ، اهتز عمود من نور — الحديث . ثم تلا آية الكرسي — الى عليم ، وقال : روينا عن عكرمة وابن عباس انهما قالا : « العروة الوثقى » : لا اله الا الله .

ثم قرا « ان الله يامر بالعدل والاحسان » الآية .

وقال : اذكروا الله يذكركم . فأقيمت الصلاة فصلى .

وما ان انتهى الناس من صلاتهم ، حتى وقف الزنجاني وقال : يا اهل هذا المسجد ، اعيدوا صلاتكم . ولكن ابا بكر بن الجد ، قام على الاثر ، فرد عليه وقال : يا اهل اشبيلية ، ان صلاتكم صحيحة ، وجمعتكم عاملة ؛ وان خطبة امامكم تضمنت آيات من كتاب الله ، وجملا من حديث رسول الله ، واى كلام له بال اعظم من هاذين ، فانصرف الناس عن جمعة (10) .

وقد حملته خصومته لابن العربي على التوجه الى مراكش ، وتحمل اعباء السفر — للسعاية به ، والمطالبة بتنحيته من منصب القضاء ؛ وظل يتردد على البلاط التاشفيني ، حتى ادركه اجله — غريبا عن اهله ، سنة (529 هـ) ، ثم سيق الى اشبيلية ودفن بها (11) .

---

(6) رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب ، عن انس ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر — الحديث . انظر الزرقاني على الموطأ 2 / 327 . والمغفر : ما يغطي الرأس من السلاح ، كالبيضة وشبهها ، من حديد كان او غيره . انظر التمهيد لابن عبد البر — وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والفتح 4 / 131 .

(7) اوردها الذهبي في التذكرة 4 / 1297 والزرقاني في شرحه على الموطأ 2 / 327 ، وعباس بن ابراهيم في الاعلام 3 / 16 .

(8) انظر التذكرة 4 / 1297 .

(9) انظر الفتح 4 / 430 .

(10) انظر بغية الملتمس ص 87 — 88 .

(11) هو أبو بكر محمد بن اسماعيل الزنجاني الفقيه الحافظ ، من اهل اشبيلية ؛ قال في الصلة 549 : (كان فقيها حافظا للراي ، ذاكرا للمسائل ، متفننا فيه ، معظما في بلده) . وانظر المعجم ص 118 والاعلام لعباس بن ابراهيم 4 / 76 .

ولم يكن الزنجاني وحده في الميدان ، فقد كان هناك خصوم كثيرون يعملون في الخفاء ، فلم يلبث ان اثاروا عليه الغوغاء ، فهاجموه في عقر داره ، وكادوا يفتكون به ، لولا ان تستر بحريمه ؛ — كما اومات الى ذلك سابقا (12) .

وكان ابو بكر بن العربي كثيرا ما يرفع عقيرته بالشكوى من حاسديه ، والمتربصين به ؛ (.. الا اني منيت بحسدة لا يفتئون ، ومبتدعة لا يفهمون ؛ قد قعدوا مني مزجر الكلب يبصبصون ، والله اعلم بما يتربصون (13) ؟)

وقد قيل يشقى الحاسدون بسعيهم
الا انما المحسود اشقى وانصب

يريد بي الاعداء ما الله دافع
وفيض المعالي والجلال المهذب

ودون الذي يبغون علم يحفه
خلال لها في المجد سبل ومكسب

وباذل محض الود شيء سمعته
كما جاء في الاخبار عنقاء مغرب(14)

وهكذا عاش ابن العربي غريبا بين قومه ، يشكو الوحشة — وهو في اهله وعشيرته ؛ (حم قدر الله ان عدت الى مسقط راسي فذهب انسي ؛ وصرت غريبا بين قومي ، وقد كنت عريقا بين الغرباء ؛ رفيعا شهيرا ، موصولا ممدحا مقبولا ؛ — وذلك لفساد النيات ، وقلة الانصاف ، واعتقاد المنافسة ، ونبذ التواضع للشرف ، والعناد للحق :

اليس غريبا ان نؤمل طاعة
وندعو اليها والزمان مباعد

وانت معنى لا سلو ولا اسى
تكذبك العاون واش وحاسد

غريب عن الاخوان في كل فرقة
اذا عظم المطلوب قل المساعد(15)

(ولو وسعتني الارض ، لخرجت فيها ؛ لكن الفساد قد غلب عليها ، ففي كل واد بنى نحس) (16)

اسرة ابن العربي :

اشرت في صدر هذا البحث (17) الى ان والده ابا محمد عبد الله بن محمد بن العربي ، كان من وجهاء علماء اشبيلية ، ومن اعيانها البارزين ؛ وزر للمعتمد بن عباد ؛ وكان من اهل الآداب الواسعة ، والتفنن والبراعة ، رحل مع والده الى المشرق ، وكان بيته منتدى للعلماء والادباء ، واليه يرجع الفضل فيما حصله ابو بكر من علوم ومعارف ، وما تهيأ له من لقاء الاكابر وفطاحل المشايخ ؛ وظل الى جانبه يشد ازره ، ويؤنسه في الوحدة ؛ (.. اب في الرتبة ، واخ في الصحبة ، يستعين ويعين ، ويسقي من النصيحة بماء معين ..) (18) ، ويفسح له المجال للمجد والسؤدد — الى ان ادركته الوفاة بالاسكندرية — وهو في طريقه الى المغرب — سنة (493 هـ) (19)

وامه كريمة ابي حفص الهوزني ، وقد نعمت برؤيته بعد غياب طويل ؛ (.. فانه لم يرجعني الا حق الوالدة) (20) . وجده من الام ابو حفص عمر بن الحسن الهوزني هذا ، من كبار الائمة ، عالم الاندلس ومحدثها ؛ وهو الذي ادخل جامع الترمذي

---

(12) انظر ع 1 س 18 ص 79 .
(13) انظر العارضة 1 / 3 .
(14) انظر بغية الملتمس ص 85 .
(15) انظر كتاب سراج المهتدين (مخطوط خاص).
(16) انظر كتاب الاحكام 1 / 417 .
(17) انظر ع 1 — 2 (مزدوج) س 14 ص 94 .
(18) انظر (شواهد الجلة) — ورقة (27 — 1) .
(19) انظر في ترجمته المطمح ص 62 ، وبغية الملتمس ص 324 .
(20) انظر سراج المهتدين — مخطوط خاص .

الى الاندلس (21) ، زاحم المعتضد بن عباد فى الرئاسة ، ففتك به ، وقتله بيده ، وهيل عليه التراب فى قصره ؛ (ت 460 هـ) (22) . وخاله ابو القاسم الحسن ابن ابي حفص الهوزني ، العالم الاديب ، والفقيه المشار ؛ كانت له صلة وثيقة بالمرابطين ، وهو الذي حرض يوسف بن تاشفين على الاطاحة بدولة بني عباد — اخذا بثار والده. (ت 512 هـ)(23)

وحفيد خاله ابو الحسن علي بن عمر بن ابي القاسم الهوزني ، الاديب الشاعر ، سنذكره فى الوفد الاشبيلي الذي قدم البيعة لعبد المومن ، خدم ابا يعقوب وولده المنصور ، وكان كاتبا مجيدا ، وشاعرا متفننا (24) .

انجب ابو بكر بن العربي جملة اولاد ، منهم :

1 — أبو محمد عبد الله ، وقد تحدثت عنه فى جملة تلاميذه الذين توفوا قبله (25) .

2 — ابو الحسن عبد الرحمن ، سمع اباه وشريح بن محمد ، ويروي عن ابي محمد بن عتاب ، وأبي الحسن بن مغيث ؛ وسمع الحديث المسلسل فى الاخذ باليد من ابى محمد بن ايوب الشاطبي ، وكان له اعتناء بالعلم ومداومة عليه . قال ابن الابار: (.. انه لم يبلغ مبلغ التحديث — فيما احسب)(26) .

ولذا لم أذكره فى المشاهير من تلاميذه .

3 — احمد — ذكرته بعض المصادر عرضا(27) ولعله لم يكن له حظ من المعرفة .

ومن حفائده :

— ابو بكر محمد بن عبد الله بن احمد بن أبي بكر بن العربي ، وأسماه فى النفح حفيد القاضي ابن العربي ، رحل الى المشرق ، وجاور بالحرمين الشريفين ؛ وحج سبع حجج ؛ كان من الفضل والدين، والتواضع ولين الجانب بمكان . (ت 617 هـ) (28).

— ابو الحسن علي بن عمر بن عبد السلام بن احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن الحافظ ابي بكر بن العربي ، — كذا ذكره فى الاتحاف ، وقال فيه : ميقاتي متقن ، استوطن فاسا مدة ، ثم رحل عنها الى مكناس ، واسندت اليه رئاسة التوقيت بمنار الجامع الكبير (29) .

وفى الاعلام لعباس بن ابراهيم 4 / 147 : محمد الوقاد بن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن عبد السلام بن احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن الامام ابي بكر محمد بن عبد الله المعافري — ذكره فى جملة من استوطن مراكش . وترجم الحضيكي فى طبقاته لمحمد بن احمد التلمساني المعروف بابن الوقاد نزيل تارودانت (30) ، والوقادية من البيوتات العلمية الشهيرة بسوس (31) . ومن الاسر التي تنتسب الى ابن العربي — الكرامية ، وهي اسرة عريقة فى المجد والفضل بسوس (32) ، ومن

---

(21) انظر دعوة الحق ع 1 س 17 ص 82 .
(22) انظر الصلة ص 381 ، والمغرب 1 / 239 ، الذخيرة (ق 2 — 33) .
(23) انظر بغية الملتمس ص 249 ، والمدارك 4 /826 .
(24) انظر المغرب 1 / 240 ، والمعجب ص 176.
(25) انظر دعوة الحق ع 1 — س 18 ص 82 .
(26) انظر التكملة ص 564 — طبع مجريط ، والمعجم ص 221 .
(27) انظر التكملة 2 / 603 — طبع مصر ، والاتحاف 5 / 458 ، والاعلام 4 / 147 المطبعة الجديدة بفاس .
(28) انظر التكملة 2 / 603 — طبع مصر ، والنفح 2 / 626 .
(29) انظر الاتحاف 5 / 458 .
(30) انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم 4 / 147 .
(31) وابن الوقاد الذي تنتسب اليه ، كان خطيبا مصقعا ، عاش فى عصر احمد الذهبي ؛ وقد تسلسل العلم فى اهله ما شاء الله . انظر سوس العالمة ص 152 .
(32) انظر سوس العالمة ص 124 .

مشاهيرها : سعيد الكرامي السملالي (33) ، وأخوه عبد الرحمن (34) ، ويحيى بن سعيد المذكور (35) ، وسعيد بن سعيد بن داود الكرامي (36) ، وداود بن علي الكرامي السملالي (37) . ومن الاسر الشهيرة بالصحراء (38) — المعافرة ، يتصل نسبهم بأبي بكر ابن العربي المعافري ، ومنهم العالمة الاديبة خناثة بنت بكار الصحراوية ، زوج السلطان الاعظم المولى اسماعيل ، وهي التي امرت ببناء قبره بفاس — على ما سنذكره بعد .

ومن موالي ابي بكر بن العربي — ابو الخير بشرى ، من أهل اشبيلية ، يروى عن مولاه ابي بكر ، وحدث فأخذ عنه ابو القاسم محمد بن عامر بن فرقد (39) .

وفد اشبيلية برئاسة ابن العربي يقدم البيعة لعبد المومن :

قدر لابن العربي ان يرى سقوط دولة آل عباد على يد يوسف بن تاشفين في أول شبابه ، وشاءت له الاقدار ان يشهد انهيار صرح الدولة المرابطية على يد الموحدين — في أخريات حياته ؛ وعند ما اخذت وفود الاندلس تتهيأ لتقديم البيعة الى الدولة الجديدة، بادر وفد اشبيلية الى تقديم الولاء والطاعة ، تحت رئاسة عالمها الاكبر ابى بكر بن العربي ، فحضر الى مراكش في حدود ذي القعدة (40) عام (542 هـ) ، ويتكون الوفد من علماء وأعيان وفضلاء وأدباء ، وتذكر بعض المصادر بيانا بأسماء هذا الوفد (41) ، وترتيبه كما يلي :

القاضي ابو بكر بن العربي ، الخطيب ابو عمر ابن الحجاج (42) ، الكاتب ابو بكر بن الجد (43) ، ابو الحسن الزهري (44) ، ابو الحسن بن صاحب

---

(33) من اهل القرن التاسع الهجري ، له مؤلفات ، منها : (شرح الرسالة القيروانية) وشرح الفية ابن مالك ، و (مشكلات القرءان) ، وشرح الاجرومية ، ومؤلف في المبنيات ، وشرح مؤلف في القراءات ، وشرح مختصر ابن الحاجب الفقهي، ومؤلف في التنجيم ، وشرح البردة ، — انظر سوس العالمة ص 178 .

(34) عاش في القرن التاسع الهجري ، له شرح على (القرطبية) — في الفقه ، وشرح البرهانية) — للسلالقي — في التوحيد . انظر المرجع السابق .

(35) من اهل القرن التاسع الهجري ، له مؤلفات منها : (تحصيل المنافع ، في شرح الدرر اللوامع ، في قراءة نافع) ، (منظوم الاخبار) : رجز في (1900) بيتا ، (شرح التلقين) للبغدادي ، (سلوة الوعاظ) — المرجع السابق .

(36) ذكره صاحب سوس العالمة من اعلام القرن التاسع الهجري ، وكان عالما مقرئا ، ومن مؤلفاته : (معونة الصبيان) — وهو شرح مختصر على « الدرر اللوامع » انظر سوس العالمة ص 178 .

(37) من أهل القرن الثاني عشر ، توفى حوالي (1180 هـ) . ومن مؤلفاته (بشارة الزائرين) في التاريخ والتراجم ، و (مناهج الراشدين في تتبع خطى سيد المرسلين) . انظر سوس العالمة ص 188 و ص 211 .

(38) انظر دعوة الحق ع 9 ص 17 ص 81 .

(39) انظر التكملة 1 / 226 — طبع مصر .

(40) انظر القرطاس 2 / 141 — 142 — طبع الرباط .

(41) انظر الحلل الموشية ص 111 .

(42) هو ابو عمر محمد بن عمرو بن احمد بن محمد بن حجاج اللخمي ، من أهل اشبيلية ، ولى الخطبة بعد ابيه أبي الحكم ، انظر التكملة ص 251 — رقم 809 — طبع مجريط .

(43) تقدم في جملة الشيوخ الذين تتلمذوا لابن العربي . وانظر ترجمته في التكملة ص 258 — رقم (1125) طبع مجريط .

(44) قاض اشبيلية ابو الحسن علي بن احمد بن عبد الرحمن الزهري ، من تلاميذ ابن العربي ، وكان فقيها محدثا متقدما . (ت 567 هـ) . انظر التكملة ص 668 — طبع مجريط .

الصلاة (45) ، ابو بكر بن السجـرة ، الباجـي ، الهوزني (46) ، ابن القاضي شريح (47) ، عبد العزيز الصدفي (48) ، ابن السيد ، ابن الزاهر .

وصادف حضور الوفد الاشبيلي الى مراكش ، انشغال عبد المومن بمحاربة محمد بن هود الماسي ، ثم قبائل بفرواطة ؛ فانتظروه نحو عام أو أزيد (49) ، وسلموا عليه سلام الجماعة في عيد الاضحى من سنة (542 هـ) (50) . ثم اذن بمقابلتهم ، فتقدموا للسلام عليه ، والقى ابو بكر بن العربي خطبة بليغة كانت محل استحسان (51) من عبد المومن ، وتلاه ابو بكر بـن الجد ، فأحسن واجاد (52) ؛ ثم قام ابو الحسن بن صاحب الصلاة ـ خطيبا نائرا وناظما ، فاتى بالعجب ، وباهى به اهل الاندلس فى ذلك الوقت (53) ـ وربما كان اصغرهم سنا ؛ ثم قدموا اليه بيعة اهل اشبيلية بخطوطهم ، فشكرهم واستحسن صنيعهم (54) .

ســـؤال محـــرج :

وفى أثناء المقابلة ، سال عبد المومن ابا بكر بن العربي : هل راى المهدي او لقيه بمجلس الغزالـي ببغداد ؟ وماذا قال له (55) ، فكان جواب ابن العربي: انه لم يلقه ، ولكنه سمع به ، وان الغزالي قال لا بد انه سيظهر (56) ! . وهو سؤال محرج ـ وربما كان عبد المومن ينتظر منه ان يقول : انه لقيه بمجلـس الغزالي ، ليؤكد الاسطورة التي تقول : ان الغزالي دعا على المرابطين بزوال ملكهم لما بلغه احراقهـم لكتابه (الاحياء) ، وكان ذلك بمحضر المهدي ، وانه قال له : ان ذلك سيكون على يده (57) . لكن جواب ابى بكر كان مبهما ، وغير مقنع ، وكل ما هناك انـه سمع كما سمع الناس وكفى .

ولا ادري كيف يتصور لقاء ابن العربي لابـن تومرت بمجلس الغزالي ـ وابن تومرت لم يسافر الى المشرق الا فى حدود سنة (500) او (501) ، وقد كان ابن العربي عاد الى وطنه منذ سبع سنـوات او تزيد ؛ والغريب ان يقع فى هذا الوهم المقري فى

---

(45) كناه فى الفتح ابا بكر ، وقال انه حضر الى مراكش فى الوفد الاشبيلـي . انظـر ج 3 / 469 ، والاعلام لعباس بن ابراهيم 3 / 68 ـ طبع فاس .

(36) ابو الحسن علي بن ابي حفص عمر بن ابي القاسم الهوزني ، تقدمت الاشارة اليه فى جملة اسرة ابن العربي من امه . وانظر ترجمتـه فى المغرب 1 / 240 .

(37) ابو بكر محمد بن شريح بن محمد الرعيني من اهل اشبيلية ، قال ابن الابار : صحب ابا بكر ابن العربي فى وجهته الى المغرب ، وكان من نبهاء بلده ووجوههم ، وس فى تلاميـذ ابن العربـي (ت 563 هـ) . وانظر ترجمته فى التكملة ص 218 ، رقم 756 ـ طبع مجريط .

(38) لعله يعني به ابا محمد عبد الله بن محمد بن قاسم بن عمران الصدفي ، ذكره ابن الابار فى الوافدين من اهل شلب . انظر التكملة ص 479 رقم (1382) ـ طبع مجريط .

(49) قدر ذلك فى المرقبة العليا ص 106 بنحو عام ، ومثله فى النفح 2 / 30 وقدره فى روض القرطاس 2 / 141 ـ بنحو سنة ونصف ، وتابعه على ذلك صاحب الاستقصا ج 2 / 105 .

(50) ذكر ذلك صاحب الاستقصا ج 2 / 105 .

(51) الحلـل الموشية ص 111 .

(52) نفس المصدر ص 111 ـ 112 .

(53) انظـر النفح 3 / 469 ـ 470 .

(54) الحلـل الموشية ص 112 .

(55) انظر الحلل الموشية 112 ، والمؤنس فى اخبار تونس 115 ، والاستقصا 2 / 105 .

(56) المرجـع السابـق .

(57) اورد هذه الاسطورة ـ بسندها المتصل ـ صاحب نظم الجمان ص 16 ـ 17 ، وذكرهـا فى الحلل الموشية عن ابن صاحب الصلاة ـ مع اختلاف يسير فى الفاظها ص 86 ـ 87 .

النفح (58) ، وتابعه على ذلك محب الدين الخطيب فى مقدمة (59) (العواصم من القواصم) !

وتضفي بعض المصادر على استقبال عبد المومن للوفد الاشبيلي ـ الوانا من التقدير والتكريم ، فقد قدم لكل واحد من اعضاء الوفد هدايا سنية (60) ، وكتب منشورا بتحرير املاكهم (61) .

وفـــاة ابـن العربـــي :

وعلى مقربة من فاس ، ادركت ابن العربـــي منيته (62) ، وفى (مغيلة) او (راس الماء) ـ لفظ انفاسه الاخيرة ليلة يوم الخميس ، لثلاث خلت فى ربيع الاول (63) سنة ثلاث واربعيـــن وخمسمائـــة (543 هـ) (64) .

وحمل ميتا على الاعناق الى فاس ، حيث دفن من الغد خارج باب المحروق ، بتربة القائد مظفر ، وصلى عليه صاحبه ابو الحكم بن حجاج ـ رحمـــه الله رحمة واسعة ، واعلى مقامه فى جنة الخلد .

وقبره مزارة مشهورة (65) بفاس ، بنيت عليه قبة حسنة ـ حفيدته خناثة بنت بكار الصحراوية ، جدة الملوك العلويين .

والى ان نلتقي معه فى تراثه الضخم ، الذي اثرى المكتبة العربية ـ فى اعداد قادمة بحول الله .

تطوان : سعيـــد اعـــراب

---

(58) على انه ذكر ان عودة ابن العربي الى بلده كانت سنة (493 هـ) . انظر ج 2 / 27 ـ 28 .

(59) انظـــر ص 19 .

(60) انظر روض القرطاس 2 / 141 ، وتاريخ ابن خلدون 6 / 186 ، والاستقصا 2 / 115 ، وشجرة النـــــور ص 136 .

(61) يعني تحريرها من ضرائب الدولة ، وكانت جميع املاك اهل الاندلس عليها رباعة ـ كما يقـــول صاحب الاستقصا 2 / 104 .

(62) وكانت اصابع التهم تشير الى المسؤولين فى دولة عبد المومن ، وانه سم ، واطبق جفنيه ـ وهو يعاني من الم ذلك . انظر المرقبة العليا ص 107 ، والسلوة 3 / 198 ، والاعلام لعباس بن ابراهيم 3 / 17 ، والفكر السامي 4 / 56 .

(63) وهي الرواية التي صححها صاحب السلوة وغيره ، وفى جذوة الاقتباس ان وفاته كانت فى سابع ربيع الاول ، والذي فى الصلة لابن بشكوال ان وفاته كانت فى ربيع الآخر من نفس السنـــة . وحكى المقري فى (الازهار) 3 / 88 ـ كلا القولين ، ولم يرجح ايهما . وذهب صاحـــب روض القرطاس الى ان انصرافهم عن مراكش كان فى جمادى الاخيرة سنة (543 هـ) . وعليه فتكون وفاته فى نفس التاريخ ، وهو الذي اقتصر عليه صاحب الاستقصا 2 / 105 .

(64) وشذ من قال ان وفاته سنة (542) او (546) واخطأ الدكتور عبد الحميد الجندي فذكر ان ابا بكر بن العربي صاحب (العواصم من القواصم) عاش فى القرن السابع الهجري . انظر اعلام العـــرب (ابن قتيبة ص 170) .

(65) قال فى انس الفقير ص 42 وقبره بين المدينتين : فاس القديم ، وفاس الجديد ؛ وقد وقفت على قبره ، ولزيارته بركات . وممن زاره ابو الحسن النباهي ـ وهو من أهل المائة الثامنـــة ـ قال : (.. وقد زرناه وشاهدنا قبـــره ارضاه الله وغفر لنا وله) ـ المرقبة العليـــا ص 107 . وابو العباس المقري قال : (وقد زرته مرارا وقبره هناك مقصود للزيارة). وزرته منذ سنوات فرايت امارات الاهمال بادية عليه وصدقت عليه قولته : (لا يزار قبر ينتفع به غير قبـــره (ص) . وقد اعطى صاحب الجلالة الحسن الثاني أوامره السامية بادخال ترميمات واصلاحات جديـــدة عليه ، وتم ذلك سنة (1395 هـ ـ 1975 م) .
انظر الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ـ تحقيق الاستاذ عبد الوهـــاب بن منصـــور . ج 4 / 102 ـ ح رقم (1) .

(66) انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم 3 / 319 .

الشيخ القاضي أبو عبد الله ابن عرضون

ت : 1012 م

للأستاذ عبد القادر العافية

— 1 —

عاش أبو عبد الله محمد ابن عرضون في صميم النصف الثاني من القرن العاشر الهجري — السادس عشر الميلادي — ويعد من أكابر علماء عصره ، اشتغل بالتدريس والقضاء والفتيا والتاليف ...

عصره :

عاش محمد ابن عرضون أحداث النصف الثاني من القرن العاشر وبعض أحداث أوائل القرن الحادي عشر ، وبذلك فهو قد عاصر أحداثا كبرى كان لها تأثير على مجرى حياته من قريب أو بعيد ، ومن اهم الاحداث التي عاصرها مترجمنا هذا :

1 — استيلاء السعديين على فاس بقيادة محمد الشيخ المهدي سنة 956 هـ / 1549 م وبذلك أصبح شمال البلاد خاضعا لنفوذ السعديين بما في ذلك موطن مترجمنا الذي كان خاضعا لنفوذ بني راشد بشفشاون ، حيث قدم أمير هذا الأقليم محمد ابن علي بن راشد الطاعة والولاء لمحمد الشيخ المهدي السعدي .

وفي هذه السنة أيضا جمع محمد الشيخ العلماء بفاس ومنهم علماء الجبل الذين كانْ من بينهم بعض شيوخ المترجم ، وأقاربه كالشيخ أبي القاسم ابن خجو ، والشيخ عبد الله الهبطي وغيرهما ...

وكان مترجمنا في هذه الاثناء ما يزال في طور الطفولة الاولى ، الا انه في هذه السنة اي سنة 956 هـ توفي جده لامه أبو القاسم بن خجو بفاس ، ولا شك ان أسرة مترجمنا تاثرت بهذا الحادث وفي طليعة من تأثر به والدته وخالاته واخواله ... ولذلك فهو بالرغم من صغر سنه فان هذه السنة كان لها تأثير عليه وعلى كافة اسرته ، وكان لها صدى في أعماق اسرته الخاصة .

2 — استنجاد ابي حسون الوطاسي بأتراك الجزائر ثم دخوله الى فاس سنة 961 هـ / 1553 م، وفرار محمد الشيخ السعدي عنها ...

ولا شك ان هذا الحادث كان له دوي كبير في مناطق الشمال . لا لان ابا حسون الوطاسي كان معروفا بهذا الاقليم فحسب بل لان ابا حسون هذا قبض على القائد محمد بن علي راشد والي شفشاون وزج به في السجن بفاس وكان من نتائج ذلك ان اجتمع نقباء الاشراف ، واعيان الشمال ، وكونوا وفدا للأستشفاع عند أبي حسون ، وتكون هذا الوفد من

أعيان جبل العلم (1) وتازروت (2) وشفشاون (3) ومع ذلك فان أبا حسون الوطاسي لم يقبل الشفاعة فى والي شفشاون محمد بن راشد وذلك للعداوة المستحكمة بينهما من قبل ، ولان محمد بن راشد أصبح من أهم الموالين لمحمد الشيخ السعدي .

وفى هذه الاثناء كان مترجمنا قد انتقل للدراسة بفاس ، واضطربت احوال فاس بسبب دخول الجيش التركي لها مع ابي حسون حيث اطلق هذا الجيش يد السلب والنهب فى المدينة بالاضافة الى انتهاك الحرمات (4) ولم تستقر الاحوال الا بعد رجوع محمد الشيخ السعدي وانتصاره على أبي حسون ، ولا شك أن هذه الاحداث كان لها تأثير بليغ على حياة مترجمنا حيث تذكر بعض المصادر أنه غادر فاس الى بعض القبائل المجاورة (5) .

3 — ومن ابرز الاحداث التي عاصرها مترجمنا حادث سقوط الامارة الراشدية بشفشاون ذلك السقوط الذي كان فيه نهايتها الاخيرة وذلك سنة 969 هـ / 1561 فى عهد السلطان عبد الله الغالب ابن محمد الشيخ الذي بعث لمحاصرتها والقضاء عليها بجيش تحت قيادة الامير ابي عبد الله محمد بن عبد القادر السعدي (6) ولا شك ان هذا الحادث كان له تأثير على مجرى حياة المدينة ، وحياة الاقليم بصفة عامة ، وسنرى انه بعد هذا التاريخ اشتهرت أسرة العرضونيين بشفشاون حيث تولى منصب القضاء بها كل من أحمد ومحمد ابني الحسن ابن عرضون ثم أولادهما من بعد ...

4 — عاصر مترجمنا الصراع العنيف بين السلطان محمد المتوكل وعميه عبد الملك واخيه احمد المنصور ، ودام هذا الصراع سنتين كاملتين وكان من نتائجه لجوء المتوكل الى طنجة واستنجاده بملك البرتغال دون سبستيان (1557 — 1578 م) ثم وقوع معركة وادي المخازن (986 هـ / 1578 م) تلك المعركة الفاصلة فى تاريخ الجناح الغربي من العالم الاسلامي ، والتي خاضها الشعب المغربي بمختلف طبقاته وهيئاته ، خاضها ببسالة وعزم تحت قيادة السلطان ابي مروان عبد الملك السعدي .

ولسنا ندري هل شارك مترجمنا فى هذه المعركة أم لا ؟ وانما الذي نعرفه هو ان مترجمنا كان قريبا من هذا الحادث وكان قد جاوز الاربعين من عمره وكان أخوه أحمد فى هذه الاثناء هو القاضي بشفشاون .

ولا شك أنه بعد معركة وادي المخازن عرف المغرب عهدا جديدا نتيجة ذلكم الانتصار الرائع الذي حققه المغاربة ونتيجة لوجود ملك فى مستوى الاحداث يتمتع بشخصية فذة وبمواهب نادرة وبثقافة وافرة وبخبرة ودهاء سياسي ذلكم هو احمد المنصور الذهبي الذي سيتصل به مترجمنا ويكون من بين مستشاريه وجلسائه .

5 — ومن الاحداث التي كان لها تأثير مريع على سكان هذه المنطقة ثورة ابن الحاج قرقوش المكناسي، وهي ثورة عتيقة شغلت بال احمد المنصور الذهبي وجهز جيوشا عظيمة لقمعها ، وفى أثناء هذه المعارك كان مترجمنا قد تولى منصب القضاء بشفشاون وكانت شفشاون هي مقر القيادة العسكرية وكان القائد ابن القائد عبد الكريم العلج هو عامل هذا الاقليم وكان مقره بشفشاون ، وكان أخوه عبد الرحمن العلج عاملا على اقليم تطوان ، الا ان تسيير العمليات الحربية كان بيد القواد العسكريين الذين كانوا يرسمون الخطط الحربية لقمع الثورة من مدينة

(1) جبل العلم ، يقع فى قبيلة بني عروس باقليم تطوان واليه ينتسب الشرفاء العلميون ، وبه ضريح الشيخ الاكبر مولانا عبد السلام ابن مشيش .

(2) تازروت قرية مشهورة ببني عروس وكانت تمثل فى هذه الفترة أحد المراكز الثقافية بشمال المغرب ، واشتهرت هذه القرية بكونها مقر الزاوية الريسونية .

(3) شفشاون : انظر حديثنا عنها بمجلة دعوة الحق الغراء ، ع. 5 س. 18 .

(4) راجع تاريخ الدولة السعدية للمؤلف المجهول فانه قد وصف هذه الاحداث وصفا دقيقا .

(5) انظر : « فتح التأييد فى مناقب سيدنا الجد واخيه والوالد » ورقة : 44 (مخطوط خاص) لمؤلفه الحسن بن محمد بن ريسون .

(6) هذا الامير تحدث عنه الافراني فى النزهة ووصفه بالعلم والادب واللطف ، ص : 53 ، ط. الرباط .

شفشاون بالذات ، واستمرت الحرب من أجل قمع ثورة قرقوش عدة شهور من سنة 996 هـ / 1587 م

واسند احمد المنصور امر قمع هــذه الثورة لولي عهده محمد الشيخ المامون الذي اسند القيادة العسكرية الى اعنف قواد الدولة واقساهم القائــد (حمو بجة) (7) واستطاعت جيوش احمد المنصور بعد معارك طاحنة وصعوبات جمة التغلب على قمع هذه الثورة التي كان من نتائجها ان عرفــت هــذه المنطقة فترة حالكة من حياتها سواء اثناء المعارك أو بعدها حيث جاست الجيوش خلال الديار واهلكت الحرث والنسل ، وانتشر الهلع والرعب ، وسيطــر الخوف والياس على النفوس واصابت قبيلة بني خالد بصفة خاصة كارثة ماحقة لم ينفع فيها توســل ولا استشفــــاع .

وانتهت هذه الفتنة بصلب جــد الثائر قرقوش بفاس وتعليق راسه بمراكش وكانت ثــورة قرقوش وبالا على غمارة وعلى شمال المغرب بصفة عامة (8) .

6 ـ ثورة الناصر بن عبد الله الغالب الذي التجأ الى اصيلا بعد معركة وادي المخازن 986 هـ ثم الى شبه جزيرة ايبيريا لاجئا عند فيلب الثانــي ملك اسبانيا الذي كان يتربص الفرص بالمغرب ، وفى سنة 998 هـ / 1589 م امره بالخروج والثورة على احمد المنصور فخرج بثغر مليلية من نفس السنة . وبالرغم من ان هذه الثورة كان مسرحها الشمال الشرقي من المغرب الا ان رقعتها اتسعت فشملت كل شمال المغرب واشتدت اوار هذه الفتنــة على شفشاون ونواحيها عند ما لجأت فلول المنهزمين الى بعــض الزوايا والاضرحة بالشمال ، وفى هذا الوقت بالذات كان صاحبنا هو قاضي هذا الاقليم ، وكان التجــاء الفلول المنهزمة الى هذه الناحية كارثة عليهــا لان المخابرات والعيون الراصدة أكدت للسلطان ان الخطر يكمن فى هذه الفلول الفارة الى جهة الشمال الغربي، خاصة وان بعض الفارين يذيع فى الناس ان الناصر لــم يمــت ...

فما كان من المنصور الا ان جهز جيشا جرارا تحت قيادة خبير هذه النواحي القائد الفاسي العنيف حمو بجة ووجهه الى ملاحقة الفارين ، وكان هــذا القائد معروفا عند سكان هذه الاقاليم لانه هو الذي باشر منذ سنتين فقط قمع ثورة قرقوش وهو الذي دمر قبيلة بني خالد عن آخرها ولم يترك بها ضرعا ولا زرعــــا ...

وانطلق هذا الجيش من فاس وبدأ خطره يقترب شيئا فشيئا من شفشاون ونواحيها متتبعا وباحثا عن انصار الناصر ، وقاضينــا لا يملــك حــولا ولا قوة واكدت الارصاد والخابرات للقائد حمو بجة ان الزاوية الريسونية بتزروت تضم بعض اللاجئيــن وكذا زاوية اخرى ببني كرفط ، وكانت هذه الاخبار فيها بعض التهويلات والمبالغات وكل هذا جعل اهل هذه المنطقة يعيشون فترة خطيرة خلال هذه الحملة التفتيشية وكان خبر تنقل القائد حمو بجة يبعــث الذعر والرعب فى النفوس مما جعــل بعض الناس يلجاون الى قراءة القرءان الكريم والى تلاوة الاوراد والاذكار سائلين الله اللطف وراجين منه سبحانه ان ينجيهم من اخطار هذه الكوارث ...

ويشاء القدر وبضواحي شفشاون بالذات ان يتفشى الوباء فى افراد جيش القائد حمو بجة ولــم يمهل هذا الوباء القائد العنيف نفسه فمات لحينه !! بعد ان خلفت اخباره واعماله موجــة من الرعــب والهلع ... كل هذا كان تحت سمع وبصر قاضينــا بشفشاون (9) .

7 ـ ونختم هذه السلسلة من الاحداث بحادث كان ذا اثر سيء بالغ ذلكم الحدث هو ثورة ولي العهد محمد الشيخ المامون على والده احمد المنصــور ، ولا شك ان هذا الحدث كان له تاثير كبير على حيــاة احمد المنصور ، وعلى حاشيته ومستشاريه وسنرى انــه فى سنــة هــذا الحــادث 1011 هـ / 1602 م كان مترجمنا يواظب على الحضور فى مجلس

---

(7) بهذا الاسم كان مشهورا بين الناس ، وهو قائد من قواد الدولة السعدية على عهد احمد المنصور يصفه الفشتالي فى مناهل الصفا فيقــول : القائد الشهم ابو عبد الله بن ابراهيم بن بجة ، وتكلم عنه مرتين اثناء ثورة ابن الحاج قرقوش، واثناء الحديث عن ثورة الناصر .

(8) انظر عن هذه الثورة مناهل الصفــا ص : 93 لعبد العزيز الفشتالــي ط. وزارة الاوقــاف والشؤون الاسلامية سنة 1972 .

(9) انظر : فتح التأييد السالف الذكر ورقة : 64 مخطوط خاص .

السلطان احمد المنصور بفاس مع كبار العلماء ، وكان مثل هؤلاء العلماء يتدخلون فى مثل هذه المشاكل وقبل هذا الحادث الذي نتحدث عنه — والذي ادى الى اعتقال ولي العهد — كان العلماء قد تدخلوا بالصلح بين ولي العهد ووالده فى احداث مشابهة لان محمد الشيخ المامون ظل وليا للعهد وحاكما لاقاليم الشمال مدة طويلة فى حياة والده وخلال هذه المدة كانت تحدث بينه وبين المامون مشاكل هي فى معظمها ناشئة عن سوء سيرة ولي العهد وعن فسقه وفجوره وسوء تصرفه — مما جعل أحد رجال المنصور المخلصين يشير عليه بقتل ولده الشيخ المامون ، الا ان السلطان أمر بتضييق الخناق على ولي عهده فى سجنه بمكناس فحسب .

ومهما يكن من أمر فان هذه الاحداث كان لها صدى فى نفوس حاشية السلطان ومستشاريه وجلسائه الذين منهم صاحبنا ابو عبد الله محمد ابن عرضون .

8 — عرف المغرب فى الفترة الاخيرة من حياة أحمد المنصور انتشار الوباء والغلاء بالاضافة الى انتشار عادة التدخين (تدخين التبغ) وكل ذلك كان له تأثير على الحياة الاجتماعية بالمغرب .

ولا شك ان مترجمنا بحكم منصبه وشخصيته وتصدره ... كان له اهتمام بهذه الاحداث خاصة وان السلطان نفسه كان مهتما بها غاية الاهتمام بل كان السلطان يحمل مستشاريه وجلسائه على التفكير فى العمل من أجل التخفيف من هذه الازمات ، وسنتعرض فيما بعد للحديث عن مجلس من المجالس السلطانية التي حضرها مترجمنا هذا والتي كانت من أجل البحث عن علاج الازمات المشار اليها .

مولده ونشأته :

ولد مترجمنا هذا فى مدشر (اعرضن) قرب قرية تلمبوط من قبيلة بني زجل الغمارية بضواحي شفشاون (10) .

ومترجمنا ينتسب الى اسرة معروفة بالفضل والدين وهي أسرة العرضونيين احدى الاسر العلمية العريقة بغمارة ، فأبوه الحسن بن يوسف بن عرضون كان من العلماء الاجلة ، ومن الذين ساهموا فى الحركة العلمية تدريسا وافتاء وتأليفا وتوجيها وتربية ، وهو مؤلف النوازل الفقهية المنسوبة اليه والتي ينقل عنها فقهاء النوازل كالشريف العلمي وعبد العزيز الزياتي وغيرهما ...

ومن أبرز تلامذة الحسن ابن عرضون ولداه احمد ومحمد .

وعرف الحسن هذا فى حياته بالعلم والتقوى ، وكان بيته ببني زجل مدرسة يؤمها طلاب العلم والمعرفة ، والمستفسرون عن الاحكام الشرعية سواء فى العبادات او المعاملات ...

وكان للحسن والد مترجمنا اخوة من العلماء كاخيه الفقيه الشاعر ابي حفص عمر بن يوسف ابن عرضون .

فمترجمنا ابو عبد الله محمد ابن عرضون نشأ فى أسرة تشتغل بالعلم والثقافة ، ولها شهرة ذائعة فى ميدان الفقه والوثائق والادب والتاريخ ... بالاضافة الى ما اشتهر به افرادها من جمال الخط ، وجودة الاسلوب ، وقرض الشعر ، مع البراعة فى الفرائض والحساب .

وكان افراد هذه الاسرة حريصين تمام الحرص على تعليم ابنائهم ، ولهم فى ذلك مناهج وأساليب تتجلى فى العناية بأبنائهم منذ الصغر ، وذلك بتحفيظهم المقطوعات الشعرية الجيدة بالاضافة الى كتاب الله العزيز مع ترويضهم على الخط الجميل ، وعلى الآداب الحميدة ...

ولذلك نبغ من أسرة العرضونيين عدة افراد مثل أبي عبد الله محمد ابن عرضون مترجمنا هذا ، ومثل اخيه أحمد ابن عرضون صاحب التآليف (11)

---

(10) الذين ترجموا لمحمد بن عرضون لم يحددوا زمن ولادته الا ان ابن القاضي فى درة الحجال قال : انه ولد بعد الخمسين وتسعمائة ، ويحتمل انه ولد قبل ذلك بقليل اي نحو سنة 945 هـ أو : 946 هـ .

(11) له عدة مؤلفات من اشهرها : الفائق لمعلم الوثائق ، ومقنع المحتاج فى آداب الازواج ، وحدائق الانوار ، ورسالة التوادد والتحابب، وغير ذلك ، وذكر له أخونا الاستاذ عمر الجيدي فى رسالته التي تقدم بها لنيل الدبلوم العالي بدار الحديث الحسنية 29 مؤلفا .

المقيدة ، والآراء الفقهية النيرة ، ثم أولاد هذين الاخوين ...

وعلى الجملة فأسرة مترجمنا كان لها الفضل فى بروز شخصيته .. فشيخه الاول هو والده الحسن بن يوسف وكذا عمه ابو حفص عمر بن يوسف ، وكان مترجمنا مع اخيه احمد كفرسي رهان يجدان ويجتهدان ويحصلان العلم بشغف ونهم ، واستفاد مترجمنا كثيرا من اخيه هذا كما استفاد منه اخوه احمد كذلك (12) .

وبالاضافة الى هذا الجو الثقافي والفكري فى اسرته الخاصة فانه افاد كثيرا من اسر اخرى كانت ترتبط مع اسرته بالمصاهرة وبروابط فكرية وثقافية.

ومن ذلك اسرة (ابن خجو) وهي اسرة علم ودين، وسبقت الاشارة الى ان والدة مترجمنا كانت من هذه الاسرة فجده لامه هو الشيخ المفتي ابو القاسم ابن خجو الحساني (13) .

ومن ذلك ايضا اسرة عبد الله الهبطي التي كانت لها روابط متينة مع اسرته ، وكانت عمة امه الفقيهة آمنة ابن خجو هي زوجة الشيخ عبد الله الهبطي .

وهكذا نجد مترجمنا قد نشأ فى جو ثقافي فكري يساعد على الدراسة والتحصيل ... ولذلك فلا عجب ان رايناه قد وصل الى مرتبة عالية من المعرفة والشهرة والالمعية ...

والى هذا الجو الثقافي الفكري الذي كانت عليه اسرة مترجمنا ... يشير أبو العباس أحمد المقري فى احدى مراسلاته مع احد أفراد هذه الاسرة فيقول: « ... وعلى اخينا ولينا الصدر الاوحد صاحب المآثر التي لا تجحد ، والمفاخر الجليلة وارث العلم لا عن كلالة سبط اصحاب الفنون سيدي محمد بن عرضون حفظ الله علاه واعانه على ما أولاه ... » (14)

فالعلامة احمد المقري يصف احد افراد هذه الاسرة بكونه وارث العلم لا عن كلالة ، وبانه سبط اصحاب الفنون ... كل ذلك اشارة الى الجو الذي كانت عليه اسرة مترجمنا ...

فمترجمنا اذا قد ورث العلم عن آبائه واجداده وافراد اسرته ابا واما ...

شيوخه وأساتذته :

مما لا مجال فيه للشك ان مترجمنا هذا تقلب فىدراسته بين مدارس الجبل ، وبين حلقات الدروس فى القرويين بفاس ، وبالرغم من انه ذهب الى فاس وهو دون البلوغ ، فانه كان قد حصل ببلده على معلومات لا بأس بها فهو قد حفظ القرءان الكريم ، وكثيرا من « المتون » فى مواد مختلفة من فروع المعرفة كالنحو والفقه والبلاغة والعروض وما الى ذلك ، واستظهر كذلك بعض المقطوعات الشعرية البليغة ...

وكان قد درس على والده مبادىء النحو والفقه، ودرس على عمه ابي حفص اللغة والشعر والعروض وما الى ذلك من الخط ومبادىء الحساب ...

اما فى فاس فلقد وجد فيها جوا فكريا رائعا ، وجد بها حلقات لدروس متعددة وفى مواد مختلفة كما وجد بها شيوخا ضليعين فى فنونهم ، وهذا الجو الذي وجده فى فاس اخذ بلبه وبجامع قلبه ، وكيف لا وهو الطالب المتفتح المنتمي الى اسرة عريقة فى ميدان المعرفة .

وكل ذلك شحذ ملكته فنمت معارفه وزادت حصيلته العلمية ، واتسعت آفاق فكره ...

اما أهم شيوخه واشهرهم فهم :

1 ـ والده الشيخ الحسن بن يوسف ابن عرضون الفقيه المفتي المتضلع ... وهذا قد درس عليه المبادىء الاولى فى مختلف الفنون وخاصة النحو والفقه .

---

(12) نرى اخاه أحمد فى بعض تآليفه يقول : اخذت هذا السند عن أخي وشقيقي ابي عبد الله محمد ، انظر الجزء الاخير من « حدائق الانوار » نسخة الخزانة الملكية بالرباط .

(13) انظر ترجمته فى العدد الثامن من دعوة الحق السنة ـ 17 ـ ص 73 .

(14) نوازل العلمي ج : 2 ص : 418 .

2 ـ عمه الشيخ عمر ابو حفص بن يوسف ابن عرضون ، وهذا قد درس عليه اللغة والادب والعروض ، وابو حفص هذا ذكره احمد اخو مترجمنا هذا في عدة مناسبات في بعض تآليفه.

3 ـ الشيخ عبد الله الهبطي ابو محمد وهذا كان مبرزا في الدراسات العقائدية والاصول والتصوف (15) .

ومن شيوخه بفاس :

4 ـ الشيخ احمد المنجور شيخ احمد المنصور وصاحب الفهرس المشهور ، وشيخ الجماعة في وقته ...

5 ـ الشيخ ابو راشد يعقوب بن يحيى اليدري قال ابن القاضي في الجذوة ... الفقيه النوازلي الاستاذ الفرضي الحيسوبي ، امام الفرائض والحساب ... » (16)

ولا شك ان تضلع محمد ابن عرضون في الفرائض والحساب كانت له منابع متعددة سواء في بلده او في فاس وكان له في ذلك سند قوي .

6 ـ الشيخ ابو عبد الله بن احمد بن مجبر المساري الملقب بسيبويه زمانه وشيخ الجماعة بفاس في عصره واشتهر هذا الشيخ بحفظه عن ظهر قلب لمختصر ابن الحاجب (17) .

كان متضلعا كذلك في الفرائض والحساب ودرس عليه مترجمنا مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي .

7 ـ الشيخ ابو النعيم رضوان الجنوي (18) قال عنه ابن القاضي في الجذوة : « ... الشيخ الورع الصالح المحدث اورع اهل زمانه وواحد وقته واوانه اخذ عن عبد الرحمن بن علي سقين عن القلقشندي عن ابن حجر العسقلاني الحافظ ... »

ويقول ابن عرضون في معرض ذكر بعض شيوخه : « ... ثم اني رجعت لفاس وصحبت سيدي رضوان الجنوي الى ان مات رضي الله عنه ... » (19) ـ توفي سنة 991 هـ / 1583 م ـ ومعنى ذلك انه لازم الشيخ رضوان الجنوي مدة طويلة هي في الغالب تزيد عن عشر سنين .

ولابن عرضون عدة شيوخ كبار غير هؤلاء سواء بفاس او بغير فاس من بلاد المغرب وهو قد استفاد منهم جميعا ، وبذلك تكونت لديه حصيلة علمية هامة ساعدته على القيام بمهامه سواء في ميدان القضاء او ميدان الافتاء وكذلك في ميدان التعليم والتدريس ، ولا غرابة في ذلك ما دام ابن عرضون قد بدأ في طلب العلم خارج بلاده في وقت مبكر جدا ، ولنستمع اليه وهو يتحدث عن نفسه فيقول : « ... كنت بمدينة فاس قبل البلوغ فخرجت ذات يوم لزيارة زرهون قاصدا زيارة سيدي موسى بن علي ، فوصلت لعنده أول ليلة من رمضان فاحتلمت تلك الليلة فاصبحت صائما ومكثت في صحبته سنين الى ان مات رضي الله عنه ، ثم رجعت الى فاس ، وصحبت بعده سيدي رضوان الجنوي الى ان مات رضي الله عنه ، وصحبت بعده الشيخ ابا الشتاء ، رضي الله عنه الى ان مات ، ونحن اليوم في صحبة سيدي محمد بن علي بن ريسون الشريف ... » (20)

وهكذا نرى مترجمنا يصاحب الشيوخ لمدة طويلة فيقصد بذلك الاستفادة العلمية والتربية الصوفية معا .

---

(15) الشيخ عبد الله الهبطي ، انظر حديثنا عنه بمجلة دعوة الحق ، العدد (10) ص : 63 سنة 76 . تحت عنوان : « حول النفي في كلمة الاخلاص » .

(16) الجذوة ج. 2 ص : 558 ، ط : دار المنصور الرباط ـ والدرة 2 : 504 .

(17) الجذوة 1 : 250 والدرة 2 : 222 والسلوة 3 : 128 وشجرة النور : 286 .

(18) الشيخ رضوان الجنوي من اكابر علماء المغرب في وقته خصه بالترجمة غير واحد من كتاب التراجم ، انظر السلوة ج : 2 : 257 ، فله هناك ترجمة وافية .

(19) فتح التايبد ورقة : 44

(20) هو من شيوخ الصوفية الكبار ومن الذين حضروا معركة وادي المخازن سنة 986 هـ (ولد سنة 930 وتوفي سنة 1018 هـ) والنص من نفس المصدر السالف .

تلامذته :

لمحمد بن عرضون عدة تلاميذ من اشهرهم ولده احمد بن محمد ابن عرضون صاحب شرح «التحفة» المسمى « بناصر الحكام » وكان من أهم علماء وقته.

ومن تلامذته كذلك القاضي محمد بن اخيه ابن عرضون (21) وكذلك قاضي شفشاون احمد بن علي العلمي الشريف (ت. 1027)

والشيخ قاسم ابن القاضي .

والشيخ ابراهيم الكلالي الورياجلي العلامة الشهير صاحب مؤلف « تنبيه الولدان » وهذا درس عليه بفاس .

والقاضي محمد مخشان الشفشاوني .

ومما لا شك فيه أن مترجمنا كان له عدة تلاميذ يطول سرد قائمتهم ؛ لانه داوم على التدريس مدة طويلة وهو يمارس مهنة القضاء بشفشاون . وكذلك عند ما كان مقيما بفاس .

يقول أحد تلامذته ، الفقيه القاضي الحسن الخالدي :

« كان يحدثنا شيخنا فى العلوم الشرعية سيدي محمد بن الحسن بن عرضون الزجلي الاصل إبام قراءتنا عليه بمدينة شفشاون الى أن يقول : وحدثني المرابط سيدي محمد أسلوفان اليرثني وكانت خالته زوجة سيدي أحمد بن سيدي الحسن ابن عرضون أخي سيدي محمد المذكور قال : كنا نحضر مجلس سيدي محمد بن عرضون فى تدريس العلم وكان يقرأ يوم الخميس والجمعة ، الحكم لابن عطاء الله ، ويذكر أحوال الصالحين وأخبارهم ... » (22)

وهكذا نرى أن مترجمنا زاول مهنة التدريس سواء زمن اقامته بفاس أو بشفشاون ؟ وهو لم ينقطع عن التدريس حتى فى الايام الاخيرة من حياته ..

شهرته ومنزلته :

بعد ما امتلأ وطاب مترجمنا علما ومعرفة وتضلع فى كثير من العلوم والفنون وخاصة الفقه والاصول ، والمنطق والبيان والفرائض والحساب ... اشتغل بالتدريس والافتاء ثم بعد ذلك اسند اليه منصب القضاء بشفشاون خلفا لاخيه احمد بن الحسن بن عرضون الذي توفي سنة 992 هـ / 1584 م على عهد أحمد المنصور الذهبي .

وبقي مترجمنا بشغل منصب القضاء بشفشاون ونواحيها من سنة 992 هـ الى ان توفي سنة 1012 هـ / 1603 م .

وبالرغم من شهرته فى منصبه وتدرجه فيه الى ان اصبح قاضي القضاة لم ينقطع عن التدريس ، ولا شك ان ذلك مما زاد فى مكانته عند الخاص والعام وجعل مجالسه العلمية مقصودة من القريب والبعيد ، وهو بذلك ساهم فى تنشيط الحركة الفكرية بشفشاون مما جعلها مقصد طلاب العلم ورواد المعرفة ...

ومما لا جدال فيه أن هذه المدة الطويلة التي قضاها فى منصبه بالاضافة الى غزارة علمه ومواظبته على التدريس كل ذلك اكسبه شهرة وجاها خاصة وانه أشتهر بمواقفه الفذة كقاض من قضاة العدل والانصاف ، ومن الذين لا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، ولا تغريهم الاطماع ، ولا تخيفهم التهديدات . ولنا امثلة متعددة على مواقفه النبيلة الشجاعة ، حيث نجد ذلك مبثوثا فى كتب النوازل وحواشي وشروح كتب الفقه .

وهو بالاضافة الى شهرته كقاض من قضاة العدل نجد له عدة فتاوي ينقلها عنه كتاب النوازل الفقهية . فلا تكاد تخلو باب من ابواب فقه النوازل من فتاويه .

---

(21) محمد بن احمد بن الحسن ابن عرضون هو قاضي شفشاون فى نهاية العصر السعدي الثاني ، تجد احكامه وفتاويه مبثوثة هنا وهناك : فى الحواشي والشروح وكتب النوازل ، انظر مثلا خطاباته ومصادقاته على رسوم حول شرف البقاليين ج : 5 (من عمدة الراوين) لاحمد الرهوني ـ مخطوط المكتبة العامة بتطوان .

(22) فتح التاييد ورقة 43 .

ابن عرضون فى كتب التراجم :

ونظرا لشهرته التي أشرنا اليها فاننا نجد عنه مقتطفات فى كتب التراجم التي فى معظمها تخصص له بضعة أسطر ولعل اطول ترجمة له نجدها عند القادري فى نشر المثاني ، وعند الشيخ محمد بن جعفر الكتاني فى السلوة وذلك لتاخرهما فى الزمن الشيء الذي مكنهما من ضم تلك المقتطفات بعضها الى بعض حيث نقلا عن ابن القاضي فى الدرة والجذوة ، وعن المرآة ، والمطمح والصفوة وغيرها ...

الا اننا فى الواقع نجد ان معظم تلك التراجم هي محض تكرار لبعضها البعض ولا تنفرد بعضها الا بزيادات طفيفة كتعيين مكان الوفاة ويومه وشهره وعامه ، أو كذكر اسم الاب والجد ... أو غير ذلك.

لكن بالاضافة الى ما كتبه كتاب التراجم عن مترجمنا فاننا نجد عنه معلومات اخرى هامة فى كتب النوازل وكتب الفقه ثم فى بعض الكتب التي الفها افراد من اسرته كأخيه احمد فى كتابه : « حدائق الانوار » و « مقنع المحتاج » وكولده أحمد فى كتابه « ناصر الحكام » (23) .

ولا شك ان هذه المصادر الاخيرة تلقي ضوءا اكثر على حياة مترجمنا وبواسطتها يستطيع الباحث ان يرسم الخطوط العريضة لحياة ابي عبد الله محمد ابن الحسن ابن عرضون ، الا ان تتبع ذلك يحتاج الى كثير من الوقت ، والى مزيد من الصبر ...

اخلاقه ومواقفه :

كان مترجمنا يجمع بين التواضع الجم وبين غزارة الاطلاع ولذلك ظل يتقمص روح الطالب المستفيد بالرغم من تقلده المناصب الهامة فى ذلك الوقت ، فهو لم يفتأ يراسل شيوخه واساتذته بفاس وبغير فاس سائلا ومستفسرا ومستوضحا ورابطا للصلة العلمية بينه وبين أصدقائه وشيوخه ، ومن حسن الحظ ان بعض المصادر احتفظت لنا بنماذج هامة من كتاباته ومراسلاته ، ومن ذلك ما أورده مثلا الشيخ محمد العربي الفاسي فى مرآة المحاسن حيث يقول :

« ... وجدت بخط شيخنا الشيخ العلامة القاضي ابي عبد الله محمد بن الحسن ابن عرضون رحمه الله تعالى كتابا كتبه الى شيخنا شيخ الاسلام أبي عبد الله القصار رحمه الله تعالى قال فيه « وما أوضحتم من أن أول دليلي الشيخ السنوسي دليل مستقل لا يتوقف على شيء من مقدمات الثاني » وهي رسالة فى موضوع فلسفي دقيق يتعلق بالعقائد ، الى ان يقول : « هذا ما لاح لنا واليكم المفزع فى حل المشكلات وما كثرت مراجعتنا لكم فى هذه المسألة. الا من اجل ان النفس لم ينقطع حديثها النفسي ... فازح بنور علمكم هذا الاشكال بما يمنحكم الكريم المتفال ، وعجل علينا به لانه تعلق به البال ، والله تعالى يديمكم للحق تنصرونه ، وللعلم تظهرونه والسلام » (24) .

ولم تقتصر مراسلات مترجمنا مع شيوخه واصدقائه على الموضوعات العلمية الاكاديمية فحسب بل كان يراسل شيوخه وعلماء عصره حتى فى التعرف على آرائهم فيما يصدره من أحكام ، وهو القاضي المبرز العدل بل قاضي القضاة !! وكأنه بذلك كان يستأنف على نفسه بنفسه امام هيئة عليا ، كل ذلك من اجل ان يتدارك ما قد يكون صدر عنه من خطأ فى الحكم او عدم اصابة فى اجتهاد ...

وفي هذا الموضوع ينقل لنا الشريف العلمي صاحب النوازل بعض استشاراته ومراسلاته لكبار علماء عصره . ومن ذلك ما اورده فى (فصل مسائل الحدود والدماء والتعزيرات) فالقاضي ابن عرضون بعد ما اصدر حكمه على رئيس شرطة شفشاون بالسجن لاستخفاف هذا الاخير بالمقدسات الاسلامية اراد بعد اصدار هذا الحكم ان يعرف رأي العلماء فى بعض الحيثيات والملابسات التي رافقت هذه القضية ولذلك وجه سؤالا مطولا فى الموضوع ، قال العلمي:

---

(23) « ناصر الحكام » هو شرح لتحفة الاحكام لابن عاصم الاندلسي كان يظن انه مفقود وبقي الحال على ذلك مدة طويلة من الزمن الى ان ظهر هذا الكتاب فى السنين الاخيرة بفضل معرض الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات .

(24) مرآة المحاسن ص 172 — 173

« سأل ابو عبد الله محمد بن الحسن بن عرضون الفقيه أبا العباس احمد بن محمد البعل المصوري عن مسألة شرطي حاكم (ـ كذا ـ لعله يقصد رئيس الشرطة ـ) بمدينة شفشاون شهد عليه عدلان انه قال لرجل اما تستحيي ؟ فقال له : والله لا أستحيي ولو جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسمع منه عدل آخر وقد قال لبعض خدامه حين شكاه رجل بامرأة ـ ايتوا بها فقال أحد الخدام : هي زوجة فلان فأجاب : ايتوا بها ولو كانت امرأة عيسى ، وهذا الشاهد سمعه فى ولايته الحكومة هذه السنة ، والاولان سمعا منه أيام حكومة تقدمت له منذ سنتين عزل عنها ثم ولي الان ... » يقول العلمي فلما ثبتت شهادة الشهود بما ذكر ، حكم القاضي على الحاكم المذكور بالسجن وانفذ حكمه والي البلدة المذكورة . ثم كتب القاضي مستفتيا أهل العلم ، هل تضم شهادة الشاهد الثاني للاولين ؟ لاتفاق شهادتهم على استخفافه بحق المرسلين عليهم الصلاة والسلام ؟ وهل ما صدر منه يدخل تحت قول الشيخ خليل : « او استخف بحقه ، عاطفا على قوله : وان سب نبيا ، أو ملكا ـ بفتح اللام ـ او عرض او لعنه عابه الى قوله ولم يستتب ... » وأيضا فان الحاكم المذكور طلب الاعلام بمن شهد عليه ، فهل يمكن من ذلك ام لا ؟ او تكون هذه النازلة كمسألة ابن بشير الذي قال للوزير مثلك لا يخبر بمن شهد عليه ؟ أو يحكم بعزله ولا يمكن من شرطته ؟ فيكون بعد سجنه كاحد الناس الذين يعذر اليهم فيمن شهد عليهم ؟ فان قلتم بالاعذار فلا كلام ، وان قلتم بعدم الاعذار فهل يقدح فى شهادة العدلين عدم التعجيل ؟ وان قلتم بالقدح فهل يعذرون بالجهل وما الحكم فى المسجون المذكور ؟ ان ثبت عجزه عن الرفع ، جوابا شافيا عن اهتمام بامور الدين ولكم الاجر من الله سبحانه والسلام » . (25)

هكذا نرى علماءنا الابرار رحمهم الله يتحرون ما امكن فى احكامهم وقضاياهم ... فالقاضي ابو عبد الله محمد ابن عرضون دفعته غيرته على الدين ، ودفعه الواجب الملقى على عاتقه كقاض الى اصدار حكمه بالسجن على الموظف « الكبير » والذي له خدم وأعوان وشرطة وكل ذلك لم يمنع القاضي من الحكم عليه بالسجن ، وذلك نظرا لاستخفافه بحق الرسل عليهم السلام وبالمقدسات الاسلامية ، لكن قاضينا بعد اصداره لهذا الحكم اراد أن يعرف العقوبة التي يستحقها زيادة على السجن . واراد كذلك ان يتأكد هل له مطعن فيما صدر وسيصدر عليه من احكام أم لا ؟

فمترجمنا القاضي الشجاع لا يريد ان ينساق مع عواطفه الدينية مجردا عن القواعد الشرعية ، بل يريد ان يكون حكمه مبنيا على أسس شرعية لا مطعن فيها ...

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على نبل فى الاخلاق وصراحة فى الحق ، ورجولة فى المواقف ... !!!

ولمواقفه هذه أمثلة عديدة وحتى لا نطيل على القارىء نكتفي بالمثال الآتي الذي يتعلق بفتوى فى موضوع كان موضوع الساعة فى ذلك الوقت ، وهذه الفتوى تتعلق بقضية طابة « التبغ » تلك القضية التي شغلت الاوساط العلمية فى ذلك الحين وكتب فيها غير واحد من العلماء الذين انقسموا فيها الى قسمين متباينين : قسم يرى حلية التبغ ، وقسم آخر يرى حرمته ، ويحذر من تناوله ، وتحتفظ بعض كتب النوازل وكتب الفقه بكثير من آراء العلماء واستدلالاتهم واجتهاداتهم وفتاويهم فى هذا الموضوع . بل عمد بعضهم الى جمع الكثير من هذه الآراء والفتاوي فى مجموع خاص ، وبالرغم من أن مثل هذا العمل لم يستوعب كل ما قيل فى موضوع « التبغ » الا انه يعطي للقارىء صورة واضحة عن الحوار والجدال الذي استمر مدة تزيد عن قرنين من الزمن .

وكان مترجمنا ابو عبد الله من الفريق الذي يرى حرمة تناول التبغ ، واستطاع بذكائه ان يستغل موقفا خطيرا حيث اثار هذه القضية فى وقت مناسب جدا ، وكان ذلك بمحضر احمد المنصور الذهبي وفى مجلس من مجالسه ، وفي جمع هام من العلماء ، وبما ان مترجمنا استطاع ان يؤثر على السلطان فقد كان لفتواه نتائج فعالة وحاسمة فى الموضوع .

---

(25) نوازل العلمي : ج 2 : 491

(26) انظر مجموع الدخان بالمكتبة الملكية بالرباط

جـــاء في نـــوازل العلمـــي مـــا نصـــه :

« سئل سيدي ابراهيم الكلالي ساله سيدي علي بن احمد الفزكاري عن عدة مسائل منها مسالة طابـــة فاجاب : اما ما عمت به البلوى من شرب العشبـــة المشئومة على نواحينا المتلفة اموال غربنا ، وهـــي المسماة بتابغة بلغة اهلها ، فقد كنا بحضـــرة فاس ايام قدوم السلطان عليها مولانا احمد نصـــره الله ، وبقدومه آنتشر امرها في تلك الحاضرة ، اجتلبهـــا اهل مراكش ، واستعملوها كثيرا فانتهـــى امرهـــا واستعمالها عند اهل تلك الحاضرة ، ثم آن الغـــلاء ظهر هنالك وفي سائر الاقطار فجمع السلطان رحمه الله اعيان فقهاء وقته وسالهم عن سبب تردد الوبـــاء الذي كان يتردد على مدينته المراكشيـــة وابايتـــه الانصراف عنها مع ما حل من الغلاء ، وحبس الامطار ونحو ذلك من الآفات النازلة في ذلك الوقت فاجابه كل واحد من الفقهاء بما ظهر لـــه ، ومـــن جملـــة المجيبين له في ذلك المجلس وكـــان آخرهـــم في الجواب شيخنا البركة الفاضل الناسك سيدي محمد ابن الحسن بن عرضون الشفشاوني الدار فقال له في جوابه : لعل هذه النوازل والوقائع سببها مـــا اشار اليه المولى سبحانه وتعالى في كتابه : « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السمـــاء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبـــون » فقبل السلطان جوابه دون جواب غيره من الحاضرين، وفرق السلطان مجلسه ومن الغد بعث للفقيه المجيب المذكور ، فقال له : قد عرفت الداء فما الدواء ؟ فاجابه بان قال : غير المنكر في اقاربك وخدامـــك وسائر رعيتك يبدل الله عليك عاداته عملا بقوله تعالى: « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فامر رحمه الله بتغيير المنكر ، وهرق الخمر ، ثم من جملة ما امر به آن تحرق العشبة الخبيثة في ديوان النصارى بفاس الجديد ، حرق منهـــا القناطيـــر المتعـــددة ... »

الحقيقة ان مثل هذا النص يعد من اهم النصوص التي تحتفظ لنا بها كتب الفقه وكتب النوازل ، لانه زيادة على الحقائق التاريخية التي اطلعنا عليها هـــذا النص فانه يعطينا صورة واضحة المعالم عن شخصية مترجمنا ابي عبد الله ابن عرضون الذي كان لموقفه هذا عدة نتائج :

1 ـ رأينا السلطان احمد المنصور يأمر باراقة الخمر الذي كان يدخره بعض خدامه واعوانه ، وهذا شيء ليس باليسير في حد ذاته لانه ليس من السهل على من تعود شرب الخمر وخزنها ان يتخلى عـــن عاداته اللهم الا اذا كان يخاف عقابا صارما ، ونكـــالا شديدا ...

ويبدو ان امر احمد المنصور في هذا الشان لم تكن فيه هوادة ولا ادنى مسامحة ...

2 ـ احراق القناطير المقنطرة من عشبـــة التبغ ، ولا شك ان احراق مثل هذه القناطير من مادة التبغ كان يشكل بالنسبة لمدخريها كارثة اقتصادية. وغير بعيد ان يكون مدخرو هذه المادة قـــد حاولوا بمختلف الوسائل التملص من تنفيذ الامر السلطاني لكن يبدو أن كل ذلك لم ينفع بتاتا ونفذ الامر .

3 ـ لا شك ان مثل هذا الامر كان له صدى في الاوساط الاجتماعية ، وكان حديـــث النـــاس في مجالسهم واجتماعاتهم ، ولذلك فقد كان للحـــادث تأثير من الناحية الاجتماعية وهو بـــدون شـــك اثار عدة تعاليق مختلفة ، وسر به اقوام ، وشقي به آخـــرون .

4 ـ اعتبرت هذه الفتوى من الناحية الفقهية تعزيزا وسندا قويا للذين كانوا يرون تحريم استعمال التبغ وذلك لان امر السلطان الامام اصبح لصالح هذا الجانـــب .

والحقيقة انه بالرغم من وجود بعض الفقهـــاء الذين كانوا يرون اباحة تدخين التبغ فان الجانـــب المخالف لهم كان اكثر عددا ...

ومهما يكن من امر فان مقالة ابي عبد الله ابـــن عرضون تأثر لها السلطان ، وكان لذلك نتائج حاسمة وفعالـــة ...

وكل هذا ان دل على شيء فانما يدل على قوة شخصية ابي عبد الله محمد بن عرضون الذي استطاع بوضوح أسلوبه ، وقوة بيانه اقناع السلطان مما جعله يصدر أوامره من غير هوادة ولا تردد ...

ولعل قوة بيان ابن عرضون جاءت نتيجة صدقه واخلاصه ، ونتيجة تفكيره في انقاذ مجتمعه ، ولذلك فهو كان يتحين مثل هذه الفرصة ليصدع بمـــا في نفسه ، وعندما وجد الجو المناسب والوقت المناسب

كذلك إبان عن مكنون نفسه ، خاصة ونحن نعلم ان سلطة ولي العهد التي ظلت تسيطر على فاس وعلى اقاليم الشمال مدة من الزمن كان يشوبها كثير من مظاهر الفساد والظلم ولذلك اغتنم محمد بن عرضون هذه الفرصة ليتنفس الصعداء وليساهم فى ازاحة مظاهر ذلك الفساد الذي كان يرين على قصر وبلاط ولي العهد بفـــاس .

ومن المعلوم أنه فى هذه الاثناء كان السلطان قد استطاع ان يقمع طغيان ولي عهده بفـــاس وان يجعله رهن الاعتقال بمدينة مكناس .

وعلى اي فالفقهاء اعتبروا الامـــر السلطانـــي انتصارا لهم واعتبروا ابن عرضون أحسن معبر عـــن مرادهم ولذلك كان لفتواه هذه صدى واي صـــدى فتناقلتها كتب الفقه وكتب النـــوازل والشـــروح والحواشي ، واعتبر ابن عرضون عند الفقهاء مـــن الذين حققوا هدفا نبيلا فى قضية طابة ((التبغ)) .

والحقيقة ان ابن عرضون اضاف بهذه القضية شهرة جديدة الى شهرته التي كان قد اشتهر بهـــا كقاض من قضاة العدل ، وكقاض مقتدر شجاع متحرر، لا يخاف فى اصدار احكام الله لومة لائم ...

لكن بالرغم من كل هذه الشهرة ، والتي اضيفت اليها شهرة جديدة فان مترجمنا ابن عرضون تنوسي كما تنوسي غيره من علمائنا الاجلة ، اولئك العلمـــاء الذين لهم دين علينا نحن كحفدة من أحفادهم ...

تنوسي ابن عرضون بالرغم من كتاباته وتآليفه ، واتساع شهرته ، وبالرغم من تعدد جوانب ثقافته ، وبالرغم من شجاعة مواقفه ونبلها ...

تنوسي مترجمنا ابو عبد الله ــ بالرغم من قصر المدة التي تفصلنا عنه ــ الى درجة ان اصبح بعض الفقهاء المتاخرين يخلطون فى الاسرة العرضونية بين الاخ واخيه ، وبين الوالد وابيه ... !!

ويمكننا فى حلقة اخـــرى ــ ان شاء الله ــ ان نتكلم عن ابي عبد الله محمد ابن عرضون الشاعر ، والاديب ، والمؤلف ... لان شخصية مثل شخصية مترجمنا هذا لا يمكن ان تتناول فى حلقة واحدة .

والى ان تتاح تلك الفرصة نساهم بهذه الالتفاتة السريعة متمنين لتراثنا الاصيل ان يوجد من ينفض عنه الغبار حتى يقدم للاجيال المتعاقبة كمصدر من مصادر الثقافة الغنية بالمعارف الانسانية .

تطوان : عبد القادر العافية

الشاعر الوزير محمد ابن موسى

دراسة شعره -4-

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ومن نثره في هذه المرحلة من حياته في العرائش رسالة ادبية في السخرية والتهكم على طريقة ابن زيدون في رسالته الهزلية (1) والوهراني في مناماته ورسائله (2) كتبها الى فقيه عرائشي (3) جوابا على كتاب في النحو وتدريسه ، وقد جال فيها ما شاء الله له ان يجول مظهرا براعته في امتلاك ناصية الاسلوب العربي الاصيل ، وتصرفه في وجوه التعبير ، وتميزه بالروح الساخرة اللاذعة يقول في اولها :

---

(1) هو الشاعر الاندلسي المشهور احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي (394 – 463 هـ / 1004 – 1071 م) من اهل قرطبة كان سفيرا لابن جهور ثم وزيرا للمعتضد باشبيلية ، اشتهر بحبه لولادة بنت المستكفي الشاعرة ، كان ذا شعر رقيق ونثر بديع له ديوان مطبوع وله رسالتان مشهورتان تعرف احداهما بالجدية وهي التي ارسلها لابن جهور وهو في السجن ، والاخرى تعرف بالهزلية ارسلها للوزير ابن عبدوس منافسه في حب ولادة ، انظر ابن بسام (ابو الحسن علي) الذخيرة القسم 1 الجزء 1 ص 289 وما بعدها طبع القاهرة عام 1358 هـ 1939 م وابن خاقان (قلائد العقيان) ص 73 وما بعدها طبع القاهرة 1320 وبن خلكان (شمس الدين احمد) وفيات الاعيان ج 1 ص 122 وما بعدها ط 1 سنة 1367 هـ – 1947 ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ولصاحب هذا البحث حديث عن الشاعر في كتابه المعد للطبع تحت عنوان « الشعر النسوي في الاندلس » ، المنشور في حلقات بهذه المجلة .

(2) هو محمد بن محرز المعروف بالوهراني من الكتاب الظرفاء (توفي عام 575 هـ موافق 1179 م) رحل الى مصر ايام السلطان صلاح الدين اتصل بالقاضي الفاضل وعماد الدين الاصبهاني الكاتب ، كان يسلك في انشائه طريقة الجد ولما راى انه لا يستطيع ان يجاري اعلام الانشاء في عصره عدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل في الانشاء ويتجلى ذلك في مناماته ومقاماته ورسائله ، انظر ابن خلكان ج 4 ص 19 – 20 والزركلي (خير الدين) الاعلام ج 7 ص 241 ع 2 والدكتورة (سعيدة رمضان) (ابن محرز حياته وآثاره) مجلة كلية الآداب العدد 2 ص 67 – 80 جامعة الجزائر 1970 ومنامات الوهراني ومقاماته ورسائله تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نغش ، مراجعة الدكتور عبد العزيز الاهواني – دار الكاتب العربي القاهرة 1387 هـ – 1968 م .

(3) امسكت عن التصريح باسم هذا الفقيه حتى لانشهر به حفاظا على سمعته وحتى لا نثير الحزازات فالمبدأ الديني اولى عندي بالالتزام من اي امر آخر .

(الحمد لله . وصلتنا رقعة مجهولة من كاتب مجهول تضمنت صورة درس في مبادىء النحو فجهلنا نحن قصد صاحبها من توجيهه بها الينا أولا ثم بعد التامل قليلا ظهر انه ربما قصد واحدا من امور ثلاثة :

اولا ــ الارشاد وما احوجنا الى مرشد عاقل

ثانيا ــ الاسترشاد وانما يسترشد الرجل الكامل الجامع لاشتات المعارف والفضائل وأين الثريا من يد المتناول

ثالثا ــ التعنت وفي ضمنه المكر والبغي ونبرا الى الله من قاصد هذا ومن سبيله ، ونستعينه سبحانه على قمع ابليس وقبيله الخ) .

ثم يقول منتقدا وساخرا :

(ثم انه اورد فصلا لاجل التمرين خلط بنسبته للجاحظ تخليطا ، وسلط صبيان المكاتب على راسه البالغ من الكبر عتيا بالسخرية والاستهزاء تسليطا ، وهنا دارت في هذا الراس الكبير نعرة الفخفخة الخاوية ، فاراد اظهار ما عنده من المعرفة بالوفيات والاطلاع على اخبار القرون الماضية ، فحكم على الجاحظ (4) المسكين بالاعدام قبل ان يستوفي المدة التي قدر الله ان يعيشها بثلاثين من الاعوام ، ولعل هذا الخرف العظيم هاله ، فأراد أن يسلي هذا المسكين على ما ناله ، من هد هذا الركن العظيم من صرح حياته ، فما وجد اقرب اليه من فصل يسرقه وعليه طابع بشر بن المعتمر (5) من جميع جهاته ، وليس للجاحظ فيه لفظ ولا تركيب ، ولا افادة ولا وضع ولا ترتيب ، حاسبا انه واحد من اولئك الذين حينا يتوسل اليهم بالتزلف الكاذب ، وتارة يتفاصح عليهم بـ (ضرب) (يضرب) و (المضروب) و (اضارب) ، وما كان الجاحظ لتروج بسوقه هذه الصفقة الخاسرة ، ولا لتنطلي عليه وهو من هو حيلة بهذه المعارضة الجائرة ، كما ان بشر بن المعتمر رب الفصل وكاتبه ، والقائص على دره الثمين وجالبه ما كان ليرضى بفصل هذا الفصل عن فصوله ، ولا ليقضي عن تشذيبه عدوانا وشاهده من التاريخ يربط صلته بموصوله ، فما اشجع الصفيق في الاغارة على اولى الافكار العالية فيما يعز من بنات افكارهم وما اجراه على التلاعب باعمالهم الكبيرة واعمارهم الخ) (6) .

ومن نثره كذلك الرسالة التي بعثها الى الوزير الصدر السيد محمد بن عزوز (7) ــ وقد سبق الحديث عنها ــ يلتمس منه فيها تعيينه امينا بجمرك العرائش وقد حلاها ابن موسى بروحه الادبية ، وابدى فيها حرصه الشديد على هذا الوظيف مغتنما سنوح فرصة اعفاء الامين السابق ، وارى من المستحسن ومن الفائدة ان اورد نص الرسالة كاملا نظرا لقصره ولكونه وثيقة ادبية تاريخية تعين لنا تطلعات الشاعر ، وتبرمه من الضائقة المادية التي كان يعاني منها :

---

(4) هو عمرو بن بحر الجاحظ (163 ــ 255 هـ / 780 ــ 869 م) من كبار ادباء العربية ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ولد ومات بالبصرة له كتب عديدة من بينها (الحيوان) و (البيان والتبيين) و (البخلاء) ، انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 3 ص 140 وما بعدها وجميل جبر (الجاحظ) ط. 1959 م والمقدسي (انيس) (تطور الاساليب النثرية) ص 168 وما بعدها ط . 1 ــ بيروت 1960 م ، وشارل (بلات) (الجاحظ) ترجمة الكيلاني (ابراهيم) ط. 1961 م .

(5) احد علماء المعتزلة من اهل الكوفة توفي عام 210 هـ موافق 825 م عرف بقوة الجدل واليه تنسب الطائفة البشرية ، له كتب في الاعتزال وله قصيدة تتالف من اربعين الف بيت يرد فيها على المخالفين ، انظر الاسفرائيني (عبد القاهر) (الفرق بين الفرق) ص 156 وما بعدها تحقيق محيي الدين عبد الحميد ــ الناشر مكتبة صبيح وانظر القاضي عبد الجبار الهمذاني (فرق وطبقات المعتزلة) تحقيق الدكتور علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي ــ طبعة 1972 م .

(6) احتفظ بهذه الرسالة .

(7) من موالد فاس (1278 ــ 1350 هـ) تقلب في وظائف سياسية مهمة فكان حاجبا للملك عبد الحفيظ رحمه الله ، جاء الى تطوان مع الخليفة السلطاني المهدي بن اسماعيل عام 1331 هـ موافق 1913 م وتولى رئاسة الحكومة الخليفية الاولى انظر مجلة الاتحاد العدد 48 ــ السنة 5 ذي الحجة 1349 هـ موافق ماي 1931 م .

(الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

سيدي وسندي ومن عليه بعد الله في طريقي الجلب والدفع معتمدي الفقيه الاجل وزير مولانا الصدر الاعظم الوجيه الامثل سيدي محمد ابن عزوز حفظ الله مجدكم وسلام على كريم مقامكم ورحمة الله عن خير سيدنا اعزه الله وبعد .

فهذه سطور اتخذتها سببا اهز (8) به الى بادواح احسانكم المثمرة مقدما على ذلك بقائد من الامل وسائق من الرجاء يحققهما جميل الظن بكم ، ولا حرج على من طلب الخير لنفسه من بابه وسعى اليه متمسكا بأمتن أسبابه ، وما ذلك الا اني ارفع لسدتكم الكريمة حاجة هي في الحقيقة مرفوعة الى الله عز وجل حيث اجتباكم لامثالها واذا أحب الله عبدا صير حوائج خلقه اليه ، وذلك اني علمت ان امين الصندوق بديوانة العرائش استعفى فاعفي فانتهزت هذه الفرصة على ما فيها اذ لم اجد الآن غيرها للتنبيه عن نفسي لديكم راجيا من مراحمكم الاخذ بيدي في الترشيح لهذا الوظيف اعانة لي به باجرته ان رايتموني اهلا للقيام به وأمكن والا فاني على يقين بأنني من كريم نظركم بمكانة ارتجي من ورائها كل ثمينة من صنائعكم الجمة ايد الله عزكم وبارك في عمركم بوجود جلالة مولانا المعتز بالله ايد الله عزه وتأييده وعلاه . آمين وعلى الخدمة والسلام على مقامكم الكريم ورحمة الله في 25 ربيع الثاني عام 1340 هـ) .

وفي تاريخ 24 محرم عام 1356 هـ موافق 6 ابريل 1937 (9) اعفي ابن موسى من وظيفة امين صندوق بجمرك العرائش وانتقل وزيرا للاوقاف في الحكومة الخليفية في هذا العام نفسه بتزكية واقتراح على الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي (10) من رئيس الديوان الخليفي المرحوم السيد احمد بن البشير الهسكوري (11) الذي كان يعرف للشاعر مكانته وقدره .

واذا كانت المرحلة العرائشية – كما أسلفت – في حياة الشاعر الادبية خصبة ، فقد كانت المرحلة الثانية من حياته في العاصمة أوائذ اخصب واغنى ، اذ اتاحت الظروف المتعددة لشاعريته ان تنطلق بأذلة ساخية تحلق في اجواء مختلفة ، معبرة عن حياة الشاعر الجديدة في العاصمة ، او ليست تطوان ملتقى رجال الفكر والادب والسياسة تختلف مناخاتها

(8) العبارة مقتبسة من قوله تعالى (وهزي اليك بجذع النخل تساقط عليك رطبا جنيا) (سورة مريم الآية 25) .

(9) اعتمدت في هذا على ظهير اعفائه وتعيينه وتحت يدي نسخة مصورة منه وقد نشرته الجريدة الرسمية العدد 1 السنة 25 – 9 صفر 1356 موافق 20 ابريل 1937 م ومن الجرائد التي تحدثت عن توليته جريدة الوحدة المغربية تحت عنوان (وزير الاحباس الجديد) العدد 19 – السنة 1 – 29 محرم 1356 هـ موافق 11 ابريل 1937 م .

(10) ولد بفاس وانتقل مع أبيه الى تطوان ، تعاطى العلوم الاسلامية والعربية على شيوخ خصوصيين من بينهم الشيخ احمد الزواقي وتعلم الاسبانية فاتقنها ، تولى الخلافة السلطانية يوم 20 ربيع الثاني عام 1344 هـ موافق 8 نونبر 1925 م ، وبعد الاستقلال عين سفيرا للمغرب بانجلترا ثم سفيرا بايطاليا واليوم يعمل واليا لبنك المغرب ، انظر مجلة الانيس العدد الخاص بالزفاف الخليفي – السنة 4 – 4 شعبان عام 1368 موافق فاتح يونيو 1949 ومجلة المعرفة العدد الخاص بالزفاف الخليفي السنة2 8 شعبان 1368 موافق 5 يونيو 1949 .

(11) من عائلة مراكشية معروفة عملت في خدمة السلطان (1333 – 1381 هـ / 1915 – 1961 م) انتقل الى تطوان صغير السن تربى في القصر الخليفي ، التحق بمكتب الفقيه ابن تاويت ثم تلقى العلوم الاسلامية والعربية على أساتذة القصر ثم التحق بالمدرسة الاسبانية فنال بها الشهادة الابتدائية والثانوية ، عين كاتبا بالباشوية ثم أمينا للصائر (القسم الاقتصادي) بالقصر الخليفي ثم رئيسا للديوان الخليفي وكان يباشر بجانب ذلك مهمة الكاتب العام للحكومة ، كان مثالا في العمل الجاد والمعاملة الطيبة واغاثة المحتاج ، وبعد الاستقلال انتقل مع الخليفة الى انجلترا كاتبا خاصا له ، وتوفي هناك بعد سكتة قلبية فنقل جثمانه الى تطوان ودفن بزاوية سيدي عبد الله الحاج ، انظر بعض المعلومات عنه في مجلة الانيس العدد الخاص بوفاته – السنة 5 – مارس – أبريل 1949

عن اية مناخات اخرى في اية مدينة من مدن الشمال؟ او ليست وظيفته السامية تجعله يعيش جوا غير الجو الذي كان يعيشه في العرائش ؟ فهو في ركاب الخليفة كلما سنحت الفرص – وما اكثرها – بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف على صاحبه افضل الصلاة والصلام ، او بمناسبة عيد الجلوس او بمناسبة عيد الكتاب او بمناسبة اخرى غير هذه او تلك يسجل ذلك في شعره او نثره غير ضنين .

ان الشاعر اصبح وزيرا للاوقاف ومن المقربين للقصر الخليفي فأحرز بذلك ضالته التي طالما كان يتطلع في تشوق الى مثلها ، وحقق الرؤى التي طالما داعبته وهو في مدينة العرائش ، لهذا لم يدخر وسعا في ان يكون عند حسن ظن الخليفة ، وقد عرف له الخليفة مكانته العلمية والادبية فلم يكن يستغني عنه في كل امر هام يتعلق بالمراسلات والمكاتبات الرسمية (12) ، وتصدر الوفود في المناسبات داخل العاصمة او خارجها ، ففي سنة 1938 م بعثه الخليفة رئيسا للوفد (13) بقصد اداء مراسم التهنئة لجلالة الملك محمد الخامس رحمه الله اثر عملية اجريت له فألقى بين يديه خطابا قيما من انشائه باسم الخليفة قال في أوله :

(مولاي صاحب الجلالة :

ان كانت للحوادث التاريخية قيم تعظم بمصادرها ومواردها وصور تجمل بنتائجها وآثارها ، فان أعظم حوادث الحاضر قيمة ، واطيبها أثرا واجملها صورة وأكرمها نتيجة هو ما كسا ذاتكم الكريمة من حلل الشفاء وشملها من أردية العافية وأحاط بها من أمداد التقدم في مدارج الصحة احاطة الشعاع بالمصباح المستنير) .

ويقول متحدثا عن ابتهاج الخليفة بشفاء جلالة الملك والغاية من بعثة الوفد الخليفي :

(لقد كان أعظم الناس ابتهاجا بهذا النبا السار واوفرهم غبطة باقتبال بشائره العظيمة خليفة جلالتكم المفوض بشمال مملكتكم السعيدة صاحب السمو مولانا الحسن بن مولانا المهدي ابن عم جلالتكم المقدس مولانا اسماعيل وما كان حفظه الله في غبطته وابتهاجه الا ملبيا صوت الفريزة التي تربطه بجلالتكم من وشائج الارحام وقائما بواجب الولاء .... وما كاد يبدي واجب الابتهاج بهذه المنة العظمى ويقضي وطره من الاعتبار باظهارها .... حتى أمر بتشكيل هذا الوفد الحاصل على غاية الشرف بالمثول باعتابكم الشريفة ليؤدي لجلالتكم فروض التهنئة نيابة عن سموه الكريم ....)

ثم يختم الخطاب بقصيدة من انشائه تتألف من احد عشر بيتا يستهلها بقوله :

فالفضل منكم به الآمال تبتهج
وتمرح النفس والارواح والمهج

اذا رضيتم تبدى الكون مبتسما
ومن عيون المنى في طرفها دعج

كما بعث ضمن وفد رسمي وبصحبته وزير العدلية الفقيه السيد محمد أفيلال (15) بمناسبة الرحلة التي قام بها المغفور له الملك محمد الخامس الى فاس ، وقد جادت قريحة الشاعر بهذه المناسبة بقصيدة عصماء وصف فيها الرحلة الملكية ، وزيارة الملك لضريح المولى ادريس وتدشينه المدرسة

---

(12) من بين هذه المراسلات الرسمية رسائل موجهة من الخليفة الى جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله واحتفظ ببعض منها .

(13) تحدثت عن الوفد الخليفي جريدة الوحدة المغربية العدد 55 – السنة 2 – 29 جمادى الثانية 1357 موافق 26 غشت 38 .

(14) لقد اوردت هذه الخطبة جريدة الوحدة المغربية – العدد السابق .

(15) من علماء تطوان (1301 – 1388 هـ / 1884 – 1968 م) درس بمسقط راسه تطوان ومن شيوخه بها السيد احمد الزواقي والسيد احمد الرهوني اتم دراسته بفاس ، ومن شيوخه بها شيخ الجماعة السيد احمد بن الخياط ، تولى مهمة كاتب أول بوزارة العدلية ثم مستشارا بها وبعد ذلك تولى وزارة العدل ، من انتاجه (تنبيه الاكياس للاقتصاد في المآتم والاعراس) صدر حديثا وقد قام باخراجه صهره الاستاذ السيد الحسن ابن عبد الوهاب ، انظر ترجمته في ظهر الغلاف من كتابه المذكور .

القرءانية والابتهاج الذي ابداه أهل فاس قاطبـة ، وذلك يوم 9 جمادى الثانية 1362 يقول فى مستهلها :

اتاحت لك الاقدار ما كنت سائـلا
ولاقت بشاف من مناك الوسائـلا

ثنت شرد الآمال نحوك فانثنـت
اواخرها تحدو اليـك الاوائـلا

الى ان يقول مشيرا الى الجمع الذي انعقـد تحت رئاسة جلالة الملك بمشور (الدكاكين) بفاس فى الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين 10 جمادى الثانية 1362 هـ وامتد الى الساعة الثانيـة عشرة والربع ، وشارك فيه الشاعر ووزير العدلية باستدعاء رسمي وفى هذا المجلس وقع الانعام عليهما بالعضوية الشرفية فى المجلس بظهيرين (16) :

ولم انس (جمعا) كنت بدرا لافقه
وقد كان من حلي الدلالـة عاطـلا

نهجت به نهج الهدى فتفتحـت
قرائحه تنفي عن الحق باطـلا

يقول قرير العين منه بما يـرى
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا(17)

وعندما اعلن الزفاف الخليفي رسميا واقيمت الحفلات المختلفة بهذه المناسبة فى شهر رجـب 1368 هـ موافق ماي 1949 نظم الشاعر ابياتا وكتبت على مناشير فالقتها الطائرة على الجماهير التطوانيـة منهـا قولـه :

دامت البشرى وأفراح الزمـن
لامير المجد مولانا الحسـن

بزفـاف جمعـت اعلامـه
بين روح العز دوما والبـدن

وفى هذه المناسبة نفسها قال قصيدة اولها :

أدر كئوسك ان الصبح قد وضحـا
وصارم الشرق من فرق الدجى لمحا

والزهر من كرع أفواف الندى ثمل
بادى الكرى فاذا هب النسيم صحا

يصافح الطرف من احداقه حـور
ويفعم الجو منه الطيب ان نفحـا

وحينما يأتي المولد الشريف على صاحبـه ازكى الصلاة واعطر التسليم ، تتندى احاسيس ابن موسى ، وتحتشد فى خاطره الافكار مشرقة عطـرة فينقل ذلك الى الشعر فتكون المولدية التي يلقيها بين يدي الخليفة وفيها يغتنم الفرصة فيمدحه ما شاء له المدح . يقول فى احدى هذه المولديات :

حل ثغر الربيع عنـد افتـراره
شنب عم وجهه بازدهـاره

ورواء تجول فيـه المآقـي
فهي حيرى فى طرفه واحوراره

ثم يتحدث عن المولد قائـلا :

ليلة المولد التي أسفرت عـن
نور شمس الهدى وقطب مداره

صفوة الله من جميـع البرايـا
مرتضاه والمجتبى من خيـاره

---

(16) كذا عند الشاعر فى تعاليقه على القصيدة .

(17) عجز البيت من قول طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي (نحـو 86 ـ 60 قهـ هـ / 538 ـ 564)
ستبدي لك الايام ما كنـت جاهـلا ويأتيـك بالاخبـار من لم تـزود
وهو من معلقتـه التـي مطلعهـا :
لخولة اطـلال ببرقـة ثهمـد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد
انظر الزوزني (الحسين بن احمـد) شرح المعلقات السبـع ص 61 ـ ط. 3 ـ 1973 ـ دار لبنان بيروت وانظر الدكتور بـدوي طبانـة معلقات العرب ص 112 وما بعـدها ط 3 1394 / 1974 دار الثقافة بيروت .

ثم يعرج بالحديث عن الخليفة :

يا اميرا تهفو القلوب لمـــرآ

ه وتعنو لنهيـــه وائتمـــاره

وسريا يلقى الوفـود بطلـــق

باسم الثغر فى خلود وقـــاره

وحينما يقبل شهر رمضان المبارك يتقدم الشاعر الى الخليفة مهنئا بهذه الابيات :

يا اميرا أوضـح الله بـــه

لمن ارتاد الهدى نجم الهـــدى

صم هنيئا بجلابيـــب التقـــى

رافلا بالعز فى اعلـى مـــدى

واقتبل دهرك عيدا باسمـــا

كـــل يـــوم بسرور مبتـــدا

واقد كانت الدوائر الثقافية فى تطوان وباقي مدن المنطقة الخليفية تحتفل فى اليـــوم الثالـــث والعشرين من شهر ابريل كل سنة بعيد الكتاب (18) تتبارى فيها الاقلام ، وتقام المعارض للكتاب العربي والاسباني وتباع الكتب بأثمان زهيدة ، وكان يحضر هذه الاحتفالات الخليفة والمقيم الاسبانـــي العـــام ورجالات الدولة والهيئات الثقافية ، ولم تفت شاعرنا ابن موسى احدى هذه التظاهرات الثقافية دون ان يسهم بنصيبه فيها ، فكتب مقالا قيما على النهـــج الاصيل فى طريقة التناول والمعالجة بمناسبة عيد الكتاب لسنة 1950 تحت عنوان (كتابـــي الكريـــم وقلمي البخيل) وقد ابدع فيه وحلق يقول فى اوله :

يهـش الكتـــاب الى ناظـــري

فاهتف شوقا اعيدوا صباحـــي

وينبو يراعي فـــلا ارعـــوى

الى ان اصافح راحي براحـــي

لم ازل منذ رجم بي ريعان الصبا شيطان جنونه ونبا بي عن ميدان اللهو بجمعات جفانـــه ولمحـــات جفونه ، فأشرفت من الكتاب على اقوم سبيل مـــن اشرف علم ، واهتديت بأسباب الخلق النبيل وربك الاكرم الذي علم بالقلم (19) ، انص ركاب القريحة ، واقص آثار الغرر من الفكر الصريحة متوســـلا الى الحظوة بالراكضين فى كل حلبة ، وتوصلا بالخطـــوة الى الضاربين فى كل لبة ، والجائلين فى كل شعبة ، حيث ينفحان بالمعروف ، فيشهد لهمـــا الاحســـان بالثروة ، ويسمحان بالظرف فى المظروف ، فيرفعهما الزمان والمكان الى الذروة وتقف منهما مشاعر الاعجاب بين الصفا والمروة) .

ثم يقول فى الكتاب : وبأي سمة اسمه واحليه وعلى اي معراج من معارج التكريم ارفعه واعليـــه ، وهو شقيق نفسي وربيع انشراحي وانسي ، والصورة الجليلة لعامل الرفع فى ماهية جنســـي ، اغـــادى شموسه فتلوح بالبشر قسماته ، واراوح شموعـــه فتروح بالنشر بسماته)

ثم يقول فى القلم :

(وما ذا اصف من عارم لا يزال يخزني بشوكة شماسه ، ويكزني بعرامه المضني وركوب راسه ، انه يطيش حيث اميل الى الرزانة ويبهم مع حرص على الابانة ، ويميع والمقام يقتضي المتانة ، ، ويصر على الجماح فلا املك عنانه الخ) .

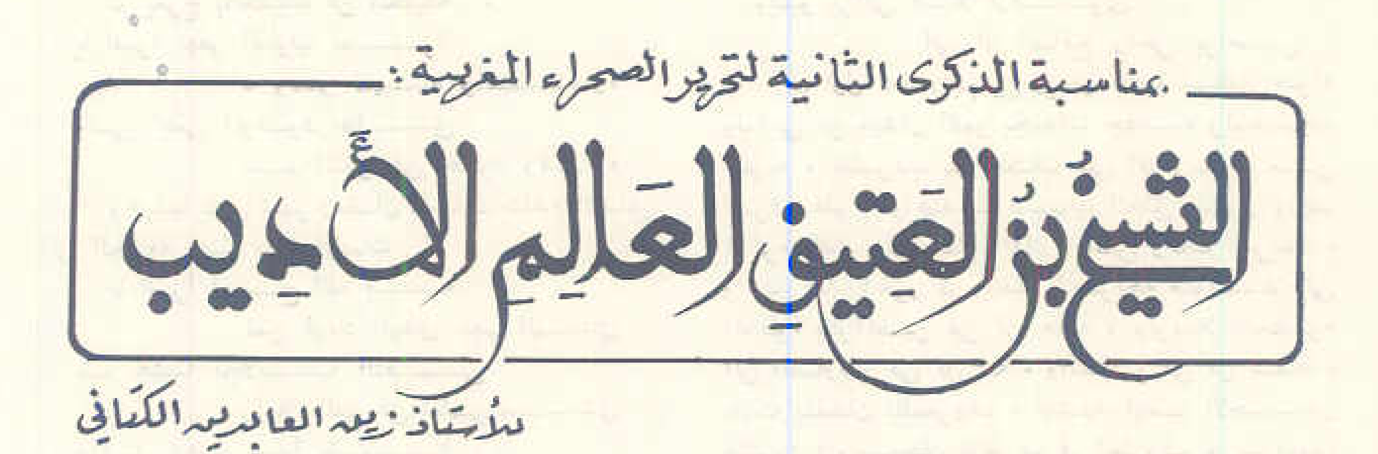
ـ يتبـــع ـ

تطوان محمد المنتصر الريسوني

(18) صدر ظهير خليفي مؤرخ فى 15 محرم 1359 م ينص على الاحتفال بالكتاب العربي الاسباني فى المنطقة الخليفية فى اليوم الثالـــث والعشرين من شهر ابريل من كل سنة ، وصدر ظهير ثان فى الموضوع نفسه فى 15 ربيع الاول 1360 هـ موافق 23 ابريل 1941 م ، انظر الظهيرين بالجريدة الرسمية العدد 10 ، السنة 26 ـ فاتح ربيع الاول عام 1359 هـ موافق 10 ابريل سنة 1940 ، والجريدة الرسمية العدد 12 السنة 12 الســـنة 29 ـ 3 ربيع الثاني 1360 هـ موافق 30 ابريـــل 1941 م وأول احتفال بعيد الكتاب كان يوم 23 ابريل سنة 1940 م ، والجدير بالذكر ان فكرة عيد الكتاب من العادات الثقافية الاسبانيةوقد تحدث بتفصيل عن عيد الكتاب فى المنطقة الخليفيـــة باسهاب وتفصيل بالديراما فرناندو مارطينيس فى كتابه الضخم (تاريخ العمل الثقافي لاسبانيا فى المغرب 1912 ـ 1956) ص 704 ـ 720 ـ دار الطباعة المغربية تطوان 1956 .

Historia de la accion culturel de Espana en Marruecos 1912-1956. Por valderrama fernando martinez P. 704 - 720 Editora marroqui-Tetuan 1956

(19) اقتباس من قوله تعالى « اقرا باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الاكرم . الذي علم بالقلم » (سورة العلق الآيات 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 .



بمناسبة الذكرى الثانية لتحرير الصحراء المغربية :

الشيخ بن العتيق العالم الأديب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

لم يتميز أحد من أدباء الصحراء المعاصرين بحبه للادب ، وخدمة الادب ، واخلاصه للادب الرفيع كما تميز بذلك الشيخ ماء العينين بن العتيق آل الشيخ محمد فاضل آل الشيخ ماء العينين .

واذا كان الشيخ بن العتيق قد اخلص للادب في جميع مراحل حياته بالرغم من حبه للفقه والاصول بالذات ، فان اخلاصه هذا كان السبب الاول ليتميز صاحبنا بادبه الرفيع مما جعل شعره على كل لسان وفي كل منتدى ورشحه ليكون اديبها الاول ...

نشاته :

ولد ابن العتيق بالسمارة في حضن والده ، شقيق الشيخ الاكبر الشيخ ماء العينين وذلك سنة (1307 هـ / 1887 م تقريبا في بيته ومع اخوته الابرار حيث نشأ في وسط كله يزخر بالعلم والورع والصلاح ، وكانت هذه النشاة سببا اساسيا في بلورة شخصيته وطبعها بطابع قوي .

وما ان اينع عود اديبنا الصحراوي وترعرع شبابه حتى ظهرت عليه مخايل الذكاء والعبقرية . وحب الادب والعلم والاهتمام بالافاق العلمية وبالمراجع وامهات الكتب .. فغمره والده ـ بزمرة من الاساتذة والمعلمين بالاضافة الى ما كان يزخر به بيتهم الشريف . مما زاد في تركيز معارفه ، وبلورة حبه للادب الاصيل وتضلعه فيه .

ولقد تفتحت آفاق ابن العتيق في حقبة دقيقة كان المغرب فيها يومئذ يقطع مراحل جديدة في حياته حيث كانت تبدو في هذه الفترة الدقيقة مخايل المسالة المغربية ، وتلوح في الافاق مشيرة الى ما كان يعبث به المستعمرون الذين كانوا يومئذ يوطدون وجودهم وجيوشهم الاستعمارية في شرق البلاد ، في حين كانت دعوة الفاضلية (1) المجاهدة قد بلغت القمة سواء في ربوع البلاد المغربية او

(1) طريقة الشيخ ماء العينين .

فيما جاورها من بلاد افريقية التي كانت تعيش المناوشات الاستعمارية الدولية المتواصلة .

وهكذا وبعد ان اخذ اديبنا من مختلف العلوم حظه ومن السلوك ما يسمح به عمره ، انتقل للعمل بزاوية والده فانقطع للتعلم تارة ، ولتعليم من هم دونه تارة اخرى الى ان قوى عوده وترعرع واصبح يجالس العلماء والفقهاء والادباء ، وفي هذا الوقت كان اديبنا ابن العتيق قد سيطر على آفاقه الادبية حبه للادب وقراءة الكتب الادبية ، ولذلك ترك لنا شخصية ادبية لامعة الى ابعد الحدود كما سنلمس ذلك في تناولنا لهذه الشخصية الكريمة .

كذلك نجد أن اديبنا قد تربى ونشأ على حب بلاده وخدمة وحدتها منذ نشأ ، وبذلك فقد كان اول ما بادر به هو الرحلة الى شمال البلاد اكثر من مرة ، زار تطوان سنة 1939 ، ونزل مع وفد الصحراء ضيفا على مركز حزب الوحدة والاستقلال وخلف في هذه الرحلة ذكريات رائعة سنعود اليها ...

ثم انتقل بعد اعلان الاستقلال مباشرة الى العاصمة ضمن الوفود الصحراوية سنة 1956 م وقد عين بعد ذلك بالكلية اليوسفية استاذا حيث اشتغل بها الى ان انتقل الى عفو الله ، وقد خلف في هذه المدة نتائج طيبة ، واثرا حميدا سواء بين الطلبة، او مع رفاقه العلماء ، او في مختلف الاوساط الاخرى في جميع الجهات التي زارها ...

وقد ظل اديبنا بمراكش الى ان وافته المنية بها سنة (1377 هـ ـ 1957 م) رحمه الله .

مظاهر حياته :

وهكذا فمن خلال ما نتوفر عليه من المواد وما بين ايدينا من المعلومات والوثائق نستطيع ان نؤكد ان اديبنا الفذ ابن العتيق قد تميز عن جميع الادباء المعاصرين له من ادباء الصحراء وعلمائها بخدمته للادب ومحاولة تجديده دائما للقصيدة الشعرية في جميع مراحل حياته بالرغم من تضلعه في مختلف العلوم والفنون العلمية الاخرى مما جعل شعره على كل لسان ، وفي كل منتدى ، وهدف كل

مثقف .. نتيجة نبوغه المبكر وعبقريته الفذة حتى « سارت بأخبار نبوغه في المعارف الركبان .. فكان منذ صباه محل اعجاب الشيوخ والشبان . ومثار غيرة الاتراب والاقران » ثم لما بلغه من اليد الطولى فيما سوى الادب من المعارف والعلوم (2) .

خاطبتني فوددت كل جوارحي
شوقا لنطقك ان تكون مسامعا

وصفيت فضلا لي فوددت لو كانت
نواطق حيث كنت السامعا

اما طابع ادبه واسلوبه وجملته فاننا نجد ان العلامة ابن العتيق يعتبر بحق « ممن يتميزون من الصحراويين بسلاسة الالفاظ ، وعذوبتها ، واستعمال السهل المتعارف منها ... » (3)

وهذه الصفات المكتسبة عن جدارة واستحقاق جاءت نتيجة جد وكد ، جعلت انتاج صاحبنا قويا وعزيزا يتميز بمميزات شخصيته ، وطبيعته التي تعبر في كثير من الواقعية عن خصائص تفكيره الانساني الواضح الذي تميزه خصائص طبيعية وموهبة .

اما موضوعات شعر الشيخ ابن العتيق المتمثلة في ديوانه الضخم الموجود فيمكن ان نحددها فيما يلي :

شعره الخاص :

شعر الوحدة : نظمه العلمي ويتمثل في مدونيه الفقهية المهمة .

والحقيقة التي لا مراء فيها ان ابن العتيق العالم الاديب الذي جمع خصائص انفرد بها في حياته الادبية والعلمية تجعل المتتبع لانتاجه على اختلافه يلمس نفس هذه الخصائص ويحسها في اعجاب وتقدير ، وذلك ما سنحاول تحليله من خلال شخصيته العلمية والادبية .

---

(2) شاعر الوحدة محمد الكبير العلوي .
(3) نفس المصدر .

ابن العتيـــق الفقيـــه :

يقول الاستاذ بشيرنا بن الشيخ محمد الاغظف عن العلامة ابن العتيق العالم الاديب :

« قضي ابن العتيق اكثر عمـره قاضيا عـدلا نزيها ، ببلده ، ولو عاصره صاحـب (الوسيـط) لاتخذه الدرة العصماء في حلي جيد شنجيط ، ولو التمسنا له الاقران والامثال في اي جميل ما وجدنا أولى به واحق (4) .

والحقيقة التي لمسناها فيما أشرنا اليه من قبل من خصائص ومميزات شخصيته العلمية والادبيـة سواء بالنسبة الى ثقافته او بالنسبة لقيمة هـذه الثقافة ووزن انتاجه بصفة عامة نجدها ايضا تتمثل في مدونته المنظومة منذ حوالي ثلاثين سنة والتـي كان يتوخى منها تجديد اسلوبها الفقهي في وقـت كثرت فيه المشارب ، وتضاربت وجهات نظر المفتين .

ونظرا لمركز هذه المدونة وقيمتهـا العلميـة والادبية ، لا بد من تناولها في هذه الدراسة ولـو بالتعريف بها نظرا لقيمتها وتسمى مدونته التجديدية هذه : **« النظم المسمى بالبغية من ملخص الاحكام الشرعية على المستمد من مذهب المالكية » (5) .**

وقد قسمها المؤلف الى هذه الاقسام :

القسم الاول : في القضاء ومتعلقاته وفيه سبعة ابواب تندرج تحت كل باب فصول ، وهذه الابـواب تتنـاول :

القضاء والمحاكمات ، والعلـم ، والشهـادة واحكامها ، والاقرار واحكامه ، اليمين واحكامه ، اما الباب السابع فيتناول أمورا لها ارتباط بالقضاء .

ويتعلق **القسم الثاني** بالحقـوق الماليـة ، والاحوال الشخصية ، وفيه خمسة ابواب تتصـل بالنكاح ومتعلقاته ، والطلاق وتوابعـه ، ثم الايـلاء والظهار ، واللعان والحضانة واحكام النفقة واحكام الحجر والرشد ، وتحت كل باب فصول .

وقد خص **القسم الثالث** : من الكتاب بالمعاملات والنزعات وفيه خمسة عشر بابـا .

البيوع واحكام الاجارة والكراء واحكام الرهن والمزارعة والمغارسة والمساقات ، والوكالة والهبة واحكامها ، والشركة ، والقراض والكفالة والحوالة والغصب العادية واحكامها ، واحكام الشفعة ، والقسم واحكامه ، والاستحقاق ، والوقف واحكامه ، الوصية والعتق وما يتصل به ، وتحت هذه الابواب فصول .

اما **القسم الرابع** : فيتناول الدماء والحـدود والمواريث ، وتتفرع عن هذه المواضيع فصول اخرى .

وينتهي الكتاب بخاتمة في كيفية الاصول العلمية لفرائض والمخالفات ثم « تكميل » خاص بالاقـرار والانكـار .

وتشتمل مدونة العلامة ابن العتيق الفقيه على 980 بيتا شعري انتهى من تاليفها سنة (1359 هـ / 1939 م) وقد قرظها عالمان جليلان هما : الاستـاذ سيدتي بن الشيخ احمد الهيبة الاديـب الشاعـر المشهور بمدينة طانطان ، ويقول في تقريظه :

الفيـه بين الشوارد الفـت
فنجومهن يجوها تتالـــق
لخلاصة الاحكام فيها لخصت
وبعقد معتمداتها تتطـــرق

كذلك قرظ المدونة العالم الجليل السيد محمد سالم بن عبد الفتاح العلوي بمقطوعة جيدة .

وهكذا فاذا ما حاولت في هذا العرض ان القي اضواء على هذا الاثر الثمين ، الذي خلفه لنا ابـن العتيق العالم الاديب فان الذي توخيته اولا وقبل كل شيء هو التعريف ، بالافاق الفقهية التي كان يهتم بها صاحبنا وخاصة في الموضوعات الجديدة التي لا زال كثير من علمائنا يعتبرونها لغزا ويتحاشون الخـوض فيهـا حتى الآن .

وقد يتبادر الى ذهن القارىء ان ابن عتيـق الفقيه كان ضيق الافاق وهو يقوم بعمله الجليل هذا

---

(4) جريدة (صحراؤنا) العدد : 30 دجنبر 1967 .
(5) لا زالـت مخطوطـة ، اطلعت عليهـا .

الذي حدده في مذهب الامام مالك ، ولكن المهم هو ان صاحبنا حاول ان يتطرق الى موضوعات جديدة وبتفصيل في مذهب المغرب المالكي وذلك ما ارتكز عليه وانا اتناول هذا الموضوع .

ابـــن عتيـــق الاديـــب :

بعد ان تعرفنا على الجانب العلمي في حياة اديبنا الفذ فمن المؤكد ان نلتقي معه في ادبه ومميزات هذا الادب الذي تميز كثيرا بالخصائص الذاتية . التي كانت نتيجة ثقافة مركزة متنوعة ارتكزت على كثير من الاعتبارات المميزة له وهو في طور التكوين .

واذا رجعنا قليلا الى الوراء الى تكوين اديبنا فاننا نجده قد تلقى دراسته الاولية على والدته العالمة الفاضلة فدرس عليها ولمدة طويلة :

— المبادىء الاولية .

— علوم اللغة العربية .

— ثم الفقه الاسلامي .

وبعد ذلك انتقل الى الدراسة العالية فدخل لمدرسة جده والد والدته الشيخ ماء العينين الاكبر كما كان يلازم في نفس الوقت الشيخ محمد الغيث والشيخ محمد العاقب ابن مايابى الجكني وغيرهم من فطاحل علماء المدرسة العينية يومئذ ..

وهكذا بالاضافة الى ذلك كرس ابن العتيق كل جهوده لمواصلة حلقات العلم والاستفادة من علماء وقته المترددين على الزاوية المذكورة حتى أصبح مضرب الامثال في جده وتحصيله ، واستحق ان يحمل لقب شاعر الصحراء .

واذا انتقلنا الى بحث حصيلة ابن العتيق الادبية فاننا نجده رحمه الله قد خلق لنا :

اولا : ديوانه الشعري .

ثانيا : مدونته الفقهية .

ثالثا : رحلته الحجازية .

رابعا : كتاب « قرة العين في كرامات الشيخ ماء العينين » .

ديـــوان ابـــن العتيـــق :

للشيخ ابن العتيق ديوان مهم ضخم يمكن ان نحدد موضوعاته الشعرية فيما يلي :

— شعره المبكر : شعر الغزل الوصفي .

— شعره فيما يعرف بالاخوانيات .

— شعر الوحدة وهذا النوع ينقسم الى قسمين :

1) شعـــره قبل سنة 1956 .

2) شعره بعد سنة 1956 .

— نظمه العلمي ويتمثل في مدونته الفقهية المهمة السالفة الذكر .

— واذا كان شعره يتناول الموضوعات التي حددناها ، فان هذا التحديد يفرض علينا ان نتوقف عند كل نوع منها لنوضح ما نستهدفه في هذه الدراسة ، ثم لنقف بالخصوص عند الغرر الادبية التي تتصل بالوحدة الوطنية ما دام اديبنا قد أخلص لذلك . وحافظ على مركز هذه الوحدة الى آخر رمق حياته .

ويتحدث الاخ الاستاذ حمداتي شبيهنا آل الشيخ ماء العينين عن شعر ان العتيق فيقول : (6)

« له اشعار كثيرة في فنون شتى من ادب وحكم وغزل ومدح للنبي صلى الله عليه وسلم ، وشعر الوحدة يمتاز بمميزات وخصائص تنعدم في شعر الصحراء » .

وفيما يلي نلتقي مع نماذج من شعر ابن العتيق الاديب في هذه الاغراض حيث يقول متغزلا وواصفا في التزام :

الهت فولت بالحجى من تشوقه
ولم يدر طعم الشوق من لا يذوقه

---

(6) من تقييد خاص .

غداة التقينا للوداع فأدبرت
وجمر الجوى في الصدر يذكي حريقه

فاتبعتها عيني بنظرة مشفق
من البين لاقى منه ما لايطيقه

فصادفتها تدلي الى الساق مئزرا
ابى الردف الا ان يعز لحوقه

فقلت لها والقلب مني سائقها
مسوق اليها كيف شاءت تسوقه

اعجبا ، بحسن الساق منك تزينه
تخالين من يرنو اليه يروقه

فردت الى الوجه والثغر باسم
تلوح على مساء الثنايا بروقه

وقالت لحا الله الازار فانني
ان ادليته لم ادر ماذا يعوقه

فقلت لها لا تعذليه فانما
بردفك مقطوع عليه طريقه

ويقول الاستاذ ابشيرنا بن الشيخ محمد الاغظف فيما كتبه عنه :

« اما مقتطفاته الغزلية : فهي من السحر الحلال الذي هو الذ على النفوس من العذب الزلال ، واذا كان في الشعراء من هم فتاك ماجنون يصفون في غزلهم ونسيبهم ما يعلنون به في اشعارهم وتهتكهم ليشهدوا عليهم حتى من لم يرهم « يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم » فان امثال ماء العينين ابن العتيق من المولعين باكتساب المزايا المترفعين عن المخازي والدنايا وانما يتعاطون ذلك امتحانا لقرائحهم واظهارا لاقتدارهم وبلاغتهم ويتخذونه استراحة نفسية من ضنى الاعمال الجدية (7) .

اما شعر الحكمة فناخذ من قصيدة طويلة هذا البيت الرائع :

كفى المرء (غبنا) للقواة حضاره
وكم لكبار الذنب اغرت صغاره

واذا كنا قد اوضحنا ان شعر الوحدة ينقسم الى قسمين :

— الى ما قبل سنة 1956 .

— الى ما بعد سنة 1956 فاننا نجد ان شعر الوحدة في الفترة الاولى قد ارتكز عند اديبنا في ثلاثة صور :

— الصورة التي خاطب بها صديقه الفقيه السيد احمد بن موسى وزير الاحباس في الحكومة الخليفية بتطوان سنة 1937 عندما جاء الى تطوان من افني فطلب منه صديقه الوزير ان يجيزه « على عادة العلماء في طلب الاجازة ممن يرونه متفوقا عليهم » فاجابه ابن العتيق بهذه الابيات التي التزم فيها وهي قوله :

جعلت لكل مأثرة مجازا
وشئت من التواضع ان تجازى

فشئت اجازتي اياك فضلا
لو ان الامر منعكس لجازا

هنيئا قد أجزتك دون قيد
اجيز وانت افضل من اجازا

اليك زمامها البلغاء ترمي
اذ ارمت القريض والارتجازا

وانت بحبلها الطرف المجلى
اذ ارمت الحقيقة والمجازا

جزيت برعيك الادب ابن موسى
باحسن ما الاديب به يجازى

اما الصورة الثانية : فهي التي يحدثنا عنها مراسل جريدة (الوحدة المغربية) التي كانت تصدر بالشمال بتطوان (بتاريخ اكتوبر 1936) حيث يقول المراسل :

« بينما الحاضرون في سرور وانشراح من لذة الخطاب والجواب اذا بالاديب النابغة عبد الوهاب ابن منصور يتقدم للميدان فيلقي على الاسماع أبياتا جادت بها عبقريته الوقادة جمع فيها بين الترحيب وطلب الاجازة من الشاعر المفلق الاستاذ ماء العينين ابن العتيق قال لا فض فوه :

(7) جريدة (صحراؤنا) ع : 29 — 27 — 9 — 1967 .

ان جيد العلى بكم قد تحلى
وشعاع الصلاح منكم تجلى

وغراما فى الله يجمعنا الآن
وحب الاله كالشهد أحلى

أيها الزائرون شرفتمونا
مرحبا بالسراة اهلا وسهلا

فاجزني يا بن العتيق فانتم
فى سماء القريض أسمى واعلى

فأجابه واجازه بقوله :

هذه الخمر بل من الخمر أحلى
بل هي الحر نفت هرون يتلى

هي أبيات التي ما لها فى
سلك شعر يستطيع ذو النظم شكلا

رمت فيها اجازتي يا بن منصور
وقد كنت للاجازة اهلا

أما شعر الوحدة بعد سنة 1956 فيمثل فى :

أولا : القصيدة التي انشدها بمناسبة عيد الفطر وعودة جلالة الملك وعيد الاستقلال فى مارس سنة 1956 وتحتوي هذه القصيدة على 37 بيتا ومطلعها :

تتابعت البشائر والخيور
بحمد الله واتصل السرور

وصبح السعد لاح له ضياء
وروض الفوز فاح له عبير

* * *

وقال :

أمام العصر محمود السجايا
محمدنا ابن يوسف الشهير

مزاياه الاصم بها سميع
لشهرتها ويبصرها الضرير

من أولى الشعب بعد الذل عزا
وبعد العز ذل به الكفور

وفى سبيل العلا مر المنايا
لديه كأنه الماء النمير

وفى اعطائه غيث همـوع
وفى اقدامه ليث هصور

وفى اخلاقه عسل مصفى
وفى اشراقه قمر منير

أمير المؤمنين وبالتهاني
هم احرى اذ انت لهم أمير

وما نهدي اليه من التهاني
فما أوليت من فضل كثير

لقد انقذت الامة من صغار
عليه مع الكبير ربا الصغير

ازلت ظلامه عنها فانى
ترى الظلماء معك وانت نور

كففت اكف الاستعمار عنها
فحر العبد وانفك الاسير

ودارت خمر الاستقلال صرفا
بمغربنا وانت لها المدير

ثم يشير الى موضوع التهنئة فيقول :

الا فاهنأ قرير العين ان لا
تفارقك المسرة والحبور

بأعياد ثلاث استهلت
اهلتها بافقك تستنير

بعيد الفطر شعبك مستقل
وعيد العود لله الشكور

وعصرك كله ايام عيد
بك اغتبطت سعادتها العصور

فدام لك السرور ودام يزهو
بملكهم المسرة والسرير

ثـانيــــا :

اما القصيدة الثانية فهي الرائعة التي انشدهـا يوم 10 شتنبر 1956 ، ومدينة طنطـان تـقبـل وحدات جيش التحرير (8) والتي قال فيها :

برغت علينا انجم التحريـــر
فتباشر الاوطـان بالتطهيــر

من رجس الاستعمار بعد مبشر
في الغرب بل في سائر المعمور

لا زال جيشهم المظفر ناصرا
اعلام عرش امامنا المنصـور

ثـالثــا :

أما القصيدة الثالثة الهائيـة فهـي التـي خاطب بها جلالة الملك المنعم محمد الخامس مباشرة أواخر سنة 1956 والتي مطلعها :

كفى المرء (غيا) للقواة حضاره
وكم لكبار الذنب اغرت صفـاره

ودين الهدى للشرك ضد فمن يرم
مقارنة الضدين يبدو ابتهـاره

(8) لـم تنشـر بعـد .

ويقـــول :

فيا اخوة الايمان دعوة مشفـق
نصوح مما دهاكـم نهــاره

الاهل لدين الله منكم مشيـد
فقد كاد ان ينقض اصلا جـداره

ويقـــول :

فلو في اولي الغربـي مظنه لـه
لكان حر بالحر منهم نفـــاره

فكيف لدار المسلم الحر عاصيا
ذليلا الى الاعداء بئس بـداره

وهكذا كان الشيخ ابن العتيق العالم الاديب قد جمع خصائص انفرد بها في حياته الادبية والعلمية تجعل المتتبع لانتاجه على اختلافـه يلمس هـذه الخصائص ويحسها في اعجاب وتقديـر وذلك مـا لمسناه في شخصيه العلمية والادبية من خلال مـا تناولناه في هذه الدراسة رحمه الله .

زين العابدين الكتاني



دور الصحراء المغربية
في ازدهار الآداب والعلوم

للأستاذ عثمان بن خضراء

لقد لعبت الصحراء المسترجعة عامة وشنجيط خاصة دورا خطيرا في الآداب المغربية وكادت ان تكون الاقليم الذي آوى العربية واحتضنها ... فرضع الشنجيطيون حب اللغة العربية وتمسكوا بها ، واعانتهم حافظتهم ان يكونوا سدنتها . وليس بغريب ان تقرا تراجم رجالهم فاذا أمامك علماء يستظهرون القواميس ويحفظون امهات الكتب الادبية ... وليس بغريب أن تعثر فيهم على من يحفظ « الكامل » او يستظهر « النفح » او غير ذلك من الكتب المشهورة !

« والتركزي » يمثل هذه المدرسة ان لم يكن عظيما من عظمائها ويمثل جانبا آخر وهو الرحلات العلمية ، فكثيرا ما كان المغاربة يرحلون الى الشرق لاداء الفريضة من جهة والاتصالات العلمية من جانب آخر .

— ونظرة عجلي على كتاب « الوسيط في ادباء شنجيط » تبين لنا وفرة ادباء هذا الاقليم وقوة شكيمتهم اللغوية كما تبين لنا قوة شخصيتهم الادبية !

احببت ان اقدم لقراء مجلة « دعوة الحق » نموذجا من هؤلاء الافذاذ وهو محمد محمود التركزي الذي درس بمسقط راسه دراسته الاولى فحفظ القرآن ودرس اللغة والصرف والنحو والبلاغة ، ثم حفظ الحديث وتفنن في رجاله ... على انه حاز السبق في مضمار اللغة والانساب فكان حجة في هذا الميدان — وقد اعترف له بالتفوق رجال هذه اللغة ، وحتى خصومه الذين نالوا منه ونال منهم لم يستطيعوا ان يجحدوا تفوقه اللغوي — .

كان التركزي مشهورا بثقافته كما كان مشهورا بتنقلاته الكثيرة ... فقد كان اقام بعاصمة العثمانيين ، وهناك سمع به السلطان عبد الحميد الذي كان شديد الاهتمام بالتنقيب على أثر السلف العلمي وشديد الرغبة في احياء انتاجهم الفكري ... ففكر أن يبعث الى بلاد الاندلس من يكتشف له أسرار الحضارة العربية في خزائنها الكبرى ، وانتدب لهذه المهمة العالم الرحالة التركزي الذي كان مشهورا بثقافته وصبره على المثابرة في البحث العلمي !

ولما اختاره الخليفة لهذه المهمة بعث اليه أن يتجهز لادائها ، لكن التركزي اشترط شروطا على الخليفة منها أن يعزل ناظر وقف الشناجطة بالمدينة ... وأن يمنحه طباخا ومؤذنا وان يعطيه المكافاة الكبرى اذا رجع الى القسطنطينية فقبل الخليفة ذلك وبعثه على ظهر باخرة خصوصية — وبعد شهور رجع يحمل في حقيبته أسماء الكتب النادرة التي لا توجد في خزائن العثمانيين ، وأبى ان يمنح للباب العالي نتائج بحثه الا بعد ان يفي بوعده ، الامر الذي اغضب الخليفة فلم يعد في حاجة الى نتائج ابحاثه !

ولما انعقد المؤتمر الاستشراقي في مدينة استوكهلم تحت اشراف الملك اسكار الثاني وكان

يعتني بالابحاث العلمية واللغوية وتشجيع المؤتمرات ، بعث اسكار الى الخليفة أن يشرفه بوفد يضم التركزي الذي كانت شهرته قد ذاعت فى العالم الاسلامي ولم يقبل الامتثال الا بعد ان ينفذ الخليفة مطالبه التي كان قدمها للخليفة عبد الحميد لدى سفره الى بلاد الاسبان ... فاضطر الخليفة ان ينفذ مطالبه وذهب التركزي الى المؤتمر وهناك انشد قصيدته الميمية التي بلغت مائتين وثلاثين بيتا .

ان التركزي احد شعراء شنجيط الذين يغلب عليهم طابع الشعر الجاهلي حتى تحسب نفسك تقرأ جاهلية من الادب القديم ... وهو كثيرا ما يضع فى شعره وحشى الالفاظ وعميقها ليفاخر أبناء جلدته بما يعرف من نادر المفردات ... فانت لن تجد العاطفة فى شعره وانما تجد الصنعة والصنعة اللغوية بصفة عامة .

ترك التركزي رحلته المسماة « الرحلة التركزية» وهو يرد فيها على خصومه ويزيف أفكارهم فى لهجة حادة وتأنيب صارم ... ونثره قوي محكم السجع ، مليء بالاقتباسات ومدبج بالابيات ، وهو ان دل على على شيء فهو يدل على عنف شخصيته وصرامة أحكامه وقسوته على كل من ينتقده كما يدل على طول باعه فى اللغة وتذوق للشعر القديم .

واقتطف لقراء مجلة « دعوة الحق » الغراء من ميميته المشهورة التي بلغت ثلاثين ومائتي بيت بعض هذه النتف المصورة لشاعريته ...

ويستهل قصيدته على الاسلوب الجاهلي فيتشبب بمن يصف محاسنها وصفا جاهليا خالصا :

الا طرقت فى فتى مطلع النجم
غريبا عن الاوطان فى امم العجم

ثم يتخلص الى ملك السويد فيقول :

الى ملك السويد اسكارها الشهم
سأرحل وفدا لا على جهل

ويصف الباخرة التي اقلته فيقول :

ولكن على نجب شياطين جنة
تولدن لا عن طرق صهب ولا دهم

ويخاطب اسكار قائلا :

اسكار سلني عن لسان بنينا
بمعجمك الحاوي لجماعك الجم

أجبك بما قد كان عندي علمه
بوجه الهشيش لا العبوس ولا الجهم

ومقول عضر لا كل جلج فهة
ينوب من العضير فى العلم والحكم

ويخبر عن ابناء عاد وجرهم
اذي الحكم والاعوان بعد ذوي الحكم

ويتذكر وطنه وبلاده قائلا :

انا المغربي المشرقي حمية
اذب على القطرين بالسيف والسهم

بسيف لسان يفلق الصخر غربه
وسهم بنان صائب تقره المرمى

ويحدثنا عن تاريخه فيقول :

شغفت بحب العلم طفلا متيما
فصار غذاء الروح واللحم والعظم

غذائي بدر العلم أراف والد
وأرحم أم لم تبتني على غم

ويمدح نفسه بحب المعرفة فيقول :

ولم يثن عزمي نهى حسناء غادة
شبيهة جمل بل بثينة بل نعم

ولم يعلم قلبي حب عذراء كاعب
وحب العذاري قد يصم وقد يعمي

واني لأبغي العلم يقظان قاعدا
وفى مضجعي فى النوم أبغيه بالحلم

وابغيه وقت الحرب والسلم لا انى
وابغيه أوقات العدالة والظلـــــم

واطلبه شبعان ريـــان كاسيـــا
واطلبه ظمآن جوعان ذا هــــدم

وجلت له فى العرب والعجم صابرا
على هندات من عريب ومن عجـم

وجلت له فى الروم والترك صابرا
اقرقف تحت الثلج والوبل والسجم

والقصيدة طويلة كما أسلفنا ينتهي آخرها بالتعريـف بشخصيته خشية أن تأتي عليها يد الانتحال .

وللتركزي قصيدة اخرى وصفية من روائـع الشعر يصف فيها السفينة التي اقلته الى اسبانيـا مطلعهـا :

خب العباب فى الملح الاجـاج على
نجيبة لم تكن جلسا ولا كرســا

والقصيدة طويلة مليئة بغريـب المفردات على عادة اسلوب الشاعر .

وللتركزي نظرية نحوية اشتهر بها ودافع عنها وهي مسألة صرف كلمة ـ عمر ـ التي يتفق النحاة على منعه من الصرف . وقد جلب لها عدة شواهد دالة على مبلغ اطلاعه على غريب الشواهد .

يكاد التركزي ان يكون النموذج الامثل للشعر الشنقيطي ... ذلك انه بعد ان ثقف ثقافة لغويـة ودينية متينة غادر المغرب الى الشرق فجال بمدنـه الكبرى واتصل بشخصياته العظيمـة ... وكـان شديد الجدال والمناقشة ، عظيم الاعتزاز بعلمـه وأفكاره ... فلم يسلم من خصوم يحاربون نظرياته ويتهجمون عليه ، لكن التركزي كان يصمد مقاومـا مقاومة كبرى تارة بالتقريض وتارة بالتاليـف ... وانتهى بعد هذه المعركة الى انتشار اسمه .

وقد كانت حلقات الدروس التـي يعقدهـا بالمشرق مجالا كبيرا تلتقـي فيه افكـار العلمـاء المعاصرين فيبذهم شاعرنا باطلاعه الواسع وثقافته الواسعة وحافظته النادرة ، ولكن لسانه الحـاد كان لا يسلم احد من لذعاته ... الشيء الـذي جعـل اعداءه فى الشرق يكثرون ويحقدون فى نفس الوقت.

والواقع ان التركزي كان شديد الشكيمة ، قـوي الهجوم حتى على الذين يتقون شره ، وحسبنـا ان نعرف انه ابى ان يسلم أوراقه حول كتب خزائـن اسبانيا الا بعد ان تنجز مطالبه ... وان يكون طلب من الخليفة عبد الحميد ان يعزل المتولي على نقابة شنجيط ... حسبنا ان نعرف هذا لنعرف تهجمـه على الناس وبحثه على النيل منهم !

وهكذا كان التركزي جادا فى هجماته ، جـادا فى النيل من خصومه وحتى من المحسنين اليه ... ان هذه الشخصية لا تستطيع ان تستقر فى هـدوء ما دامت هجماتها تشتد حتى على الملاطفين لـه ، ولهذا عاش التركزي فى قلق شخصي دائم !

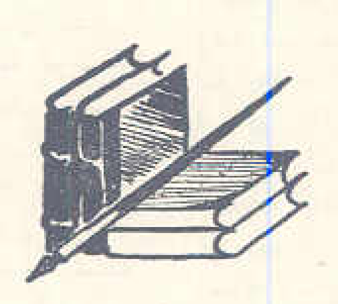
عرف الشرق كثيرا من أمثال التركزي الذيـن كانوا يرحلون الى البلاد العربية تارة بصفتهم حجاجا يؤدون فريضة الدين فيطلب لهم ان يقيموا هناك اقامة قد تكون دائمة حيث يتلاءم طقس الحجاز مع طقس بلادهم فلا يؤذيهم الحر كثيرا ... والتركزي يمثـل بلاده التي تتشابه شخصيـة سكانهـا البيئيـة ، فيستطيعون الهجرة ويستطيعون الاقامة اما طلبا للعلم أو طلبا للمال ... وهكذا يكون التركزي مثالا حيـا لسكان بلاده فقد انتقل الى الحجاز وطاف بها وقام بمصر مدة ثم رحل الى بلاد العثمانيين وقد احترمه الخليفة احتراما كبيرا كما اسلفنا وعينه فى وظيفـة كبرى قلما يحظى بها غيره ولكن التركزي الح وبالغ فى الالحاح حتى أدى ذلك الى ابعاده عن مطالبـه ... ولولا تصميمه على عدم الذهاب الى أستكهولم الا بعد تنفيذها لما اجيب مطلبه ... وما حكمه على رجل ابي أن يسافر الا بعد انيعطيه طباخا، وهل شرط كهذا مما يعقل ان يشترط على خليفة ... ثم ان يلح على الخليفة ليعطيه ما طلب منه والا فهو يرفض السفر ثم يعود الى طلبه بعد عودته ويأبى أن يسلم نتائـج ابحاثه ويبالغ فى التنكر للخليفـة ، فيرفض دعـوة « اسكار » الا بعد ان يعطيه الخليفة ما وعده بـه سابقا ... وهكذا يظهر التركزي ملحا كبيرا ومبالغا فى مطلبه مجازفا تنقصه الثقة بالناس ، فـلا يطمئن الى وعودهم ولو كانوا من تماثيل الانصاف والعدالة واذا استطاع الانسان أن يقدر امثال هؤلاء لشـدة شكيمتهم فهو ينتقد لا محالة الحاحهم الذي يوشك ان يصبح صبيانيا ، وفى قصيدة « اسكار » التـي

قدمها لملك السويد لم يراع اديبنا موقفه فى مؤتمر غربي يتطلب نوعا آخر من السلوك ربما كان لا عهد لهم به ... فهو لم يطلب منه أن يملي قصيدة مديحية وانما طلب منه ان يحدثه عن القبائل عند العرب ... فلو الف التركزي كتابا فى القبائل والانساب وهو موضوع يجيده لكان احسن واجود بدل من ان يملي قصيدة على نهج جاهلي مليئة بغريب المفردات تستعصي بلفتها حتى على قلم الترجمة واسلوب الغرب حتى اذا ترجمت هذه القصيدة وفقدت مقوماتها اللغوية أصبحت عبارة عن مدائح شخصية واعجاب بالنفس وافتخار بالآباء مما لا يستطيع الرجل الغربي أن يجد فيه لذة بل اي تقدير واعجاب ... وهكذا نلاحظ ان التركزي لم يسلم من اغلاط جناها عليه تعصبه وتمسكه برايه واعجابه بشخصه والكمال به وحده .

وفى عهده فكرت المطبعة الشرقية ان تخرج للناس أعظم كتاب لغوي فى اللسان العربي ، ذلك الكتاب هو الذي الفه ابن منظور فى اللغة وسماه لسان العرب ومن العسير أن يسلم كتاب كهذا من أغلاط قد ترتكبها المطبعة ، كما لا يسلم المخطوط منها لشدة ما يحرف النساخ كتاباتهم ويقترفون الاغلاط ... فالناسخ وبالاخص فى اللغة لا بد له من زلات ولا بد له من اغلاط ... ونحن فى حاجة اذا اردنا أن نخرج كتابا جديدا أن نبحث عن عالم مقتدر ليصحح الكتاب ويبعده عن الاغلاط والاخطاء وقد ادى التركزي هذه المهمة لما اشتهر به من طول باع فى اللغة وقوة يد فى معرفة اسرارها .

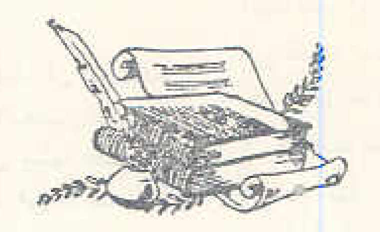
والواقع ان التركزي كان لغويا حقا ... فتصويباته واصلاحاته دالة على ما له من مقدرة كبرى فى معرفة اسرارها وصعوبة الاشتقاق وغريب المفردات ... ولا يتأتى اصلاح ذلك الا لمن كان عالما لغويا يكل ما فى الكلمة من معنى ضاما الى معلوماته ذكاء حادا يعينه على معرفة الدقائق حتى لا تخلله أصول الصيغ المتشابهة ... فتحمل اديبنا هذه وساير الكتاب فى أجزائه الضخام الطويلة حتى اتم هذه المهمة الكبرى ... فيا لها من عزيمة لا يقهرها اي شيء ، بل هي تقهر كل ما يعترض عقبتها من عثرات !

سلا : عثمان بن خضراء



ابحاث ودراسات

- انعدام الجو التربوي في الأسرة وأثره في انحراف الأحداث
- من تشويهات التحليل الماركسي
- الثقافة الوطنية
- دفاع لكن ...
- علي الجارم



انعدام الجو التربوي في الأسرة

وأثره في انحراف الأحداث

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

ان موضوع الانحراف متعدد الجوانب متشعب المسالك لا يمكن حصره فى نقطة معينة واحدة اذ لابد فيه من الدراسة العميقة لمختلف الاسباب والحيثيات ومختلف البواعث والدوافع .

ولا تنحصر الدراسة المتعلقة به فى علم واحد بل انها تتصل بعدة علوم واختصاصات حسب الاهتمامات التي يوليها كل علم للكائن الانساني.

فعلم الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع كلها تتناول الموضوع بجد لانها تدرس الطفل من الجانب الفيزيولوجي والجانب النفسي والجانب الاجتماعي . وهناك من يقوم بالبحث والمقارنة وابداء التداخل بين هذه العلوم وعلاقتها بالتربية ليستغلها فى وضع التخطيطات الصالحة لتوجيه النشء ولابداء الاخطار الناتجة عن عدم تعهد الغرائز والدوافع وتركها سائمة دون رعاية أو تهذيب .

وتتصل الابحاث غالبا ببيئة الفرد فى احوالها العامة التي هي الاسرة والمدرسة والمجتمع .

ورغم التأثير المباشر لهذه العوامل الثلاثة فى تكييف الفرد وتكوين شخصيته فان العادة جرت على افراد كل منها بالحديث على حدة .

وهذا الاستقلال فى البحث يمكننا ان نعده استقلالا نسبيا لاننا لا نستطيع عمليا التفصيل بين هذه العوامل وتناسي التداخل الحاصل بينها خصوصا فى التداخل الكبير الواقع بين الفرد فى الاسرة والفرد فى المجتمع .

ان الفرد فى الاسرة حينما يكون طفلا صغيرا ، يتلقى التعاليم الاولى التي تطبع شخصيته وتلون أخلاقه وتيسر له المفاهيم الاجتماعية ؛ وعلى أساس الاتصال بوالديه واخوته يكتسب كثيرا من العادات الصالحة او السيئة وتصبح للقوانين الاخلاقية صورة فى نفسه يقدسها او يدوسها حسب الطريقة التي كان يلقن بها هاته المبادىء والقوانين ، ومن حق الاسرة ان تطالب بحماية أطفالها من تعفن المجتمع وانحراف افراده كما ان للمجتمع الحق فى أن يطالب الاسرة بحفظ كيان الاطفال وحمايتهم من الاهمال .

(1) هذا نص المحاضرة الثانية التي القيتها فى التدريب التربوي الذي اقامته جمعية رعاية الطفولة والاسرة بفاس فى شهر دجنبر 1976 للمندوبين المتطوعين فى الحربة المحروسة . ولقد نشرت المحاضرة الاولى بدعوة الحق العدد السادس السنة الثامنة عشر .

ومما احرانا ونحن نتحدث عن دور الاسرة فى الانحراف ان نعرف الخصائص التي تميز الاسرة عن غيرها وان نذكر اختصاصاتها التربوية والاجتماعية :

من المعلوم أن الاسرة بناء اجتماعي قائم على مشروعية دينية تجعل العلاقة بين الرجل والمراة علاقة شريفة مبنية على ميثاق شرعي وعلى احترام متبادل وعلى عقد يعطي لكل جانب حقوقا وواجبات اذا اخل بها احد الطرفين يكون مسؤولا دينيا وقانونيا واجتماعيا .

ولقد أوصى الاسلام فيما أوصى بالعمل على حسن اختيار الطرف الآخر لما فى ذلك من الفائدة الواضحة العائدة بالخير على الفرد والمجتمع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تنكح المراة لاربع لمالها وحسبها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك) وقال ايضا : (اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) .

فمن خلال قول الرسول عليه السلام نرى ان البذور الاولى فى تكوين الاسرة الصالحة تتصل باختيار العناصر لما فى ذلك من الاطمئنان على مصير العلاقة بين الرجل والمراة ومن الاطمئنان على الاستقرار الذي سيخيم على الاسرة حتى اذا أنجبت أطفالا كان ذلك الاطمئنان وذلك الاستقرار منصبا على نفوسهم ومؤثرا فى تكوينهم وراسما لهم منهج الخير والصلاح .

ولهذا يمكننا ان نقول ان كثيرا من الانحراف الذي يصاب به الاطفال يكون وليد الانحراف الذي يوجد عند آبائهم وامهاتهم ويكون نتيجة الانحراف الاجتماعي الذي يكفر بالقيم ولا يابه بهذه التعاليم السليمة فلا يقع اختيار الزوج على من يرضاها دينا وخلقا ولا يقع اختيار الزوجة على من ترضاه دينا وخلقا وانما تكون بواعث الاختيار مادية صرفة .

هؤلاء الذين يسيئون الاختيار هم الذين يمهدون سبيل الانحراف فى بيوتهم اذا ما انجبوا .

ومن الطبيعي أن حسن الاختيار يجعل المراة فى البيت شاعرة بكيانها عالمة بحقوقها وواجباتها لا تحتقر نفسها ولا تحتقر زوجها ولا يوجد تعال فى سلوكها أو فى سلوك من تعاشره .

ومن المؤسف فى هذا العصر اننا نلاحظ شبه عداء بين الرجل والمراة كان كلا منهما ضحية الطرف الآخر فى الوجود . وليس ذلك من المعقول فالرجل والمراة عنصران متكاملان لا تسعد البشرية الا اذا كان كل طرف منهما يحس بضرورة وجود الطرف الآخر وبضرورة احترامه ، اما اذا أصبحت العلاقة بينهما داخلة فى اطار الظالم والمظلوم والحاكم والمحكوم والمستبد والمقهور وأصبحت تدعو الى مؤتمرات لتصنف هذه من ذاك أو هذا من تلك أو لتزيح طغيان الرجل عن المراة أو طغيان المراة عن الرجل فان الحياة حينئذ تصير مكفهرة قاتمة تفقد الامن والاطمئنان والاستقرار وتتحكم فيها أنواع المخاوف والقلق والاضطراب وتسود الاسرة حينئذ تفككات تؤدي الى ضياع التماسك والى انحلال العلاقات وتفسخها ويصير الزوج متبرما من زوجته والزوجة متبرمة من زوجها ويتقمص الابناء هذا التبرم الذي يؤدي الى التشاؤم والحقد ، والذي يخلق العوائق الحاجزة بين التكوين السليم وبين نفوس الاطفال وحينئذ تضيع الامة فى أطفالها وتنتشر انواع الانحراف والفوضى فيعم العنف وتكثر الجرائم وتتلاشى مظاهر الاخلاق الفاضلة ويؤدي المجتمع بدوره ضريبة هذه الاخطاء فيعيش فاقدا للامن خائفا على المصير .

اذا علمنا ذلك تبين لنا أن أول شرط يجب أن يتحقق فى بناء الاسرة هو حسن اختيار الطرف الآخر .

قد تقول ان هذا الاختيار صعب انجازه نظرا للنفاق الاجتماعي الذي يسود كثيرا من العلاقات فلا تظهر الحقيقة الا بعد فوات الاوان .

وهذه الملاحظة قد يكون لها نصيب من الصحة اذا تركنا الاختيار لتجاربنا الخاصة وحدها دون ان نستعين بمن نثق فيهم من الآباء والاقرباء .

ونحن لو درسنا مدونة الاحوال الشخصية المغربية فسنجد أن المراة قد منحت حق اختيار الزوج بحيث لم يعد للاب او الولي حق فى اجبارها على الزواج سواء أكانت بكرا أو ثيبا ، وبهذا الحكم لم يبق عمل بالاختيار للبكر وفق ما جاء فى الحديث الشريف القائل بأن البكر تستأمر واذنها صماتها ووفق ما سار عليه الامام مالك رحمه الله .

والسبب فى أن المدونة لم تعمل بمذهب الامام مالك ولم تسر وفق ظاهر نص الحديث مرجعه الى

اجتهاد الفقهاء فى تحليل النــص والى الظـــروف الاجتماعية التي جعلت بعض الآباء يتصرفون تصرفا منكرا ولا يلتزمون بأصول التشريع فى اختيار الزوج الصالح لبناتهم ؛ الشي الذي دعا المجتهدين مـــن المسلمين فى ان يزيلوا للاب هــذه السلطـــة وان يمنحوها للبنت ذاتها فأصبحت هي ربة الاختيـــار وصاحبـــة المسؤولية .

وهنا كان من الضروري تنبيه هذه البنت ليلا تتعسف هي بدورها فى هذا الحق الذي منح لها وليلا تتصرف فيه تصرفا يضربها وليلا تستبد به دون أن تستجيب لنصائح الاولياء وتوجيهات المربين .

ان المراة المعاصرة تجد ضروبا من الصعوبات فى اختيار الزوج الصالح وهي حينما تريد أن تمارس التجربة وتبحث نفسها عن طبيعة الزوج قد تقع فى اخطاء كثيرة نتيجة لتغلب عاطفتها على عقلها أو لوقوعها تحت اغراء رجل يعرف كيف يستغل سذاجتها ثـــم يدوسها وحينئذ قد تردد مع المراة التي عبر عنهـــا الشاعر نزار قباني بالمراة الحاقدة التي قالـــت فى رسالتها :

« لا تدخلـــي »

وسددت فى وجهي الطريق بمرفقيك

وزعمـــت لـــي ...

ان الرفـــاق أتـــوا اليـــك ...

اهـــم الرفـــاق اتـــوا اليـــك ...

أم أن سيـــدة لديـــك

تحتـــل بعـــدي ساعديـــك .

والواقع ان هذه الرسالة تبين لنا لونا من الوان التجربة الخائبة التي لا تحقق ضمانـــا للمـــراة فى محاولتها معرفة الطرف الآخر لتختاره بنفسها هذا زيادة على أن كثيرا من مظاهر النفاق قد تسيطر على الاتصال الحر بين الرجل والمراة القاصرة دون رقيب

أما اذا كانت الرقابة الاخلاقية مسيطـــرة على العلاقات وكانت الاستعانة بتوجيهات الاسرة الفاضلة وسيلة من وسائل الاختيار فان كثيرا من المشـــاكـــل تستغنى عنها فلا تقف حاجزا بين البيت والسعادة ولا تحول بين الاسرة والتفاهم الايجابي البناء .

واذا كان حسن الاختيار وسيلـــة تمهيديـــة للعلاقة بين الرجل والمراة فى تكوين الاســـرة فان الهدف منها ينصب على ما بعد الزواج .

ويظهر ذلك فيما يأتي :

اولا ــ فى حسن المعاملة :

ان حسن المعاملة وصية دينية يجب ان تطبع الحياة الزوجية فى كل مجال . والشرع يوصي بها لما فيها من المنافع الايجابية التي تعطي للبيت جلالا واستقرارا وعلى قدر حسن المعاملة ترفرف السعادة على البيت وتنشر اجنحتها على أعضائه .

ثانيا ــ فى حسن تربية الاطفال :

وهنا نرى أن لكل من الزوجين دورا عظيما فى القيام بهذه المهمة ولهذا يجب على كل من الوالدين اضفاء المحبة على العلاقة الزوجية ليحس الاطفال بأنهم يتمتعون بالاستقرار والهناء .

والتربية فى الحقيقة لا تقتصر على الجانـــب النفسي بل هي متصلة بجميع الحاجيات التي تتوقف عليها سعادة الطفل وسلامته . فالعنايـــة بالصحـــة والعناية بالغذاء والعناية بالمحبة كلها متداخلـــة فى تكوين شخصية الطفل وفى ابعاد شبح الانحراف عنه بل ان الاحترام المتبادل بين الرجل والمراة هو نفسه داخل فى اطار العناية بتربية الاطفال نظرا لامتصاصهم كل ما يراقبون ولتأثرهم بكل ما يشاهـــدون فهـــم يمتصون السلوك المرئي يبدون بعضه ويختزنـــون اكثره فى لا شعورهم ولقد برهن على ذلك فرويد فى أبحاثه وهذا هو السر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطـــرة فأبـــواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » .

والعناية بالتربية تدعو الام الى الاهتمام بطفلها والى عدم اهماله وتركه عرضة للضيـــاع والخـــوف والاضطراب وقد أثبت علم النفس أن كثيرا من العقد التي يصاب بها الاطفال تكون ناتجة عن هذا الاهمال .

وخير سبيل لهذه العناية الابتعاد عن خلـــق المشاكل داخل الاسرة ليلا تصاب بالانفكاك وليـــلا يضيع تماسكها وهذا هو السر فى أن الحياة الزوجية الهادئة اذا سيطرت على الاسرة كانت منبعا للخيـــر ومتكأ للاطمئنان ومنطلقا لسعادة الاطفال .

وقد بينت الاحصاءات أن الانحرافات والجرائم تحدث من الاطفال الذين فقدوا رعاية الوالدين أكثر مما تحدث من غيرهم وكذلك تحدث من الاطفال الذين عاشوا فى أسرة انفصل فيها الاب عن الام اما بطلاق او هجران او وفاة .

ان تفكك الاسرة قد يؤدي الى هذه المصاعب الاجتماعية الخطيرة ولكن من المؤسف فى هذا العصر ان العوامل الاجتماعية والاقتصادية جعلت شبه استغناء فى المرأة ، تحس به نحو الرجل . فبعض النساء حين أصبحن قادرات على الاكتفاء الذاتي وصرن قادرات على كسب المال ظنن بانهن اذا تحررن من الزوج استطعن أن يحيين ولو مطلقات ولم يعتبرن الجانب التربوي الذي يحث على الحرص فى خلق جو متناغم بين الرجل والمراة فى البيت وفى المجتمع ليعيش الاطفال متمتعين بدفء الحنان وبروح المودة .

ثالثا – فى حسن التصرف فى دوافع الزواج :

ان هذه الدوافع متكاملة تتصل بتحقيق الرغبة الجنسية وبتحقيق المودة وبتحقيق غريزة حب البقاء والخلود وحفظ النوع عند الانسان .

قد تكون الغريزة الاولى مشتركة بين الانسان والحيوانات البهيمية وقد تكون المودة ايضا طبعا مشتركا بين الانسان والحيوان .

اما الرغبة فى الخلود وانماء النسل عن طريق التوالد فهذا أمر يختص به الانسان أي ان ادخاله فى اطار الشعور والتفكير فى أن يكون النسل صورة مشرفة للفرد ليس طابعا حيوانيا ولكنه طابع انساني .

فاذا كانت الاتصالات الجنسية المؤدية الى النسل طبيعة فى الانسان والحيوان فان التفكير فى تحقيق النسل الصالح من خاصيات الانسان وحده .

وعليه فان كل فرد لا يفكر فى ارتباطه الزوجي الا بهذه العلاقة الجنسية وحدها دون غيرها يكون فردا غير سوي فاذا ربط بين هذه العلاقة وبين نشوة الحب والمودة كان قد اضفى عليها صورة اسمى من صورتها الجنسية المفردة واذا اتصلت هذه العلاقة الجنسية بالانجاب وحده دون التفكير فى مصير من ستنجبه كانت أيضا قريبة من الاطار البهيمي ، اما اذا كان العنصر التفكيري فى البحث عن مصير هذا المولود المنتظر وعن الوسائل الكفيلة بتحقيق تربيته وعن الاشتغال به فيما بعد ليكون طفلا صالحا مهذبا فان الفرد حينئذ يكون قد سما بنفسه عن الصفات البهيمية فى الحيوان الى الصفات الانسانية الراقية التي كرم الله بها الانسان فى هذا الوجود ويكون قد ساهم فى التطور الحضاري وفى استمرار الوجود الصالح لعناصر الحياة الشريفة النافعة .

وتحقيق هذه الغاية يقتضي أن تكون الولادة شرعية ليلا يعيش الطفل بعيدا عن الحنان العادي وليلا يقسو عليه المجتمع برذيلة لم يرتكبها هو كما يقتضي ان يكون المتزوج راضيا بالقدر فى منحه ذكرا او أنثى ليلا يحس الطفل بالحرمان من تصرفات الآباء والامهات .

وينبغي فى هذا المجال أن يكون الوعي الجنسي سائدا بين الاسر ليلا يتصرف فيه تصرفا جائرا قد يؤدي الى الاكثار من النسل فى اسر فقيرة لا تقدر على مواجهة الواقع ولا على تمهيد سبل الاستقرار الى الافراد فتكثر الجرائم والانحرافات وتقل التربية السليمة وتنعدم القدرة على ضبط التصرفات .

وهذا هو السر فى ان العالم المعاصر اصبح يتحدث عن هذه النقطة كثيرا وتعددت الاختلافات فى حلولها ولكن أحسن الحلول على ما يظهر هي التي لا تمنع الانسان من حقه فى الولادة ولكنها تطلب منه أن ينظمها تنظيما يتلاءم مع امكانياته وامكانيات المجتمع الذي يعيش فيه ماديا وعلميا واقتصاديا .

ان عدم تنظيم النسل هو ايضا من اسباب انحراف الاطفال فى الاسر التي ليس لها مستوى مادي كفيل بأن يحقق التربية المرجوة .

ان هذه المظاهر الثلاثة التي هي حسن المعاملة وحسن تربية الاطفال وحسن التصرف فى دوافع الزواج هي نفسها يجب أن تكون قائمة على أساس من الوعي بالمسؤولية .

ان الوعي بالمسؤولية يدفع الانسان الى تحقيق ما يرجى منه على احسن وجه ويجعله قادرا على ضبط نفسه صامدا فى مواجهة الاحداث راغبا فى اتباع الاوامر واجتناب النواهي عاملا على خلق جو يسوده الامن والاطمئنان والحنان .

هذا الوعي بالمسؤولية هو الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرجل هم بطلاق امرأته لم تطلقها ؟ قال لاني لا أحبها ، فقال عمر أو كل بيت يبنى على المحبة ! اين الرعاية والذمام .

ومعنى هذا أن البيت يجب أن يسوده الاطمئنان وان الحب يمكن للانسان تعويضه بحب آخر من نوع آخر . انه حب الواجب المقدس الذي يجعل الزوج شاعرا بأنه حين يتزوج يقوم بواجب اجتماعي يفرض عليه رعاية الطرف الآخر واحترامه وقد يكون هذا الاعتبار اسمى من الحب العادي لانه خالص من الانانية وحب الذات .

هذا الوعي بالمسؤولية هو الذي يفرض على الوالدين تعهد اطفالهما ومراقبتهم مراقبة متواصلة حتى اذا احسا بانحراف أو شذوذ سعيا فى البحث عن وسائل اصلاحهم ولو ادى الامر الى عرضهم على اطباء الاختصاص فى علاج ذوي الشذوذ .

وان اصلاح الاسرة اذا كان يعتبر ذاتيا من قبل أرباب الاسرة فهو ايضا يعتبر عملا اجتماعيا وسياسيا يتصل بدور المجتمع وسياسة الدولة فى المراقبة والتوجيه .

اما المجتمع فلهيئاته المختلفة حق الدعوة الى الاصلاح ومراقبة اسباب التخلف والعمل على ابعاد شبح الانحراف عن الاطفال ويتجلى ذلك فى الجمعيات التربوية الحرة التي تقوم بهذه الاعمال وفى الجمعيات الخيرية وفى الاعمال الاحسانية التي يتبناها كثير من الافراد والجماعات .

واما الدولة فيظهر عملها فى المشروعات التربوية وفى التخطيطات الاقتصادية وفى بناء المؤسسات التعليمية والاجتماعية وفى وضع البرامج الصالحة لاعداد النشء ووضع القوانين العاملة على الزجر والردع والتوجيه .

وخير مظهر لذلك ما يتجلى من وعي فى القوانين الموضوعة خصيصا لانحراف الاحداث مع انشاء المؤسسات الكفيلة بتطبيق هذه القوانين شكلا ومضمونا .

فعمل الدولة غالبا ما يأخذ واجهتين :

الواجهة الاولى وقائية وتستغل فيها المناهج التربوية ونشر التعليم واعداد الشغل للمواطنين وتيسير الرخاء لهم .

الواجهة الثانية علاجية وتتجلى فى دور الملاحظات والاصلاحيات المكلفة باعادة التربية وفى نوادي الاصلاح الاجتماعي الذي يكون الطفل تربويا ومهنيا زيادة على مساعدتها فى خلق مجال للحرية المحروسة الهادفة الى خلق توازن نفسي عند الطفل المزف وارشاده الى السلوك القويم .

ولا شك أن هذه القوانين لا تؤتي أكلها الا اذا قام بتطبيقها من الناحية العملية مربون واعوان يعرفون قيمتها وفضلها على الفرد وعلى المجتمع .

ان هؤلاء المربين منهم من يتولى عمله فى اطار توظيفي ومنهم من يتولاه فى اطار تطوعي اجتماعي وفى كلتا الحالتين يجب ان يتحلى المكلفون بذلك بمحاسن الصفات وان يتسلحوا بقوانين العلم وأن يهتدوا بهدي القرءان وأن يطلعوا على خبايا الطفل وغرائزه وعلى اصول علم الاجتماع وبنوده وأن يهتموا بدراسة الاوضاع الاجتماعية ليستطيعوا بذلك معرفة انواع الانحرافات واسبابها وأن يبنوا أحكامهم على قوانين ثابتة متصلة بعلم الاحصاءات لتكون نتائجهم صائبة ولتكون علاجاتهم مبنية على تشخيص عملي لا يتطرأ اليه الشك ولا تعتريه اخطاء أو اغلاط .

وينبغي لهم أن يبحثوا عن الجرائم واسبابها ليستطيعوا بذلك ارشاد المحتاجين وتوجيه المتخلفين وتنبيه الغافلين . ولتكن فيهم مرونة يستطيعون بها فتح علاقات بينهم وبين أسر الاطفال يستعملون فيها وسائل التوجيه الهادف ويستخدمون فيها العقل فى الحوار مع استغلال الاسلوب الخطابي احيانا فى التأثير والاقناع .

ولا بأس أن يقيموا من حين لآخر ندوات اقليمية او على الصعيد الوطني يستدعون لها بعض المختصين فى الدراسات النفسية والطبية كما يستدعون لها رجال القانون والقضاء ورجال الامن وعلماء الدين وخطباء المساجد والمعلمين والاساتذة وبعض الآباء ليستعينوا جميعا على دراسة المشكل من مختلف جوانبه وعلى البحث عن الحلول الصالحة التي يمكن اتباعها أخلاقيا واجتماعيا وقانونيا . وليساهموا فى خلق مجتمع حي متخلق بالاخلاق الفاضلة ملتزم يهدف الى اقرار الفضيلة وابعاد الاضطراب عن الافراد والهيئات وينير معالم الطريق أمام الاسر لانها المسؤولة عمليا عن اعداد الاطفال وعن تلقينهم كثيرا من القيم والمقدسات .

اذا اتضح لنا مما تقدم أن للاسرة دورا كبيرا فى اعداد الاطفال فلنعلم أنها وحدها لا تكفي اذ لا بد من مساعدة المجتمع ومساعدة المدرسة فى ذلك .

ووسائل المساعدات كثيرة جدا .

منها العناية بالمناهج التربوية فى المدارس والمعاهد والجامعات .

ومنها انتشار الوعي الكافي وتيسير الرخاء المادي واعطاء الفرص السانحة لكل فرد فى المجتمع للتعلم والعمل لان الجهل والبطالة لهما خطر على السلوك الفردي .

ومنها خلق المساعدات لنشر التعليم المقرون بالتربية فقد قيل قديما : من فتح مدرسة فقد اغلق سجنا .

ومنها العمل على رفع المستوى الاقتصادي للبلاد لتقل الحاجيات الدافعة الى الاجرام ولتسلم الاسر حينئذ من الاضطرار المادي الذي يدفع رب الاسرة الى الوقوع فى المخالفات او يدفع الاطفال الى البحث عن وسائل العيش بطرق غير مشروعة كالشذوذ الجنسي والسطو والسرقة واستعمال العنف وغير ذلك من المساوىء ومن أنواع الاحتياجات

ومن هنا نرى أن المساعدات الخارجية عن الاسرة قد تكون اكبر عامل على اقرار الاطمئنان بها وعلى جعلها قائمة بدورها المنوط بها .

فالاسرة اذن رغم أنها اللبنة الاولى فى تربية الاطفال واعدادهم للحياة فهي لا تنفصل عن مساعدة المجتمع ومؤازرته لها مؤازرة كافية لتستطيع القيام بمهمتها وليمكنها أن تساهم فى خلق المواطن الصالح البعيد عن العقد وعن أنواع الانحراف .

فاذا وفق المربون فى الاسرة ولكنهم لم يجدوا فى المجتمع من يحمي القيم التي حرصوا على نشرها ضاعت مجهوداتهم وانساقت امتهم الى الردى ولم تنفع اعمالهم فليتعاون المربون جميعا سواء كانوا فى الاسرة او البيت او المجتمع على اعداد المواطن الصالح وعلى تحقيق نهضة وطنية يكون شعارها اقرار الامن ونشر الفضيلة وابعاد شبح الانحراف عن المواطنين صغارا وكبارا وليستجيبوا لقوله تعالى : **« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » . صدق الله العظيم .**

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ



من تشويهات التحليل الماركسي

للأستاذ محمد المرزوقي الناصر

من خلال حملة القراءات الجديدة ، والـــرؤى الجديدة التي شنها التيار الماركسي ـ التقدمي على الفلسفة الاسلامية ، نجد تركيزا هاما وفاصلا حول مسالة الخلق من عدم . هذه المصادرة الغيبية كما يسمونها ، والتي دعت اليها كل الاديـــان ، ما عـــدا الداعية منها الى وحدة الوجود ، والحلولية ، تعتبر فى نظر الماركسيين التقدميين تقهقرا وتراجعــا فى النظرة المادية للكون . فهي تفصل العالم عن الله ، خالق الكون من عدم ومن لا شيء ، وتجعل الله بذلك قوة خالقة بعد ان كان فى الفكر اليوناني مجرد قوة صانعة (افلاطون) أو معشوقة (ارسطو) ، وتجعل الله وحده الازلي الابدي ، بعد ان كان معه فى الفكر اليوناني ، العالم ومادته . فهي مصادرة تقول بالتوحيد مقابل الوثنية اليونانية ولهذا السبب فالفكر الديني متقهقر أمام الفكر الوثني ما دام هذا الاخير قريبا من المفاهيم المادية . وعلى هذا الاساس عمدوا الى عزل الفكر الديني عزلا تاما بحجة انه غيبي وغير عقلاني ، ومن الفلسفة الاسلامية اخذوا وفيها وضعوا نظريـــة الفيض لتحل محل مصادرة الخلق من عدم ، وتحل الاشكال القائم بين الفكر الغيبي والفكر الوثنـــي . وهكذا جعلوا من نظرية الفيض حجر زاوية التوفيق بين الدين والفلسفة ، وحجر الزاوية فى الهجوم على الفكر الغيبي باعتبار أن نظريته دفعت النظرة المادية الهرطقية التقدمية الى الامام فى الفكر العربي ، اما مصادرة الخلق من عدم الدينية ، فقد أثارت صعوبات خاصة كبيرة ، فى نظرهم ، عاقت الرؤية المنطقيـــة العقلانية البرهانية ، وحاجات التطور المادي والعلمي .. وفى ذلك يقول طيب تيزيني : المشكلة الاساسية الدينية وهي «الوجود» الالهي وعلاقته بالعالم المادي، هذه العلاقة التي تحددت ضمن التصـــور الدينـــي بـ « خلق » العالم المادي من « عدم » محض اطلاقا بدافع من « الوجود » الالهـــي أو الاله . بيـــد ان الصعوبات الخاصة الكبيرة ، التي نشأت وتبلـــورت فى معمعان محاولات البرهنة على التصور الديني ذاك (أي خلق العالم من عدم محض اطلاقا) والتي أعاقت قيادة البرهان على ذلك بشكل منطقي عقلاني حازم ، وكذلك حاجات التطور المادي للانتـــاج البضائعـــي المتنامي وللتجارة العالمية الشاملة ، وبالتالي لدور العلوم الطبيعية فى الحياة الاجتماعيـــة الانتاجيـــة والثقافية العامة ، ان كل ذلك قد ساهم فى تعزيـــز عملية مجابهة التصور المشار اليه فوق وفى انبعاث اتجاه فكري جديد يمثل آفاق هذه الفترة على نحو معقد ومثير ومليء بالتوقعات فى آن واحد ، ان ذلك الاتجاه الفكري قد عبر عن نفسه آنذاك من خلال فكرة « الفيض » أو « الصدور » (1) .

فما هي نظرية الفيض هذه ؟

يقول الماركسيون التقدميون ان الفرابي بنظرية الفيض جمع بين المتنافرات فى منظومته الفلسفية .

(1) مشروع رؤية جديدة للفكر العربي : ص 284 ـ 285 .

فما هي ؟ وهل قال بها الفرابي حقا كما يقولـــون ؟ ! وهل بسقوطها تنهار منظومته الفلسفية ويسقط معها كل من اعتمدها في الفلسفة الاسلامية ؟ !

تقول نظرية الفيض ان الوجود واجب الوجود وممكن الوجود وواجب الوجود بغيره . وأن واجب الوجود واحد ، بسيط ، عقل وعاقل ومعقـــول .. وعن تعقله لذاته صدر عقل أول يتعقل واجب الوجود ويتعقل ذاته ، وعن تعقله للذات الالهية صدر عقـــل ثاني ، وعن تعقله لذاته بدا التكثر بصـــدور وجـــود السماء الاولى والنفس (2) ثم استمر التعقل واستمر معه الصدور الواحدي (العقل) والتكثري (السماء والنفس) معا الى العقل العاشر (3) الذي يتولى العالم الارضي الخاضع للكون والفساد والذي تتكثر فيـــه الاشياء ، باختلاط عناصرها وامتزاجها ثم تتلقـــى صورها عن واهب الصور الذي هو الواسطة بيـــن الله والعالـــم .

فالوجود عند الغزالي كلمة عامة تجمـع بيـــن واجب الوجود وممكن الوجود الذي لن يكون موجودا بالفعل الا بتدخل العلة الفاعلة ، وهي الصور المتدفقة عن الذات الالهية السخية المعطاء . فوجود الموجودات من وجود الله ، وهذا الوجود عطاء وفيض وصـــدور عنه ، وهذا الفيض والصدور ضرورة ولكن عينهـــا الحرية ، انها ضرورة غير مشروطة .

ويقول الباحثون ان نظرية الفيض هذه هـــي المرتكز الذي جمع به الفرابي كل المتنافرات ؛ جمع ما بين الله والعالم ، والوحدة والكثـــرة ، والقـــدم والحدوث ، والمنطق والميتافيزيقا والمعرفة والوحي والالهيات والسياسة . وفي الكل جمع بين الديـــن والفلسفة . وبهذا الجمع يقول الماركسيون التقدميون ان ذلك خطوة كبرى للتوحيد بينهما . فهما وجهـــان لعملـــة واحـــدة .

وقد اعترض الاقدمون على هـــذه النظريـــة كالغزالي والرازي الذي قال بأن المنطق الذي يسمح بصدور الواحد يسمح كذلك بصدور التعـــدد وأن البسيط اعقد من المركب فمن اصدر هذا الواحـــد البسيط يستطيع ان يخلق المركب .

اما المحدثون (4) فقد اتجهوا اتجاها راديكاليا حيث ترفض نظرية الفيض بتـــاة (5) من منظومـــة الفرابي بالاعتماد على تعريف كلمتي الابداع والايجاد ونظرية المعرفة عند الفرابي لينتهي الامر الى القول بالخلق من عدم . ومعنى هذا ان نظريـــة الفيـــض ومكانتها في المنظومة الفلسفية تسقط كلية ويبقـــى الايجاد من عدم هو المصادرة الاساسية في منظومته الفلسفيـــة .

وبهذا ينهار الصرح القائـــل بأن مكانة نظريـــة الفيض في منظومته هي التوفيق بين الدين والفلسفة، بين الله والخلق ، بين الوجود والذات ، فالامر اذن ليس لحل مشكل ثنائي بين الله والعالم كوجوديـــن ازليين حسب ما تقدمه الفلسفة اليونانية الوثنية ، او حسب ما قدمت عن طريق المترجمين المسيحيين . وانما الامر خلق ووضع لمنظومة فلسفية متكاملة ، منسجمة ، على اسس ومنطلقات غير يونانية ، وجديدة كل الجدة في مواجهة الفلسفة اليونانية ومصادراتها الفلسفية ، وهذا مع استعمال مصطلحاتها ومضامينها

---

(2) « يفيض من الاول وجود الثاني فهذا الثاني هو ايضا جوهر غير متجسم اصلا ولا هو في مـــادة . فهو يعقل ذاته ويعقل الاول ... فيما يعقل من الاول يلزم عنه وجود ثالث ، وبما هو متجوهر بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السماء الاولى » آراء المدينة الفاضلة . ص : 25 .

(3) « ثم بعد الاول يوجد الثواني والعقل الفعال والثواني على مراتب ... وكل واحد منها يعقل الاول ويعقل ذاته ... ولكن يفيض من وجود كل واحد منها وجود سماء سماء فأولها يلزم عنه وجـــود السماء الاولى الى ان ينتهي الى السماء الاخيرة التي فيها القمر ، وجوهر كل واحد من السماوات مركب من شيئين من موضع ومن نفس » كتاب السياسة المدنية ص : 52 — 53 .

(4) القائل بهذا الاتجاه فوقية حسين محمود : مقالات في أصالة المفكر المسلم ، وهي استاذة الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب بفاس : ان الفرابي عندما يستعمل كلمة فيض «واجب الوجود مبدأ كل فيض» يلاحظ انه يستعمل هذا اللفظ كتسمية فقط لفصل الايجاد والخلق الـــذي هـــو من العـــدم المحـــض » . ص : 99 .

(5) معنى بتاة ليس نفيا لكلمات الفيض والصدور ، وانما نفي التأويل الذي يعطي لنظرية الفيض ليؤدى الى وحـــدة الوجـــود .

التي تفرغ من محتوياتها وتوظف فى الوجهة الجديدة .. وهذا يقدم الفرابي على انه فيلسوف واقعـي ، متدين ، ينطلق من ارضية اسلامية واقعية تقـول بالعالم المادي الحسي المخلوق من عدم .

تاويل وتشويه لنظرية الفيض ...

ورغم هذا الانتقاد والتحول الجذري فى تاويل نظرية الفيض فان ذلك لا يعني نفي كلمات الفيـض والصدور ، فهي تبقى قائمة فى منظومـة الفرابـي وتفسر تفسيرا يناسب المنحى الجديد (6) ولكن هذا البقاء لا يبرر التفسير الماركسي ـ التقدمي لهـذه النظريـة .

يقول طيب تيزيني : ان عرض مفهوم الموجود الاول او الاله لدى الفرابي يقتضي من طرف آخـر التعرض الموجودات الاخرى وبالطبع المادية منها . اما هذه الموجودات فتوجد على شكل فيوضات عن الاله الذي هو الموجود الاول واو هذه الموجودات الفائضة هو العقل الاول وآخرها المادة او العالـم المـادي » . (7)

ويقول فى نص آخر : « ان الموجودات المتعددة والمختلفة ، ابتداء بالموجود الاول وانتهاء بعالم مـا تحت القمر الهيولاني توجد من حيث تكون عالمـا واحدا . اي ان التمايز بين الموجودات تمايـز فى الدرجة الذاتية ضمن اطار وجودي شامل واحد» (8).

ويقول فى نص آخر : وفى الوقت الذي ينطلق فيه الفرابي من ضرورة فيض الاشيـاء كلها عـن الموجود الاول يفقد هذا الاخير وجوده لذاته بشكل علوي مفارق بل اكثر من ذلك . ان وجوده لذاتـه يصبح وجوده للعالم ، فهو لحمة هـذا العالـم ، و (حركته ـ عقله) الخاصة الذاتية ، والتحدث عن وحدة ذات يتمتع بها الموجود الاول تلقاء الموضوع (الذي هو العالم المادي) تتلاشى ، اذ تحل محلهـا وحدة الذات بالموضوع او الوجود الواحد » . (9)

فهل حقا ان كلمات الفرابي فيض ، وصدور ، وعقول تتحمل كل هذه التأويلات البعيدة المشوهة ؟ !

وهل حقا ان الفرابي يقصد بالفيوضات العقول والمادة معا ، يقصد عالم المعقولات اللا مادية التي لا تخضع للكون والفساد وعالم الماديات الخاضع للكون والفســاد ؟ !

وهل حقا ان الفرابي يقول ان واجب الوجود فقد نمايه ومفارقته للعالم ، وتلاشـى وتلاشت وحدته الذاتية ، لتحل محلها وحدة شاملة ووجـود واحـد ؟ !

انك تشعر ولا شك ان تيزيني يستعمل نظرية الفيض ليقفز على هوة هائلة بين عالم الامر (المعقولات) وعالم الخلق (الماديات) فهل عالم الماديات هو حقا فيوضات ، وفيوضات ضرورة (التي شددها تيزيني)، فيوضات سخاء وعطاء كاملة كانت او ناقصة كما يراها تيزيني أم ان هذه الفيوضات وهذه الضرورة وهذا السخاء وهذا العطاء هو فقط فى عالم الامـر عالـم العقول التي لا تخضع للكون والفساد ؟ ! أم ان مجرد اضفاءات وتعميمات من تيزيني مثل « هذه العلاقـة (الوحدة) الانطولوجية الجدلية » تكون مبررا كافيا عنده « لعقد رباط وثيق بين المادة (العالم المادي) والوجود الاول ليس فقط على أساس علاقة نسبية بين كلا الطرفين وانما ايضا على اساس علاقة وجودية، نقول ان عقد ذلك الرباط كان خطوة مرموقـة على طريق ازالة او على الاقل اضعاف الثنائية الكندية تلـك » (10) .

ويقصد تيزيني بالثنائية الكندية الله والعالـم المخلوق من عدم ، وينسى ان ما يجر اليه هو شخصيا بتفسيره علاقة وجودية او العلاقة الوحدة ، هي التي

---

(6) فوقية حسين محمود : مقالات اصالة المفكر المسلم : ص 40 : « ومن يطلع على اقوال الفرابي مثلا فيما يتعلق بالموجودات الثواني يشعر بانه يتناولها كالفاظ ليس لها مدلول واقعي فهو يتناولها على سبيل التأمل ، ومن اجـل ان يبقيها على مستوى التامل والمداعبة الذهنية » .

(7) مشروع رؤية جدية للفكر العربي ص : 288 .

(8) مشروع رؤية جديدة للفكر العربي ص : 293 .

(9) مشروع رؤية جديدة للفكر العربي ص : 300 .

(10) مشروع رؤية جديدة للفكر العربي ص : 292 ـ 293 .

يجب ان تنعت بالثنائية ما دام الله عقل وعاقل ومعقول . اما منظومة الكندي فتقول بخلق العالم اي تنفي الثنائية في الازل والابد . فهل قلب حقائق الامور وتشويهها كاف لتمرير النظرة المادية في الفلسفة الاسلامية ؟ !

اقول ان اطلاق مصطلحات توحي بالترابط بين الله والعالم في علاقة انطولوجية ، وتوظيف كلمة الفيض والصدور في ذلك لتقريب الفوارق بين عالم الامر وعالم الخلق ، عالم الغيب وعالم الشهادة للوصول الى الوحدة اي وحدة الوجود بين الله والعالم . وتقديم الفرابي على هذا الاساس ليس كافيا لسد الهوة والثغرة بين العالم العلوي والعالم السفلي .. وبالتالي فنحن نعلم جيدا ان موقف التحليل الماركسي ـ التقدمي من نظرية الفيض ليس حبا فيها او تأييدا لها لانها علمية ، او نظرية اسلامية ، لا ، انها عندهم مجرد اداة لمقارعة مصادرة الخلق من عدم الدينية التي يلحقون بها كل الشرور في المجتمع مادية وعلمية ، وكانها شيطان الفلسفة عندهم . وهذا يدل على عقلية دينية معكوسة مغلوطة بحق عند هؤلاء الماركسيين التقدميين .

وبطبيعة الحال فتيزيني كعادة الماركسيين يراوغ ويدلس على القارىء ليصل الى مبتغاه . فتأمل هذه الفقرة مثلا : « ان كل واحد من تلك الموجودات يكتسب وجودا بالفعل حينما يحصل على صورته » ، هذا يعني انه « ما دامت مادته موجودة دون صورته فانه انما هو ذلك النوع بالقوة » (11) .

فهو يريد ان يوهم أن هناك موجودات تحصل على الصورة وكانها موجودة دون الصورة ، وجودا بالقوة ، كأن هناك عالم مادي سابق . ونحن اذا سلمنا له مؤقتا بذلك ، فهل هذه المادة الموجودة دون الصورة وبالقوة هي الاخرى من الفيوضات مثلما هي العقول المفارقة ؟ ! والجواب واضح ان لا احد يقول بأن المادة ولو بالقوة فاضت عن الموجود الاول ولا هي معه في علاقة وجودية او وحدة ، بغض النظر عن ان الفرابي لا يستعمل معنى الوجود مساويا لمعنى المادة .. ان العلاقة الوجودية او الوحدة قد تكون بين الصورة والمادة في العالم السفلي اي المادي الواقعي ، اما العلاقة الوحدة مع عالم الغيب فمن الخطل ان نقول عنها علاقة وجودية انطولوجية ، فالمادة لم تفض مطلقا عن الموجود الاول ، ويمكن ان نقف على نصوص الفرابي المؤيدة لهذا .

فما هي المادة الاولى ؟ : انها كما يقول الفرابي احد نوعي الممكن : ما هو ممكن ان يوجد شيئا ما وان لا يوجد ذلك الشيء » « وهي ما لم يكن له وجود محصل » « والمادة الاولى وجودها هو ان تكون لغيرها ابدا وليس لها وجود لاجل ذاتها اصلا ، فلذلك اذا لم يوجد ذلك الذي هو مفطورة لاجله ، لم توجد هي ايضا ، ولهذا اذا لم توجد صورة من هذه الصور لم توجد هي ايضا . فلذلك لا يمكن ان توجد المادة الاولى مفارقة لصورة ما في وقت ما » (12) .

ونتساءل اذا كانت هذه المادة مفطورة كما قال، اين نبعت ان لم تكن قد فاضت عن الوجود الاول ؟ ! يقول الفرابي مقسما الموجودات الى : « ثلاثة منها ليست اجساما ولا هي في اجسام ، وهي السبب الاول والثواني والعقل الفعال . وثلاثة هي في اجسام وليست ذواتها اجساما : وهي النفس والصورة والمادة (لاحظ ان المادة في ذاتها ليست جسما) والاجسام ستة اجناس : الجسم السماوي والحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والنبات والجسم المعدني والاسطقسات الاربع والجملة المجتمعية من هذه الاجناس الستة من الاجسام هي العالم » (13).

اذن فواضح أن العالم يشمل فقط الاجسام الستة ومنها الجسم السماوي الذي عنه تتولد المادة الاولى يقول الفرابي : « والجسم السماوي فان جوهره وطبيعته وفعله ان يلزم عنه اولا وجود المادة الاولى . ثم بعد ذلك يعطي المادة الاولى كل ما في طبيعتها وامكانها واستعدادها ان تقبل من الصور كائنة ما كانت .

والعقل الفعال معد بطبيعته وجوهره ان ينظر كل ما وطأه الجسم السماوي واعطاه ... فعن هذين يكمل وجود الاشياء التي بقيت متأخرة واحتيج الى اخراجها الى الوجود بالوجوه التي من شأنها أن تخرج

---

(11) مشروع رؤية جديدة للفكر العربي ص : 293

(12) كتاب السياسة المدنية لابن نصر الفرابي ص : 58 ـ 59 .

(13) كتاب السياسة المدنية لابي نصر الفرابي ص : 31 .

الى الوجود بها ، وبالوجوه التي من شأنها ان يدوم وجودها بها » (14) .

فالمادة الاولى اذن تلزم عن الجسم السماوي ولا تفيض عن الموجود الاول . فهي ليست من الفيوضات الضرورة التي شدد عليها تيزيني . وانما هي تنبعث عن : « القوة التي تشترك فيها جملة الجسم السماوي يلزم عنها وجود المادة الاولى المشتركة لجميع ما تحت السماء » (15) .

فالفيض عند الفرابي بهذا ليس هو الفيض الذي يحاول مراكسة اليوم تصوره أي فيض وحدة وجود ... ونحن اذا تأملنا النصوص التالية ازداد يقيننا بتشويه الماركسيين ــ التقدميين لنظرية الفيض لدى الفرابي .

« فلذلك وجوده الذي به فاض الوجود الى غيره هو فى جوهره ووجوده الذي به تجوهره فى ذاته هو بعينه وجوده الذي به يحصل وجود غيره عنه » (16) « ولا ينقسم الى شيئين يكون باحدهما تجوهر ذاته وبالآخر حصول شيء آخر عنه » (17) .

« ولا يحتاج فى أن يفيض عن وجوده وجود شيء آخر الى شيء غير ذاته وغير جوهره » (18) .

وفى هذا اثبات لوحدته الذاتية وعدم حاجته لغير ذاته . وفى قوله « فاض الوجود الى غيره » أو « يحصل وجود غيره عنه » اثبات بغيرية الوجود الآخر . بمعنى ان هناك وجودين وجود الذات الالهية التي من صفاتها الوحدة وعدم الانقسام الى شيئين ، ووجود غيره الذي يفيض عنه ويحصل عنه . وفى هذا دحض واضح لما يدعيه تيزيني من أن هناك وحدة انطولوجية بينهما او وجود شامل واحد . فالفيض معناه الحقيقي عند الفرابي هو حصول وجود غير وجود واجب الوجود . « حصول شيء آخر عنه » و « به يحصل وجود غيره عنه » و « يحصل عنه شيء آخر » هذه الجمل تقتضي أن الفيض هو مجرد حصول شيء آخر ، وتقتضي الفصل بين الوجودين ، وتقتضي تأخر وجود غيره عنه بسائر انحاء التأخر : « فلذلك صار وجود ما يوجد عنه غير متأخر عنه بالزمان اصلا بل انما يتأخر عنه بسائر انحاء التأخر » (19) .

وتيزيني مرة اخرى يحاول ان يوهم أمورا على غير حقيقتها فبعد هذا التأويل المادي لنظرية الفيض ولفلسفة الفرابي نراه يجعل ذلك فعلا من مميزات الفكر المادي الهرطقي عند الفرابي : « ان الفرابي لم يدر ظهره الـ « مادة » وانما واجهها بصدره من خلال تفهم دنيوي يطرح الروح الى جانب المادة بشكل ان دنيوية الفكر الفرابي المتعارض مع تصور الخلق من عدم محض ومع تصور الاله المفارق العلوي اي الميل المادي الفلسفي لدى الفرابي لا يبرز فقط فى اطار مشكلات الوجود الاساسية الكلية على النحو الذي اوردناه فوق ، بل ايضا فى اطار الفهم الاجتماعي التاريخي » (20) .

وما اظن الا ان تيزيني قد نسي ان يلصق بالفرابي او يدعي انه ماركس ذلك العهد ، على غرار ما كان يفعله الكذابون الذين يدعون النبوة والمؤيدون المناصرون ينسبونها لهم ، أو تكون مع التواضع التام ارهاصات لنبوة نبي الانبياء ماركس طبعا . فماذا تبقى بعد أن اثبت تيزيني او حاول ، دنيوية التفكير عند الفرابي او الفهم الاجتماعي التاريخي ؟ !

واكرر للمرة الثانية ان هذا اللغط ليس الا عقلية دينية معكوسة مغلوطة اتخذت من الماركسية شعاراتها المادية لتصبغ كل شيء باللون الاحمر .. ولست ادري كيف تستمر هذه المهازل فى التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية وبكل وقاحة ودون خجل ؟ ! فهل هي مسيرة نحو الغباء التام كما أشرت فى كتابي : الاندحار الماركسي فى العالم الاسلامي .

فاين هي علمية التحليل يا أصحاب التحليل الماركسي وانصار التحليلات العلمية ؟ !

(14) كتاب السياسة المدنية لابي نصر الفرابي ص : 55 .
(15) كتاب السياسة المدنية ص : 55 .
(16) كتاب السياسة المدنية ص : 48 .
(17) كتاب السياسة المدنية ص : 48 .
(18) كتاب السياسة المدنية ص : 48 .
(19) كتاب السياسة المدنية ص : 48 .
(20) مشروع رؤية جديدة للفكر العربي ص : 295 .

الثقافة الوطنية

للأستاذ محمد حمادي العزيز

كوكب الارض مستوطن الانسان مقسم ، كما هو معروف ، الى قارات مجزأة بدورها الى اوطان وبلاد تسكنها شعوب وامم مكونة نظما سياسية واجتماعية تتباين وتختلف تبعا لتقاليدها ، وعقائدها ، ومذاهبها ، واعرافها ، وظروفها البنوية المتنوعة .

والحياة التي يحياها الانسان ، ويمارس مسؤولياتها يوميا حياة عقلية يلعب العقل فيها فى كل حين ودون توقف الدور الرئيسي فى الحفز والتنشيط ، والدفع والتسيير ، والتدبير ، والتنظيم .

وبديهي ان يطبع العقل حياة الانسان كلها بنشاطاته التي تستهدف الانشاء والبناء والتعمير والتحسين والاصلاح والانتاج والرفاه وتأمين البقاء والاستمرار الجيد ، وهي نشاطات تمدينية تشملها الثقافة ، والحضارة .

— وهل أسس كائن ليس له عقل كعقل الانسان حضارة او خلف آثارا لثقافة ؟

— .... ؟ ؟

ان الانسان العاقل انسان حضاري يمارس يوميا بفضل فعالية عقله نشاطات تمدينية اينما كان ، ومهما كانت نوعية حياته ، وظروفه البنوية والاجتماعية .

وتؤكد لنا التجربة الحياتية التي يعيشها الانسان فى المجتمع ان كل انسان يتوفر على قسط من تراث ثقافي موروث تلقنه بالممارسة اليومية فى الحياة المجتمعية ؛ ويطبقه فى اعماله التمدينية .

وهذا هو ما يفسر لنا ظاهرة اسهام «الاميين» فى اعمال حضارية مهمة جدا بدون حصولهم على تعليم منظم فى المدارس .

ان اليد تتبع العقل وتأتمر بأمره ؛ وهي بفضل تبعيتها للعقل تستطيع ان تسهم فى النشاطات الحضارية اسهاما ايجابيا .

ومهما يكن من امر فان قدرة النشاطات التمدينية للانسان تتوقف على قدرة تنمية مداركه العقلية التي تعبر معيارا لقياس حضارته ومستوى ارتقائها .

وما دامت تنمية المدارك العقلية تتفاوت فان النشاطات التمدينية تتفاوت ، وتتفاوت بتفاوتها الحضاري بين انسان وانسان ، وبين شعب وشعب ، وبين وطن ووطن ، وبين زمان وزمان .

والانسان العاقل الذي يحيا بفضل عقله حياة عقلية ، ويمارس نشاطات تمدينية اسهم ، ويسهم ، دائما بجهود عظيمة فى تكوين الثقافة وتطويرها ، وتأسيس الحضارة واعلاء شأنها ، وزيادة ابعادها ومدياتها .

فالثقافة هي ممارسة الانسان العقلية للحياة واختباره لها فى وطنه وشعبه وامته ، ووراء حدود وطنه ، والحضارة هي ممارسته لها واقعيا وتطبيقيا .

حسب هذا تبدو لنا الثقافة بمثابة اصل ضروري للحضارة .

لهذا كان لا بد ان يكون الانسان الحضاري المتمدن مثقفا .

وحيثما وجدت الحضارة وجدت معها الثقافة ، وأينما كانت الثقافة كانت الحضارة .

والبحث عن الحضارة يتطلب البحث عن الثقافة كما يستوعب البحث عن الثقافة البحث عن الحضارة فى نفس الحيـــن .

ان الحضارة كصورة ظاهرية ، تجسيديــة ، تطبيقية للثقافة فى واقع الحياة اليوميـــة تعكـــس اجوانب الباطنية الروحية والمعنوية والفكرية التي توصل عقل الانسان الى اكتشافهـــا واستيعابهـــا والاحاطة بها ، وتدل دلالة واضحة على اتجاه نوازعه ، ومقدار ذكائه ، وكثافة اجتهاده ، وهادفية ابعـــاده وامتداداتــــه .

ولمعرفة ماهية الحضارة لا بد من معرفة ماهية الثقافة التي تنتمي اليها ، وهذا يعني بعبارة أخرى ضرورة معرفة ميزات وطنها ، وخصائص شعبهـــا ، وانتمائها الروحي والمعنوي والفكري واللغـــوي ، وابعاد رسالة غائيتها المجتمعية والانسانية .

والانتماء الى وطن جعل الثقافة تخضع للسياسة العليا التي توجهها ، وأوجب على رسالتها الغائية ان تخدم اهدافهـــا .

وبانتماء الحضارة الى ثقافة وطنية تغدو حضارة وطنية متميزة ملتزمة بابعاد وامتدادات رسالتهـــا الغائيـــة .

ان عقل الانسان ذو ابعاد وامتدادات روحيـــة عميقة فى الوجود ، وهي خاصية اساسيـــة تطبـــع الثقافة بطابع روحي وجداني فكري غائي يعتبر بمثابة الحافز الذاتي المحرك لجميع نشاطاتها الغائية .

وليست الثقافة ، وتتبعها الحضارة ، حصيلة الخبرات العلمية المستمرة فى واقع الحياة اليومية للانسان وحدها فقط ، فهي ايضا خلاصة تجاربـــه الروحية والمعنوية التي تملأ اعماقه باليقين والايمان، والاطمئنان ، والهدوء ، ثم هي بعد هذا ناتج تأملاته الدائمة فى الحياة والكون والوجود ، واجتهاداتـــه لتطوير المعارف وتحسين الاوضـــاع المجتمعيـــة ، وتدعيم العلاقات الانسانيـــة ، وازالة الخلافـــات والفوارق بين الامم والشعوب .

ان التطور المستمر للثقافة والحضارة جعل من الانسان كائنا اسطوريا يعيش دائما تجارب اسطورية حقيقية واقعية ومدهشة غريبة فى آن واحد .

وكما يحدث داخل المجتمع الواحد فى الشعب الواحد فى الوطن الواحد من تجاوب وتفاعل وتبادل وتعاون فى الثقافة والحضارة يحدث ايضا بين جميع الشعوب والامم والاوطان حيث تجـــري ممارســـة التجاوب والتفاعل والتبادل والتعاون على مستوى عام شامل بين الثقافات والحضارات والامكانيـــات ،

وبديهي أن تجري ممارسة التجاوب والتفاعل والتبادل والتعاون بين ثقافات الشعـــوب والامـــم والاوطان وحضاراتها فى كوكب أرضي واحد هـــو مستوطن عام وواحد لكل ابناء الانسان .

فالكوكب الارضي اذا صغرنـــاه يصبـــح على مستوى وطن واحد خاص اتخذ نفـــس الميـــزات والخصائص التي يتصف بها اي وطن مهمـــا كانـــت مساحته بجميع ما فيها من محاســـن ومســـاويء واسباب التوافق والتناقض والتــلاؤم والتضـــاد ، وكذلك الحال بالنسبة للوطن الواحد الخـــاص اذا كبرناه ليغدو مستوطنا عاما شاملا لكل أبناء الانسان.

وجريان ممارسة التجاوب والتفاعل والتبادل والتعاون بين ثقافات الشعوب والامم وحضاراتهـــا ليست حديثة العهد ، وانما هي قديمة قدم وجـــود الانسان على الارض .

واذا رجعنا الى الماضي حتى نصل الى وحدة الاصول الاولى للنوع الانساني تتجلى لنا ايضا وحدة الاصول الاولى للثقافات والحضارات الانسانية التي تفرعت وتنوعت فيما بعد لتفرع أبناء الانسان شعوبا وقبائل وامما .

ان هذه الحقيقة مهمة جدا بالنسبة لانسانيـــة الثقافة أو « لعالميتها » بتعبير آخر ، وهي حقيقـــة ينبغي ان تؤخذ بعين التقدير فى كل دراسة تقييمية مجردة عن جميع الاعتبارات المعنوية والغائية لكـــل ثقافة التي كثيرا ما أدت الى حدوث صراعات بيـــن الشعوب والامم والاوطان وبخاصة ما يتعلق فيهـــا بالجانب الاعتقادي المتعارض او بالجانب الوطنـــي الطامح المتحفز .

ويمكن القول بانه فى كل ثقافة وكل حضـــارة لاى شعب ووطن تأثيرات كثيرة من ثقافات وحضارات شعوب وامم وأوطان اخرى قريبة مجاورة أو بعـــيدة نائيـــــة .

وبموجب هذه التأثيرات المتبادلة اضحت كل ثقافة وطنية ثقافة انسانية (عالمية) متماثلة مع جميع الثقافات المتواجدة معها على الارض ومتشابهة معها فى خطوط رئيسية عامة ، ومتناقضة معها فى خطوط رئيسية اخرى خاصة ، سيما ما يتعلق بالجانب الروحي (الاعتقادي) .

والخاصية الانسانية (العالمية) فى الثقافة الوطنية مهمة جدا بالنسبة لجميع ابناء الانسان لانها تحمل معها بشائر خير للمستقبل ؛ ذلك الخير المأمول فى الوصول الى تطوير عقلي غائي يوحد جميع الغائيات فى جميع الثقافات والحضارات على الكوكب الارضي ، ويوجهها وجهة واحدة لخدمة « انسانية » واحدة واعية راشدة تعمل لخير جميع ابناء الانسان فى كل مكان ليعم السلام ، والرفاه ، والاخاء ، والتقارب سائر ارجاء الكوكب الارضي .

طبعا انه حلم بالخير فى عالم تقطع أوصال قرباه حاليا ـ ومنذ كان ـ الحروب والاطماع التوسعية والافكار الصغيرة الضيقة ، ولكن مهما بلغت الصعوبات والعراقل الحالية لا ينبغي ان ييأس ابناء الانسان من تحقيق حلم يقظتهم الجميل بالخير !

ان الاسباب الحقيقية للازمات التي يعاني منها ابناء الانسان الامرين هي : اللا ايمان ، وللا دين ، والتعصب الديني والطائفي والفكري ، والاطماع التوسعية ، والشر بجميع نوازعه ، وهي ازمات تطبع الثقافات والحضارات طبعا واضحا رغم التجاوب والتبادل والتعاون والتفاعل هذا ان لم تكن سببا فى تفجيرها فى بعض الاحيان !

ولكي نفهم هذا لا بد ان نعرف ان كل ثقافة تتضمن جانبين مهمين : الاول : جانب روحي وجداني (ديني وفلسفي) ، والثاني : جانب تجريبي اختباري (تطبيقي وتقني) .

ويتم تبادل الجانب الثاني بسهولة ودونما اي اشكال غالبا ما لم يكن الامر يتعلق بمعلومات علمية ذات صبغة سرية جدا لاختصاصها باختراعات او اكتشافات علمية استراتيجية او فضائية جديدة .. ذلك لان العلوم التجريبية (والمختبرية والتطبيقية والتقنية) وحتى العلوم الانسانية تنفع جميع ابناء الانسان فى كل مكان ، وهي بهذا تعتبر علوما عالمية تندرج فى تعبير الماهوانساني الذي ينفع كل انسان فى كل مكان شرط توفر الامكانيات والتدابير الضرورية .

اما الجانب الاول الروحي الوجداني فهو الذي يكون غالبا سبب فى اثارة الاختلافات والتعارضات والمشاكل ، وفى حدوث الازمات التي يعاني منها ابناء الانسان افرادا وجماعات وشعوبا وأمما واوطانا الاما عظيمة لانه جانب يشمل الاديان والمعتقدات ، والفلسفات ، والايديولوجيات ، ولهذا فهو ذاتي كياني صميم وصميم بالنسبة للانسان ، لان صلته بالروح وبالوجدان وثيقة جدا لعلاقته بالايمان أو باللاايمان ، وبالدين او باللادين ، وبالتعصب او بالتسامح ؛ وببعد مدى النظر الى الوجود الانساني وعمقه وشموله او بالعكس قصره وسطحيته ، وبالالتزام بالانصاف والعدل والحق والخير او بالاخذ بأي مبرر يسوغ اقتراف المظالم والشرور .

ان ما يترتب على هذا الجانب الروحي من نتائج عكسية تكون احيانا بالغة الخطورة ، وخاصة عندما يفتقد التسامح ، ويستحيل التعايش .

والجدال فى الجانب الروحي الوجداني جدال دقيق جدا ولهذا يكون من الافضل أن يتولاه العلماء المتفقهون المختصون فى الاديان ، والمتعمقون فى دراسة جميع المذاهب الفلسفية والمتحلون بالتسامح والحلم وبالروح الانسانية العالية الرفيعة لكي يتمكنوا بواسطة حوار علمي منطقي متفتح ايجابي مثمر من الوصول الى ايجاد حلول سليمة تساعد على تدعيم التقارب وازالة الخلافات وفك الازمات واحلال التعايش الروحي والتسامح بين جميع ابناء الانسان فى الكوكب الارضي .

ولا بد من حوار روحي لانه يبدو أمرا ضروريا ملحا لتطوير الانسانية ونقلها من جهالتها الحالية الى مستقبل اكبر وعيا واعظم رشدا وتسامحا وحلما مهما كان السبيل اليه شاقا وطويلا جدا !

ولقد ادى التجاوب والتبادل والتعاون والتفاعل الى حدوث تداخل ثقافي بين الثقافات يؤثر فيها تأثيرات ايجابية ، ويدفعها لقبول النزعة الانسانية (العالمية) العامة الشاملة والانصياع لها ، والالتزام بها بنظر واع تتخلله حيطة اريبة ذكية .

ولو وجد ابناء الانسان قادة ارقى وعيا واوسع رشدا ، وارفع تفكيرا ، واوسع حلما وتسامحا

لعاشوا بدون صراعات ولا خلافات ، ولا فتن ، ولارتقوا ارتقاء عظيما .

ان الجانب الروحي والمعنوي في الثقافة يعبر جوهرها ولب رسالتها الغائية (الفلسفية) ، وهو يشمل : الوطنية ، وحب اللغة الوطنية ، والتمسك بالعقيدة الدينية ، او ما يعوضها في حالة ثقافات اللا ايمان واللا دين من مذاهب وادیولوجيات .

فالوطنية ، واللغة ، والدين دعائم اساسية ضرورية للثقافة وللحضارة الوطنيتين .

وقد لعبت العقيدة الدينية دورا كبيرا في الصراعات التي جرت في مختلف عصور التاريخ بين الشعوب والامم والاوطان ، وبين الثقافات والحضارات .

ان عنصر العقيدة الدينية ضروري جدا في الثقافة ، وبدونه تصبح فاقدة للبها ، او لجوهرها ، او لروحها .

وانفصال الانسان عن العقيدة الدينية يعني انفصاله عن الله الخالق ، وبالتالي انفصاله عن الحقائق العليا للوجود ، وهذا هو سر الازمة التي يعانيها أبناء الانسان على الكوكب الارضي .

ان عالمنا ما يزال يعيش الجاهلية اليونانية قبل ميلاد المسيح والجاهلية العربية قبل الاسلام رغم التقدم العلمي العظيم الذي ادركه في القرن العشرين ، والتفكير الفلسفي السليم وحده هو الذي يمكن ان يخرج ابناء الانسان من الازمة بارشادهم الى الايمان بالله الخالق .

واذا كان بعض أبناء الانسان يهربون من التعصب الديني الى العلمانية او الى اللاايمان او الى اللا دين او الى اية اديولوجية مادية ضالة فان هروبهم هذا ليس حلا معقولا وانما الحل السليم المعقول هو الايمان والتدين مع التسامح والحلم والنظرة الواسعة العميقة الشاملة للوجود والحياة .

والالحاد ، في حقيقة امره ، سلاح يستخدمه الاقوياء لتبرير هيمناتهم التوسعية وهم يستخدمونه في تدخلاتهم في الشعوب المتخلفة ثقافيا وحضاريا .

* * *

ان ثقافتنا الوطنية ثقافة اسلامية عربية مغربية افريقية وانسانية (عالمية) جانبها الباطني هو روحانية دين الله الاسلام ، ولباب الفلسفة الاشراقية الاسلامية ، وخلاصة التجاوب الفكري مع سائر الثقافات العريقة ، وجانبها الظاهري الواقعي التطبيقي هو الخبرة القديمة (الاصيلة) والحديثة في مختلف مجالات العلوم والفنون الحديثة ، وهي تحتاج الى تنمية دائمة مستمرة تؤمن لها تطورا ارتقائيا جديرا بها ، وينبغي ان تشمل هذه التنمية جانبها الباطني (الروحي الوجداني والمعنوي) والظاهري (الواقعي التطبيقي التجريبي) معا .

انها ثقافة أصيلة ذات اشعاعات واشراقات عريقة ، وذات رسالة غائية قيمة في الوجود والحياة متوازية روحيا وواقعيا ، تشرف المواطن المغربي كانسان واع راشد يستوطن الكوكب الارضي .

والالتزام بالثقافة الوطنية واجب وطني مقدس على كل مواطن لانه جزء صميمي من كيانه كانسان وطني واع راشد يمشي رافعا راسه في كل مكان من كوكبنا الارضي ، ويستطيع ان يقول بصوت عال وبحق لكل انسان : اني مواطن مغربي ! .

اما الانسان الذي لا يلتزم بثقافته الوطنية فانه قد يكون امعة او تابعا لثقافة اخرى ، ويفقد اصالته كمواطن اصيل ، وكمفكر ومثقف واع راشد ، ويصعب ان تقبله تلك الثقافة الاخرى ما لم يلتزم بجانبها الروحي ، وان فعل والتزم به يصبح ضالا ، مرتدا ، خسر شرف التزامه بثقافته الوطنية ، ولا يحظى بالمكانة التي كان ينتظرها عند تلك الثقافة الاخرى .

وان الشرف الذاتي الشخصي للانسان المواطن يفرض عليه أن يلتزم بثقافته الوطنية ، وان يعمل جاهدا بدون انقطاع لتنميتها ، واعلاء شأنها ، وزيادة رصيدها ، وتحسين اوضاعها ، وتوفير امكانياتها ومضاعفتها .

وعليه ؛ ان افضل اختيار ثقافي بالنسبة للانسان المواطن هو اختيار الثقافة الوطنية والالتزام والعمل بهدوء ومثابرة في كل آن لرفع شانها ، واعلان رايتها ، واعزازها ، ودفعها لتواكب الثقافات الراقية بعد ان نجت منّ الازمات التي كانت تهددها في النصف الاول من القرن العشرين .

وما دامت الثقافة الوطنية تحتوي على جانب باطني روحي وجداني فان روح المواطن المثقف هي التي يجب ان تختار التزامها بها !!

الرباط محمد حمادي العزيز

دفاع لكن ...

للأستاذ أحمد تسوكي

لم تتعرض لغة من لغات الامم والشعوب الى الطعنات مثلما تعرضت لها اللغة العربية ، واشتدت هذه الطعنات وازدادت حدتها وضراوتها فى العصر الحديث ومنذ القرن الثامن عشر ، اي منذ الفترة التاريخية التي يطلقون عليها اسم فترة النهضة او عصر البعث . وكان التهجم على اللغة العربية والنيل منها والانتقاص من قيمتها جزءا من حملة وخطة استعمارية شرسة كانت فى الاساس تستهدف القضاء على كافة مقومات الامة العربية وكيانها بواسطة الحروب تارة أو بواسطة التذرع بالحجة العلمية .

وقد وجد هؤلاء الذين آلوا على انفسهم الا يتركوا للغة العربية موقعا أو موضوعا فى الارض تنتشر فيه وتشيع ، أن من الطرق والسبل اليسيرة التي تمهد لهم الوصول الى غاياتهم الدعوة الى استعمال العامية فى الادب ووسائل التعبير الاخرى. فهذا وليم جاردنر يؤلف كتاب : « اللغة العربية العامية » وهذا وليم ورل يقول فى كتاب له : ان اللغة الحقيقية هي اللغة العامية ، وان استخدام هذه اللغة – فى رايه – هو السبيل الوحيد أمام العرب اذا ارادوا اللحاق بركب الحضارة العصرية ! وظهرت ترجمات لامهات الكتب العامية باللغة الدارجة خاصة فى مصر ومنطقة الشام ، اما نحن فى المغرب فلم نسلم من رشاش هذه الموجة ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل والاخفاق سواء فى المشرق او فى المغرب ، لان الناس – وحتى الذين حرمهم الاستعمار او الظروف الاجتماعية والاقتصادية من التعليم – لم يستسيغوا هذه الدعوة فنبذوها ، ويمكن القول ان هذه الدعوة الخبيثة كانت من العوامل التي اوحت واوعزت الى العرب باكرا بنوايا الاستعمار وخططه ، فازداد العرب تشبثا بلغتهم الفصيحة وحضوا ابناءهم على تعلمها والحفاظ عليها ، حتى اصبحت منزلة اللغة العربية الفصيحة فى قلوب العرب ووجدانهم فى مرتبة التقديس .

وحين خرج الاستعمار من الوطن العربي بدا الغزو الفكري الغربي للامة العربية ، ذلك الغزو الذي تذرع بوسائل وحجج ، بعضها يرتدي رداء العلم والموضوعية والتجرد ، وبعضها يرتدي رداء العاطفة الغيور على مصير اللغة العربية (المعقدة) فى عصر يتسم بالتبسيط والتيسير فى كل شيء !

وفى مدى لا يتجاوز ثلاثين سنة – اى عبر حياة جيل واحد – بدات اللغة العربية الفصيحة تتخلى عن كثير من خصائصها الاصيلة وتبتعد كثيرا عن ينبوعها الاصيل العريق دون أن تقوم هناك ضرورة معينة تدعو الى ذلك .

ومن يقرا اساليب الكتاب العرب المعاصرين يدهش كثيرا جدا ، لان هذه الاساليب فى الكتابة انما تستمد بعض قواعدها واصولها ليس من الاساليب العربية الاصيلة فى الادب العربي ولكنها مستمدة من الاساليب الادبية الوافدة : من اللغات الفرنسية والانجليزية واللاتينية بصفة عامة ، ولا شك ان هذا راجع الى التاثر بالآداب الغربية والى الترجمات التي ظهرت للآثار الادبية الغربية والى النمو الحاصل فى مجموع مفردات القاموس العربي الحديث – وهو نمو فاق كل تصور – والى العلاقات الفيولوجية التي نشات حديثا بين اللغة العربية واللغات الاجنبية تحت ستار علم اللغة المقارن والى غير ذلك من التطورات اللغوية التي جعلت اللغة العربية الفصيحة الآن ، بينها وبين جدتها القديمة فروق وفوارق تكاد تفصل بين هذه وتلك .

وقد قامت جهود مشكورة على ايدي علماء وادباء ومفكرين احسوا بالاخطار المحدقة باللغة العربية الفصيحة فى مواجهة هذا الفيضان الجارف من الكلمات

والمفردات والتعبيرات فضلا عن المصطلحات الذي امتد الى الاصوات والاساليب الادبية والفنية ، فهبوا للتنبيه الى هذه الاخطار ودافعوا عن قضية تطوير اللغة العربية وتسهيلها وتيسير اساليبها فى الكتابة والتعبير والانشاء لابناء اللغة انفسهم ، فى عصر ينمو فيه كل شيء نموا سريعا ، او للاجانب الذين يودون الاتصال بالعرب اتصالا مباشرا ، ونذكر من هؤلاء الاساتذة الاجلاء عبد الله كنون وانور الجندي وتقي الدين الهلالي وسعيد الافغاني وغيرهم كثيرون..

وفى تقديري الخاص ان مسؤولية تسهيل وتيسير اللغة العربية الفصيحة – مع الحفاظ على مقوماتها وخصائصها وروحها الاصيلة – لا تقع فقط على كاهل الادباء والعلماء والمفكرين وفقهاء اللغة ، فذلك شيء مفروغ منه ، وانما ينبغي ان تنسحب هذه المسؤولية الجسيمة الى الآباء انفسهم داخل البيت وفى الشارع ، والى المعلمين والاساتذة فى فصول الدراسة والتحصيل ، والى وسائل الاعلام المختلفة التي يعد دورها فى هذا المجال خطيرا جدا ، لان الراديو والتلفزيون – مثلا – اصبحا عضوين من أعضاء الاسرة ، ولا يكاد يخلو منهما بيت من البيوت ، فتأثيرهما شديد جدا . وكذلك لا ينبغي ان ننسى دور الصحف اليومية والمجلات ... فاذا احسن استغلال هذه النوافذ التي يطل منها المرء على ما يجري فى وطنه وعالمه بواسطة اللغة والاسلوب، واذا استطاعت تلك الوسائل والاجهزة التي تتصل بالناس اتصالا وثيقا جدا وتؤثر فى حياتهم الفكرية والعقلية والوجدانية أن يرتقي اصحابها والمشرفون عليها وعلى برامجها وخططها ومناهجها باللغة والاساليب التي يقدمونها للناس : صغيرهم وكبيرهم، المتعلم منهم والمثقف ، الامي منهم والجاهل ، وان يصقلوا هذه اللغة ويجعلوا بينها وبين اللغة الفصيحة حقا ، رابطة تربطها بها ولا تفصلها عنها ، واستمدوا طرائف الحديث الذي يصلهم بالناس ... ... تمكنوا من صيانة جمال اللغة العربية الذي يتشوه وجهها يوما عن يوم ، واحتفظوا للغة بنقائها ونصاعة اساليبها التي تكدرها بعض الكلمات المستوردة والدخيلة والتي ان بحثت عن صلة او آصرة من قريب او من بعيد تمت بها الى اللغة العربية الفصيحة حقا ، الاصيلة حقا ، لما وجدت شيئا من ذلك ، وعجبت اشد العجب : يا لها من لغة يسمونها عربية ويا له من مصير يترقبها !

و ... عود على بدء ...

مما لا مراء فيه ان اللغة العربية شهدت منذ مطلع هذا القرن عددا من التطورات والتحولات التي مست اللغة فى الشكل وفى المضمون معا ، وحين نتفحص هذه التطورات والتحولات التي طرات على اللغة العربية واساليبها واشكالها ومضامينها نجدها تنطوي على قدر غير ضئيل من التحدي الذي طرحته عليها الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية والحضارية عموما ، واستطاعت لغتنا ان تواجه هذا التحدي مواجهة سريعة وفورية وان لم تخل من بعض الاخطاء ومن بعض السلبيات كما يحدث فى اي مواجهة يطبعها التحدي ، فكيف اذا كان حضاريا ؟ !

ومما لا مراء فيه ايضا ان اللغة العربية خرجت من هذه المواجهة منتصرة رغم الدعاوي التي قامت فى المشرق او فى المغرب الى محو اللغة العربية الفصيحة واحلال العامية محلها او استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ... – ولو لم تكن اللغة العربية ذات قدرة خارقة – فى كافة المواجهات والتحديات التي واجهتها – على امتصاص واستيعاب هذه التحديات لما استطاعت هذه اللغة الحياة والبقاء حتى الآن ، وان يمتد اشعاعها الى بعض الشعوب والقوميات التي لم تكن تتكلم العربية او تتحدث بها ولم يكن مثقفوها يكتبون بها ، ولا ان تصبح هذه اللغة الان احدى اللغات الرسمية فى عدد من المنظمات والهيئات الدولية ، وهي اللغة التي يمتد تاريخها وتمتد أصولها وجذورها الى اكثر من سبعة عشر قرنا ضاربة فى القدم ، ورغم ذلك ، لا زالت تحتفظ بحيويتها وصفائها ونقائها وجمالها وشفافيتها وخصائصها فى الكتابات الادبية الاصيلة عند ادبائنا الكبار – القدامى منهم والمعاصرون ، هؤلاء الادباء والكتاب والمفكرون الذين لا زالوا يحملون لواء العربية ويرفعون بيرقها فى الفضاء عاليا ...

ولكن القضية – او المشكلة – ان بعض هؤلاء الادباء والكتاب والمفكرين ليسوا على قناعة تامة – ومع الاسف الشديد – بأن اللغة العربية قادرة على التعبير عن ادق ما يشهده العصر والظروف الحضارية الراهنة ، وهي النغمة التي تكرر باستمرار والتي تدعي ان قدرة اللغة العربية قدرة محدودة على استيعاب علوم العصر والتعبير عنها وبها ، ولذلك على اللغة العربية أن تنزوي بعيدا عن هذا العصر

وظروفه ومتغيراته ، أي أن القائلين بهـذا الزعم والادعاء يريدون أن يضعوا اللغة العربية فى متحف اللغات الميتة وأن تظل فيه اداة من ادوات الماضي واداة من أدوات الفرجة على أدب وثقافة و . . . حضارة ميتة !

ولا شك ان هؤلاء الادباء والكتاب والمفكرين قادرون على تكريس مواهبهم وطاقاتهم وجهودهم لتطوير اللغة العربية حتى تصبح هذه اللغة قادرة بدورها على مواكبة العصر وظروفه ومتغيراته بدل الالحاح دائما على عدم قدرة اللغة العربية على مواجهة تحديات العصر الادبية والعلمية والتقنية الدقيقة وعدم القدرة على استيعابها والتفاعل معها والتعبير بها وعنها ، وهي حجة واهية استخدمت من قبل فى مراحل وفترات تاريخية معينة ، ولكن الذين تذرعوا بها واستخدموها ذهلوا تماما حين راوا اللغة العربية والقائمين بها يتفاعلون باللغة العربية ويطورونها ويصهرونها فى تجارب أدبية وعلمية وتقنية جديدة ودقيقة فى نفس الوقت ، فحين ظهر فن التمثيل فى الشام ظهر باللغة العربية العامية لان الذين أدخلوا هذا الفن الجديد على الادب العربي اعتقدوا أن اللغة العربية الفصيحة لن تتمكن من التفاعل مع هذا اللون الادبي الطارىء عليها وبالتالي لن تكون قادرة على التعبير به مع الالتزام بقواعد الفن المسرحي واصوله ومناهجه ومبادئه ، وظهرت فيما بعد أعمال مسرحية باللغة العربية الفصيحة لقت نجاحا كبيرا ، وأكثر من ذلك أن كتاب المسرح العرب حين وفد عليهم من الغرب مسرح العبث واللا معقول كتبوا أعمالا مسرحية بالغة التعقيد ووصلوا باللغة فيها الى درجة التجريد، فلم تقف اللغة العربية الفصيحة حائلا دون ذلك وغيره كما كان يشاع ويروج له . . . ووقع نظير ذلك فى مجالات الرواية والقصة السيكولوجية والشعر والمسرح الذهني والقصة البوليسية وقصص المغامرات والجاسوسية ، مع تحفظ فى الاساليب التي توظف وتستعمل للتعبير عن هذه النواحي والزوايا من واقع وطبيعة العلاقات والمتغيرات الحضارية الجديدة فى عصرنا الراهن . . . وهذا كله يسقط الدعاوي والتهم الموجهة الى اللغة العربية الفصيحة وقصورها . . .

وبالرغم من ذلك ، لا ننكر أن بعض مجالات النشاط العلمي والتكنولوجي لم تقتحمه اللغة العربية بعد ، ولكن ليس بسبب عدم قدرتها وعجز طاقاتها عن ذلك ، وانما للسرعة التي يسير بها هذا النشاط العلمي والتكنولوجي المتنوع والمتشعب ، وهي معضلة لا تشكو منها اللغة العربية فحسب ، ولكن حتى بعض اللغات الحية مثل اللغة الفرنسية التي يبكي ويتباكى اصحابها الان مخافة أن تصبح هذه اللغة — لغتهم ذات المجد العريق — لغة فى الصنف الرابع بعد عشرين او ثلاثين سنة ، ذلك أن جل المصطلحات والمفردات والمفاهيم الجديدة فى العلم وحتى فى الآداب والفنون لم تعد تولد فى باريس ومعاملها ودور النشر فيها ومطابعها ، ولكنها تولد فى معامل الولايات المتحدة ومعاهدها العلمية والتكنولوجية العليا وفى المانيا الغربية واليابان والاتحاد السوفياتي! وهي الدول التي تتصدر القوى الاقتصادية والعلمية للانسان وحضارته فى عصرنا الحاضر .

والمسألة الاساسية فى رايي تنحصر — فى هذه المقالة على الاقل — فى محاولة لطرح الصاعب والتحديات والمشاكل التي تواجه اللغة العربية الفصيحة فى البلاد العربية نفسها على مستوى الحديث اليومي ومستوى ميادين الاعلام بما تشمله من صحف ومجلات واذاعة وتلفزيون وسينما ، طرحا موضوعيا ونزيها ومجردا ، طرحا يشمل ساحة واسعة من النظر والعمل معا ، ساحة تجتمع فيها مجموعة من الكفاءات العلمية والادبية والفنية الواعية والقادرة على الدفع باللغة العربية الفصيحة الى مجالات للاستعمال والاستخدام متعددة تشمل كافة الوجوه والمناحي التي يبرز فيها نشاط الانسان وتظهر فيه انجازاته الابداعية والعلمية . . .

ولا ادري كيف تسعى الدول والحكومات العربية الى اللحاق فى بعض العلوم التكنولوجية وتوظف لذلك الاموال والارصدة وتعتمد لهذه الخطة البعيدة المدى مبالغ مالية ضخمة واطرا علمية عليا ، ولا تسعى الى أن تجعل من اللغة العربية — وهي لغة العلم لهذه الاجيال التي تستشرف آفاق القرن الواحد والعشرين — لغة فى مستوى المرحلة التي تريد هذه الاقطار أن تحققها ، لغة فى مستوى القرن الواحد والعشرين .

اننا نفكر فى مستقبل الانسان العربي ، مستقبله الاقتصادي والاجتماعي ، ونفكر فى توفير القدرة له على الدفاع عن نفسه ، ولا نفكر فى مستقبل لغته ، وهي أداة التفكير والتعبير معا فى مستقبل الانسان اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا .

وفى رايي اننا اذا لم نطور لغة الحديث اليومية لنجعلها قريبة من اللغة العربية الفصيحة ، واذا لم نطور لغة وسائل الاعلام ، واذا لم نطور اللغـــة فى البيت وفى المدرسة أساسا وبالدرجة الاولى ، فان كل احلامنا وآمالنا فى تقريب اذهان الناس الى اللغة الفصيحة او تقريب اللغة الفصيحـــة الى النـــاس واذهانهم ـ وتلك مشكلة اخرى ـ ستنهار فى النهاية وتذروها الرياح ، ذلك أن المنطلق الاساسي لاصلاح اللغة او تطويرها او تحديثها او صقلها او مزجها او ادماجها : نابع من واقع وطبيعة الحياة اليومية للناس والجماهير وما تعج وتضطرب به من علاقات اجتماعية واقتصادية وانفعالية وغيرها ، وهذه الجماهير يجب أن نسعى اليها بلغة عربية متطورة ومصقولة وحديثة وممزوجة ومدمجة ومصهورة حتـــى تستطيـــع أن تستجيب هذه اللغة وأساليبها فى التعبير عن حاجات الجماهير وعن علاقاتها المختلفة ، دون أن نطرح هذه اللغة على الناس شائهة هجينة ، تحول بينهم وبيـــن تراثهم الادبي الخالد وتصنع بينهم وبين الآثار الادبية حواجز أشبه بالاحاجي والالغاز تقتضيهم فكها حتى يفهموا ما يريد الادباء أن يقولوه . . .

ومن منا اليوم لا يحتاج الى قاموس يفهم معنى بيت من شعر أحمد شوقي ـ مثلا ـ ؟ فكيف يكون حجم هذه الحاجة اذا قرأ بيتا للمتنبي ، وسار بعيدا فقرأ بيتا من معلقة امرؤ القيس ؟ .

وكيف سيؤول اليه أمر الناس عند قراءتهـم لآثار توفيق الحكيم او نجيب محفوظ مثلا فى القرن الواحد والعشرين ؟

ان قاموس اللغة العربية تتطـــور مفرداتـــه باستمرار بما يفد عليه من مفردات جديدة من لغـــة الحياة اليومية أو من لغة وسائل الاعلام او من لغـــة البيت ولغة الشارع ولغة الكتب التي تدور بها مطابع العالم العربي والعالم الغربي على حد سواء ، وهناك مفردات جديدة تظهر كل يوم وتدخل القاموس بينما تختفي منه مفردات اخرى كف الناس عن استعمالها او تخلت عنها عجلة التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والادبي فى حركتها اليومية الدافعـــة ، والاديب الذي يكتب للناس باللغة التي يفهمونهـــا لا يمكن له أن يبقي اداته التعبيرية معزولـــة عن هـــذا التطور السريع فى تغيير بنية اللغة ، ولكن الجناية التي نرتكبها فى حق الناس وحق اللغة معا هي أننـــا نأخذ هذا التطور السريع على علاته ، ونأخذ المفردات والتعابير التي تجري بها الحياة اليومية للناس على ما فيها من عيوب ونقائص ، ثم نعود فنقـــدم هـــذه المفردات والتعابير الدارجة مرصوفة فى قصـــة او شعر او مسرحية على أنها لغة ادبية ترتقي بحاسة تذوق الجمال والاحساس بالخير والحق والفضيلة لدى الناس وتصقل مشاعرهم وتهذب من حدة ميولهم وغرائزهم الفطرية .

ان اللغة العربية تجتاز ازمة من اخطـــر وادق الازمات التي مرت بها ، ولكن ازمتها الآن تختلف من حيث الظروف العلمية والاقتصادية والاجتماعيـــة والادبية . . . واظن ان هذه الازمة ســـوف تـــزداد وسوف تشتد لان ظروف المرحلة تختلف عـــن اي ظروف اخرى وعن اي مرحلة اخرى ، فعصرنا عصر تتلاقح فيه الافكار ، والافكار تصورها اللغة ـ وهذه اللغة ـ اي لغة ـ ينبغي أن تكون فى مستوى التعبير عن هذه الافكار وتصويرها تصويرا دقيقـــا وامينـــا واصيلا وسليما ، ومثلما تتراكم الافكار والمعلومات التي يفرزها العقل البشري تتراكم كذلك المفردات والكلمات والمصطلحات والمفاهيم ، ولغتنا العربية لا يجب ان تنزوي مفرداتها وكلماتهـــا ومصطلحاتهـــا ومفاهيمها عن هذا التراكم الذي تستقبلـــه لغـــات الشعوب المتقدمة بالتصنيف والتنظيم والتنسيـــق والضبط وعمليات التحليل والتركيب ، واذا تخلفت اللغة العربية عن ذلك كله ، تخلفت عن مسارها الذي سلكت فيه مسلك التكيف والملاءمة والتأثر والتأثير عبر فترات وحقب تاريخية وحضارية عديدة ، وتخلف ايضا فكرنا وتخلى عن صفاته وسماته المميزة له مثل الوعي واليقظة والاجتهاد والطموح والخلق والابداع . . واذا تخلف فكرنا الذي يمثل شخصيتنا وحضارتنـــا ويجسمها ، فلماذا لا يترتب عن ذلك ايضا أن نتخلف كلمة عرفت دائما باسهاماتها فى حضارة الانســـان وتقدمه ورقيه ؟ . . ولكن المزلق الاخطر الذي اخشاه اكثر هو أن نرتمي فى احضان لغة أجنبية نستعيض بها لغتنا الاصيلة ونستعين بها فى لغة حديثنا اليومي ولغة وسائلنا الاعلامية ولغة بيوتنا ولغة مدارسنـــا ولغة الشارع ، لننتهي أخيرا الى أن نجعل من هذه اللغة لغة « الحياة » نفكر بها ثم نتحدث ثم نكتب بها !

الرباط : احمد تسوكي

علي الجارم

للأستاذ محمد بن أحمد اشماعو

الحقيقة اننا نعيش فترة سعيدة من تاريخ الاسلام ، ومن تاريخ البلدان التي تدين به ! . ذلك اننا فتحنا اعيننا على ديننا ـ كما قد لا يعرف شباب اليوم ـ وهي ملفوفة بالظلام والغيوم واليأس ، وتثقل مناخها مظاهر الجهل والغفلة والجمود . وكان بعض الادباء والمتفقهين والمتعلمين ، من ذلك العهد هم وحدهم الذين يشعرون بوطأة المآسي المحيطة ببلاد الاسلام .

بعض بلدان المسلمين ، بل أكثرها كان تحت سيطرة الاستعمار الاجنبي ، وبعضها كان في قبضة حكم محلي متخلف جامد مستبد ... فمتى قبض الاولون على الامور فانما يقبضون على زمامها بقصد الاستنزاف لارزاق الاوطان ، وتسخير المواطنين ، وحمل الخيرات الغذائية والمعدنية وغيرها الى الاراضي الاصلية ... ومتى قبض عليها الآخرون فانما ليضمنوا حكما غاشما ، وسيطرة ظالمة على بني وطنهم ، والنكاية هي انهم على درجة من الجهل والغفلة ، لا يكادون يعرفون من شؤون الدنيا والناس ـ من حولهم ـ شيئا ، والانكى والافظع انهم يخصون انفسهم الجشعة بكل شيء ، ويحرمون بني أوطانهم من كل شيء !

واهم مقوم من مقومات الاسلام ـ في جميع أوطان الاسلام ـ وهو اللغة العربية كان في حالة من التأخر والجمود ، فلا منشورات ولا مطبوعات الا في القليل ، وهذا القليل موسوم بالسجع المتكلف ، والتقليد الممل المضيع لكل فائدة . ويأبى القابضون على أزمة الامور ـ هؤلاء واولئك ـ الا ان تبقى الحالة كذلك ، لان في الجمود حركة لهم ، وفي الاحتضار حياة ونعيما ؛ وانى لامانيهم الخائبة ان تتحقق ، وهناك الروح السامية الخالدة الصامدة (المصحف الشريف)، ضامن حياة اللغة ، وحافظها من الاندثار ، وهو وحده الذي ظل يمثل عنصر التحدي والصمود والمواجهة ، في انتظار ان يأتي اقوام آخرون ، ليجددوا العهد ، ويعيدوا ايام المجد .

وجاء القدر السعيد بهؤلاء الاقوام الفضلاء ، حاملا لواءهم الرائد المسلم العظيم السيد جمال الدين الافغاني ، وخلفه في كل أرض من مناطق الاسلام داعية مهيب المقام جهير الصوت ثابت الجنان : فبالمغرب الشيخان الجليلان شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وبالجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس وبتونس الشيخ خير الدين والشيخ الثعالبي ، وبليبيا المجاهد السنوسي وبمصر الشيخ محمد عبده وبالشام الامام رشيد رضا وغيرهم ، واخذ عنهم الفكرة الكبرى تلامذتهم الكثيرون فكانوا في مستوى الدعوة . لم يكونوا الا افرادا معدودين في كل قطر ، ولكنهم في وحدة خطتهم ، وسمو هدفهم ، كانوا يمثلون مجموعة جبارة من ثابتي القلوب ، الاقوياء الايمان ، الماضي العزائم ، لا تهن لهم ارادة ، ولا يقهر لهم تصميم ... وبفضل هذه المزايا العظيمة استطاعوا ان يجددوا للدين الاسلامي شبابه ، وأن يوضحوا الخفي من مقاصده ، وان يبعثوا الاعتزاز الكبير به في النفوس ، الى حد ان قويت صفوفهم ، وتكاثرت اعدادهم ، وظهر منهم من هم على اتم استعداد للمقاومة والفداء .

وتمت نعمة الله ـ بسبب هذا ـ فتحررت الاوطان الاسلامية ، الواحدة بعد الاخرى ، واخذ

المسؤولون في كل مكان ، يجتهدون في ان تكـــون ممالكهم ، وجمهورياتهم ، واماراتهم ، في مستـــوى طيب سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا ، ولولا المؤامرات الدولية المتمثلة في جرثومة الصهيونيـة ونكبة فلسطين لكان للعالم الاسلامي والعربي شـأن اعظم ، وذكر أوسع ، وازدهار انفع !! ..

وتبعا لذلك فازت لغة القرءان بخدمات المجددين والمصلحين ، كما وقع في اصلاح شؤون الديـــن ، سواء بسواء . والعجيب ان حلقات الدرس الاصلاحيه التي رفعت من مستوى التفكير الديني ، هي نفسها التي رفعت من مستوى اللغة العربية ... كان هذا شيئا واضحا في جميع الاقطار العربية الاسلامية ، ولكنه بمصر المجيدة أوضح واشمل ، وهكذا برز في الميدان اساتذتنا : العقاد والمازني واحمد أميـــن والزيات والرافعي وزكي مبارك وعلي الجارم :

● علـــي الجـــارم :

وقفتنا ـ الآن ـ عند الاستاذ علـــي الجـــارم (1881 ـ 1949) يقتضيها الاعتراف بالجميل ، فهو الاستاذ المجدد في اللغة وفنونها ، وبفضله اصبـــح علم النحو وظيفيا ـ كما يقـــال ـ من حيـــث ازال واستبعد ما لا فائدة فيه ، وبسط القواعد والحقائق بالطريقة الاستقرائية المعروفة عند رجال التعليـــم ؛ وجعل امثلته في التقديم وتمارينه في التطبيق حية معبرة موحية ، فيها ارشاد وتهذيب واستنهـــاض ، وهكذا تحققت الاغراض التربوية كاملة ، وكما فعـــل بالنحو فعل بفنون البلاغة ، حتى صار سفره فيهـــا نماذج من فنون القول المعجبة السائقة .

فلماذا هذا السكوت عن الاستاذ الجارم ؟ لماذا لا يذكر الا في القليل ؟ لماذا لا تقام ذكراه ؟ ولماذا لا تحمل اسمه المؤسســات التعليمية ؟ ولماذا لا يأخذ مكانته في ميدان تاريخ الادب العربي ؟ لماذا كل هذا والاستاذ قد ادى خدمات جلى للغة العربية ولعلـــم التربية ، ولفن القصة ، ولحقل الشعر ولميادبـــن البحـــث ؟

ولكي نزيد اقتناعا بدور أستاذ الجيل (السيد علي صالح الجارم) نستعرض جمعا حياة هذا المربي الاديب البارع الفاضل ، وسنرى كم هي قيمة حياة هذا الرائد الماجد .

لقد عاش اديبنا الكبير ثمانية وستين عامـــا ، وهي فترة ليست بالقصيرة ، لكنها قصيرة بالنسبة لحياة كانت نافعة للاجيال وللامة العربية قاطبـــة ، طيلة فترة الخدمة الادارية الرسمية ، وكان منتظرا ان تزيد في العطاء الادبي الخير ، بعد الهدوء وراحة البال والتخفف من الاعباء ، لولا ان الاجل وافى عاجلا، وعلى حيـــن غـــرة .

مطلع هذه الحياة العامرة قضاها الاديـــب في ثلاث بيئات مختلفات ، في مدينة صغيرة مجيـــدة ، تعيش على الامجاد وتحافظ عليها ، تلك هي (مدينة رشيد) ، ثم قضاها في المدينة الواسعة الاكناف ، العريقة الاصول ، التي تزخر بسكانهـــا الاصليـــين والنازحين ، تلك هي (مدينة القاهرة) ثم قضاها في مدينة ثالثة ، تختلف ظروفها واحوالها كثيرا عـــن ظروف المدينتين الاولينين ، تلك هـــي (مدينـــة نوتنكهام) الانجليزية ، فالذكريات الجميلة الحلـــوة كانت بأرض الطفولة والمرح والانطـــلاق ، بمدينـــة رشيد ، وذكريات الدراسة والتحصيل والمعاشرات كانت بالعاصمة العريقة القاهرة ، وذكريات الاوساط العلمية والاوساط الفنية والجمالية كانت في صميم بلاد الانجليز الاصلاء ... وكل هذا من شانـــه ان يثري تجاوب المفكر الرقيق الشعور ، المتفتـــح القلب ، الخصب الخيال ، وان يوقفه على حقائـــق الحياة كما هي ، نجاح وفشل ، مناصرات وخصومات، امجاد باهرة ، ومعاكسات قاهرة .

وكما هو شأن الرواد في كل زمان ومكان ، بدأ الكاتب بداية عادية ، دراسة في احد كتاتيب الحي ، بمدينة متوسطة ، ثم بمدرسة عصرية ، في مدينـــة كبيرة ، ثم بدار العلوم ، وكوفىء على نبوغه وتفوقه بان ارسل في بعثة الى الخـــارج ، للتخصـــص في شؤون التربية والتعليم ... مع ان رغبة السيد صالح والده علي ، وهو القاضي الشرعي ، كانت ان يعد ولده ليخلفه في منصبه القضائي ، لكن المطامح الشخصية للشاب كانت شيئا آخر غير القضاء ، والفصـــل في الاحكام . المطمح كان هو الانصراف الى تهذيـــب الاجيال وتعليمها ، وارضاء حاجات الفكر والجوانح والخيال بحمل القلم !

وسيتوقف نظر الباحث ان الاستاذ الجارم المربي، المتخرج من مدارس الغرب المتقلب في بيئاته تلك المدارس والبيئات التي تموج بالتيارات الفكرية، والمبتدعات الفلسفية والاجتماعية، وبأنماط من السلوك والتصرف والمعاملة، تفوق في بعض المناحي ما عند بني القوم من ديار الاوطان... كل هذا لم يدفع الكاتب القدير ان يؤلف كتابا في فلسفته التربوية، كما يؤملها لبني قومه، وفي آماله وامانيه في نطاق التكوين والتوجيه والتعليم على مختلف مستوياته، انه كان جديرا بذلك واحق... ولا يعرف احد كيف لم يخالج ذهنه هذا المشروع مع انه خطر للدكتور طه حسين وانجزه في كتابه : ... مستقبل الثقافة في مصر .. وانجزه الاستاذ اسماعيل القباني في كتابه القيم .. دراسات في تنظيم التعليم بمصر ... كل ما كتب في ميادين التربية وعلم النفس هو كتيب « في علم النفس » وهو تأليف ـ حقا ـ لا يشفي غليلا . ومما يستحق الذكر ان رفيقه في عدة تآليف تعليمية، نعني الاستاذ مصطفى أمين انفرد بتأليف سفر اكاديمي هو كتاب « تاريخ التربية » . ولم يشر أحد الى ان الاستاذ الجارم كتب في الموضوعات التربوية نظريا حتى مقالات متفرقة مثلا، ولو كان قد فعل ذلك لاشار اليه كاتب ترجمته الاستاذ (محمد عبد المنعم خاطر : ... الحقيقة اننا كنا جد متشوقين الى وجهة نظر الاستاذ في التربية النظرية، والى تحديد موقفه من شؤونها الشائكة ...

هناك الجانب التطبيقي من التربية والتعليم وهو الذي قدم فيه استاذنا الجليل خدمات جلى، وذات قيمة لا تبلى، في مقدمتها الكتاب النافع . النحو الواضح، باجزائه الستة، اذ الحقيقة اننا تلاميذ الامس، ومعلمو ومفتشو واساتذة اليوم نعترف بالنفع الذي اسدته هذه السلسلة للغة العربية، واكاد اجزم ـ شخصيا ـ انه اذا كان يلاحظ في السنة الكثيرين والكثيرات من طلاقة وافصاح ومن تراكيب صالحة وصياغة جيدة فان ذلك يرجع في الكثير لسلسلة « النحو الواضح » في الاجزاء الاربعة الاخيرة خصوصا .

ان الطريقة الاستقرائية، التي تقضي بدراسة الامثلة للوصول الى القاعدة، والتي سلكها الاستاذ الجارم وصاحبه في كتابهما يوجه اليوم اليها بعض النقد، وترجح عليها طريقة (دراسة النص المتكامل) للوصول الى القاعدة . ويتناسى الناقدون ان الطريقة المنقودة ابتدعت منذ نحو الاربعين سنة، ايام لم يكن هناك قياس ولا استقراء ولا مزج بين الطريقتين، وانما كان الجو يستبد به زيد وعمرو وخالد وبكر ... وحدهم ... الى ان جاءت امثلة الجارم في نحوه الواضح ... كطريقة مشوقة، في نفس الوقت موحية، لا تخلو من توجيه وتهذيب واشعار بالنخوة والعزة .

ونفس الدور البيداكوجي الذي أدته سلسلة (النحو الواضح) قام به كتاب (البلاغة الواضحة) و (ذيلها) فبفضلهما فهم التلاميذ بسلك الثانوية البلاغة، وفنونها بكيفية اجود، وطبقوها على نطاق واسع بمختلف التمارين والتطبيقات التي اوردها المؤلفان الجليلان .

وتعدى الاستاذ دور التعاون الثنائي بينه وبين الاستاذ مصطفى امين الى التعاون الجماعي، فاصدر مع لفيف من الاساتذة المشهورين مثل الاستاذ احمد امين والاستاذ طه حسين مؤلفات في تاريخ الادب العربي، ويمكن أن أجزم ان دور الاستاذ الجارم كان اظهر من ادوار اصحابه، فروح استاذنا الجارم وامساته غير خافية !

ونستخلص من هذا ان هذا الرائد كان ذا قابلية للاعانة والاستعانة، وهما مزيتان ـ في كل الاحوال ـ لهما دلالة على مرونة في الطبع وعلى مكانة مرموقة بين الاقران الاجلاء، وعلى رغبة قلبية صادقة في خدمة الصالح العام، الخدمة المتمثلة في ترقية الاجيال، وتهذيبها، والتسامي باذواقها ومداركها وعواطفها .. واتذكر في هذا المقام قولة أحد الاساتذة المصريين الذين كانوا يعملون في المغرب الذي شهد (بأن الاستاذ الجارم كان صارم الطبع شديدا في مزاولة مهام التفتيش ...) ولا تقبل هذه القولة، لان صرامة الطبع، لا يتمكن بها الانسان، من التعاون مع الافراد، ومع الجماعات، في ميدان دقيق، ودقيق جدا، هو ميدان التاليف، حيث يكثر التفاضل بالمعرفة، ويقل الاعتراف بتفوق الآخرين، والواقع المشهود يؤكد ان الاستاذ عاشر وعوشر وتعارف وتآلف . اما الشدة في مزاولة المهام فاحبب بها مزية، ونخشى اذا ما زالت هذه الشدة في مزاولة المهام ان تعود الامور، في اخطر جوانبها، تزاول بغير حزم ولا شدة وانما بالمداهنات والمحسوبيات

والاستعطافات والتدخلات ، وبذلك يشيع فى ميدان اللغة العربية — وهي التي نحن بصددها — الضعف والانحلال والانحدار ، ويضيع على اللغـــة رونقهـــا ونصاعتها ، وبلاغتها ، وجاذبيتها ، وتاثيرها الجميل على الاذواق والاذهان والعواطف .

لقد بذل الاستاذ علي ما يستطيع لخدمة التربية والتعليم ، لا من الناحية النظرية ولكن من الناحيـــة العلمية ، فلقد عمل مدرسا بالتعليم الثانوي ، ومفتشا للتعليم ، وعميدا لدار العلوم ، ومفتشا من الدرجـــة الاولى بوزارة المعارف ، ووصل به المطاف السعيد الى عضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، وهـــي تطورات محمودة ، فيها تقدير لكفاءة ومكانة الاستاذ الجليل .

ولم تقف جهود الاستاذ ومشاريعه على خدمة التربية والتعليم ، وانما اضاف اليها جهوده فى ميدان الادب ، وهكذا كان استاذنا رجل قصـــة وروايـــة ، ورجل ابحاث ادبية ورجل شعر .

ونبادر بالوقوف على الانتاج القصصي الروائي، لانه ابرز اعمال الاستاذ ما اظنه يقل عما أنتجه الكاتب النمسوي (استيفان زفايج) فى ميـــدان القصـــة التاريخية ، وما كتبه الاديب الفرنسي (ديما) ، وهو يفضل ما كتبه الاستاذ جرجي زيدان ، لان هذا الكاتب القصصي كتب انتاجه الغزير السلس بدون عاطفة اسلامية قوية ، وبدون حرارة الاعتزاز القومـــي ، وبالمقابل يرى انتاج استاذنا وهو حار ، متدفـــق ، مغذ ، مثير للحمية والاعتزاز ... ويهمنا من هـــذا الانتاج نحن المغاربة ورثة الاندلس والاندلسيين مـــا كتب عن الاندلس : (هاتف من الاندلس) و (شاعر ملك) ، واقصوصة « الفارس الملثم » وليس هناك ما يمنعنا من اعتبار قصص (الشاعـــر الطمـــوح) و (خاتمة المطاف) و (فارس بني حمدان) ما دامت تتعلق بشخصية شاعرية رفيعة المقام هي شخصية المتنبي ومن يتصل به من الانصار والخصوم .

ان قصة (هاتف من الاندلس) من القصـــص الاندلسية الممتعة ، المصورة للبيئة القرطبية تصويرا جميلا ، فى فترة تدهور الاحوال ، عند اقتراب افول العهد الاموي ، ثم انها تدور حول شخصيتين ادبيتين محبوبتين هما (ابن زيدون وولادة) ...

لكم كنا جديرين — ونحن ورثة الاندلس عـــن جدارة — أن ندخل هذه القصة فى مجال دراستنـــا الثانوية او الجامعية ، فهي من خير الكتب التي تمثل البراعة العربية فى الصياغة القصصية ، ثم هـــي نموذج لجزالة الاسلوب وحلاوة التعبير ... ولا اظن ان هناك كتابا عربيا فى فن القصة الاندلسية يشبه كتاب (هاتف من الاندلس) ، ولست — شخصيا — بعيدا من الادب الاندلسي ، بل انني متتبع له .

اما قصة (شاعر ملك) أي المعتمد بن عباد فهي فى مستوى القصة السابقة ، ويثير العجـــب فيها ان الاستاذ يؤيد تصرفات المعتمد بن عباد ويدين تصرفات يوسف بن تاشفين ، وهذا من وجهة نظرنا — نحن المغاربة — غير صحيح ، بل هو غير صحيح من وجهة نظر المؤرخين المنصفين ، فالمعتمد — عفا الله عنه — تآمر مع العدو ، عدو الدين والوطن ، وحبك المؤامرات معه ضد الامير ، الذي سبق ان اغاثه فى محنتـــه الخانقة ... فتأييد (المعتمد) من أي كاتب جاء هو تأييد اندفاعي ، ليس مقبولا ابدا .

وما دمنا بصدد الحديث عن الاندلس ، فيجب ان نذكر كتيبا بعنوان (العرب فى الاندلس) مترجما عن اللغة الانجليزية ، وهو كتيب قيم ، يشيد بالحضارة العربية بالاندلس ودورها فى النهضة الاممية . وقد ترجمه الاستاذ بعاطفة حارة ، وجوانح راقصة ، وقلم غريد... واعتقد انه —هو ايضا— من الكتب التي يجب ان توضع بين ايدي تلاميذنا بالتعليم الثانوي ، ليكون فى فمهم اغنية لذيذة ، تمجد دور اجدادنا الميامين الاوفياء ، الصامدين بديار الاندلس ، الذيـــن ادوا خدمات للفكر البشري ، والذوق الانساني ، بشكل لا ينتهي ولا ينقضي ، مهما تقلبت الاحوال والازمان .

نوع آخر من الانتاج النثري بقي مع الاسف فى طيات مجلة (الكتاب) التي كانت تصدر عـــن دار المعارف بمصر ، وهو المتعلق بابحاث طريفة مسلسلة تحت عنوان (الذين قتلتهم اشعارهم) أو تحت عنوان (المعارضات فى الشعر العربي) ... وكل من مارس البحث والكتابة ، يقدر الاعباء التي يتحملها الكاتـــب الباحث ، فى اعداد مواضيع متعمقة شاملة ، من مثل ما ذكر ، اللهم الا اذا كان من الافذاذ الطويلى الباع ، الواسعي الاطلاع من مستوى استاذنا علي الجـــارم رحمـــه الله .

نأتي بعد هذا على جانب من انتـــاج الاديـــب الكبير ، هو عند البعض اعظم جانب من شخصيته ، الا وهو الميدان الشعري ، وهو عند البعض ليس مما

يضمن الخلود والذكر الدائم للاستاذ الجارم ، فلناخذ المسألة بهدوء دون اندفاع :

ان للاستاذ الجارم ديوانا من اربعة اجـزاء ، اصدرته دار المعارف المصرية في طبعة فاخـرة . وقد قام أستاذ مشهور بشرح الديوان بيتا بيتـا ، ولفظا لفظا ، لكأن الديوان من الذخائر العتيقة ، التي احييت بالمراجعة والتحقيق والشرح ! والواقـع ان قارىء تلك الاشعار الجزلة المسبوكة ، تضايقه تلك الشروح والتعاليق ، التي توجه ضمنيـا اتهاميـن خطيرين ، الاول الى القارىء في حسن ادراكه وفهمه، والثاني الى الشاعر في وضوحه وسلاسته ، وبساطة مراميـه ! .

هناك ملاحظة رئيسية هي ان الدواوين الاربعة يمكن ان يصنفها الباحث الى صنفين : صنف (اشعار البلاط) ، وهذه يمكن ان تستغرق ثلاثة اجزاء مـن الاربعة ! وهنا تجب وقفة هادئة تأملية غير مسبقـة ـ كما يقال ـ لوضع الامور في نصابها ، فشاعـر البلاط شخصية معروفة في تاريخ الشعر الغنائـي منذ الزمن الاقدم والقديم والوسيط في مختلـف بلاطات الدنيا ، حتى شيخ القبيلة عندنا نحن العرب كان يستطيب ان يسمع كلمات حلوة منغومة تمجـد عدله ومكانته ، وتثني عليه بما هو اهله ، وتطور الامر الى أن اصبح ابهاء قصور الخلافة الاموية والعباسية وغيرها ملتقى لاكثر من شاعر ، حتى الجفاة الغـلاظ الاكباد الجبابرة وجدوا من يقول في حقهم شعرا ! .

وآن الاوان لابنـاء الشاعـر ، او احـد تلامذتـه لينتقـي لنـا مجموعـة مـن الاشعار ، جديرة بقيمة هذا الاديب الماجـد ، الذي عاش وهو يقول الشعر ، ومات وهو يتمتع للشعر !

ونختم هذا البحث القصير عن شاعرنا واستاذ الاجيال بهذه الابيات الجميلة :

قد تولى الشباب ريحانة الحـ
ـب ، فمن لي بالحب او ريحانـه ؟

آه من حيرة المشيب : سـواء
هو في بوحـه ، وفي كتمانـه !

ان كتمناه قهقه الدهر جـذلا
ن ، ومد الخبيث طرف لسانه !

او ابحناه راعنا ، كل يـوم ،
شرفات يهويـن من بنياتـه

ورأينا الغيد الاماليد حلمـا
ضن بالملتقى على وسنانـه

كل شيء لـه اوان يوفيـ
ـه ، وفوت الشباب قبل اوانه

كم نعمنا به زمانـا ، فلمـا
طاح ، عشنا في ذكريات زمانه !

طائر كان ان تغنى الى الـرو
ض شجا الحاليات من اغصانه

مسجدي الجناح ، ود العذارى ،
او خضبن البنان من الوانـه !

وتمنى الاصيل لو نال يومـا
لمحة الحسن من سنا لمعانـه

اين تصفيقه ؟ واين مجاليـ
ـه ؟ واين الرخيم من الحانه ؟

جال في الافق جولة ثم ولـى
هل يعود الشادى الى جولانه ؟

ومضى خافق الجناح ولم يتـ
ـرك لقلبي منه ، سوى خفقانه !

وحواه الماضي الخضم ، وابقى
ذكريات ، تطفو على شطآنـه

مرة تستريح شوقا لذكـرا
ه ، وحينا نجد في نسيانـه !

مقتطفات من مثل هذا الشعر الرقيق ، المعبر عن خوالج النفس لا يجب ان يهمل او ان ينسى ، او ينسى مبدعه ، اما نحن ـ جيل الكهول والشيوخ ـ فسنبقى ذاكرين ، باخلاص واعتزاز ، فضائل رجال نهضتنا الدينية ، والقومية ، واللغوية ، الى ان نلقاهم على احسن حـال .

محمد اشماعو

الصلاة المشيشية

• (الصلاة المشيشية) تعتبر من التراث الصوفي المغربي الرائد الذي نشر مذهبنا الصوفي الواضح سواء في المغرب او خارجه ويكفي ابن مشيش فخرا انه استاذ المدرسة الشاذلية .. وفيما يلي نص هذه الصلاة التي يعتبرها العلامة السيد عبد الله كنون في موسوعته (النبوغ المغربي في الادب العربي) من روائع الادب المغربي :

« اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم ، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقة ، ولا شيء الا وهو به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، صلاة تليق بك منك اليه ، كما هو اهله ، اللهم انه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم ، القائم بين يديك ، اللهم الحقني بنسبه، وحققني بحسبه ، وعرفني اياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل واكرع بها من موارد الفضل ، واحملني على سبيله الى حضرتك ، حملا محفوفا بنصرتك ، واقذف بي على الباطل فادمغه وزج بي في بحار الاحدية وانشلني من أوحال التوحيد واغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا ارى ولا أسمع ولا اجد ولا احس الا بها واجعل الحجاب الاعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الاول ، يا أول يا آخر ياظاهر يا باطن،اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، وانصرني بك لك ، وأيدني بك لك وأجمع بيني وبينك ، وحل بيني وبين غيرك ، الله ، الله ، الله ، (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) » .

مكتبة دعوة الحق

- العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين
- ارتسامات عن كتاب "القانون" لأبي موسى الجزولي
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي

في المكتبة المغربية :

العلوم والآداب والفنون

في عهد الموحدين

● تأليف : الأستاذ محمد المنوني
● كتب مقدمته : الاستاذ عبد الله كنون

ظهرت الطبعة الثانية من كتاب « العلوم والآداب والفنون فى عهد الموحدين » لمؤلفه الباحث المغربي الاستاذ محمد المنوني . وكانت الطبعة الاولى من هذا الكتاب قد صدرت سنة 1949 عن معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان ، ويسر «دعوة الحق» ان تنشر المقدمة القيمة التي كتبها الاستاذ الكبير عبد الله كنون مدير المعهد المذكور يومئذ لهذا الكتاب :

انها لمنقبة جليلة لمعهد مولاي الحسن ، هذه الجائزة التي يمنحها كل عام لاحسن كتاب يقدم اليه فى احد المواضيع التي يعينها هو ويكون لها مساس فى الغالب الاعم بتاريخ المغرب وادبه ورجاله ، فهي اول جائزة من نوعها تقصر على المغاربة وعلى الكتب التي تؤلف باللغة العربية ، وهي أول جائزة بلغت قدرا من المال لا بأس به فى الظروف والاحوال الحاضرة ، ولا يراعي فى منحها الا الاجادة فقط للتاريخ والادب المغربيين واحياء لتراجم رجال المغرب المنسيين ، واعانة على نشر الآثار المغربية التي كانت تبقى منبوذة فى زوايا الاهمال لتعذر النشر على أصحابها ، نظرا لارتفاع ثمن الطباعة وعدم وجود دور للنشر تتولى اخراجها على نفقتها ، الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها هذه الجائزة والصعوبات التي ذللتها .

وقد كان من الموضوعات المقترحة فى السنة الماضية (1948) هذا الموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب الذي بيد القارىء وهو (العلوم والآداب والفنون فى عهد الموحدين) الا أن صاحبه لم يتمكن من تقديمه للمعهد فى ابانه ، فهو ان لم يظفر بالجائزة فلا اقل من ان ينشره المعهد ويعمم فائدته بين الجمهور المثقف ، اذ كان من سنة المعهد ان يضطلع بنشر الكتب المفيدة والتآليف القيمة التي بين ايدي الناس كثير منها الآن .

وصاحب هذا الكتاب عالم من علماء الشباب المثاليين جمع الى العلم والاطلاع النفس الزكية والاخلاق الفاضلة ، وقامت به صفة الباحث الصبور والعامل الدؤوب فلا جرم ان يجني اطيب الثمرات ويحصل على احسن النتائج ، فانما هي همة وادراك واجتهاد ونجاح . وكأن الاقدار لما تطاولت فاغتالت عالم مكناس ومؤرخها وكعبة القصاد فيها المرحوم مولاي عبد الرحمن ابن زيدان ارادت ان تعوض منه خلفا صالحا وتبقى هناك على وارث جدير بسره هو الاستاذ محمد المنوني الذي يعد بحق مفخرة من مفاخر العاصمة الاسماعيلية فى هذا الصدد .

اما كتابه هذا فانه ما يدرك فى هذا الباب ، على الاقل فى هذه المدة القصيرة التي اخرج فيها ، ومع اعواز المصادر الكافية الذي يحسه كل من عانى هذه المباحث المتشبعة ، لا سيما وقد سلك فيها نهجا علميا معبدا قلما تأتي لمن زج بنفسه فى هذا الميدان،

من الكهول والشبان ، فهو عمل ادبي تام او كاد ان يكون تاما وانتاج علمي محرر قارب ان يكون خاليا مما يلاحظ سواء في مادته واسلوبه ونظامه وترتيبه .

ليس فيه شيء من هذه المقدمات البعيدة كل البعد عن الموضوع التي انما يراد بها الملء والتضخيم حينما يعوز العلم والتحصيل ، فترى الكاتب يخبط خبط عشواء ويضرب في كل واد مدعيا انه يهيىء المداخل ويقرب الابعاد فلا يصل الى المقصود بالذات الا وقد استغرق جل الكتاب في أشياء لا علاقة لها بما يقصد اليه ، واذا البحث هزيل في مخبره ، سمين في مظهره ، ولكن اين في نقد الكتب ذلك الميـزان الذي يخلص الماء من اللبن المغشوش ؟ .

لقد هجم الاستاذ المنوني على موضوعه ولـم يتناوله من ذيوله ولا من اطرافه ، بل قصد الى اللب والصميم ، وترك اللف والدوران وان كان قد قـدم بين يديه مقدمات فانها مما يرتبط بمادته تمام الارتباط ويكون كالاطار الجميل المحيط بالصـورة والمنـم لمنظرها البديع . ثم هو قد رتبه ترتيبا طبيعيا فتناول العلوم ثم الآداب ثم الفنون ، وهـذه ايضا تناولهـا بالنظام الكامل والترتيب الواجب اتباعه في كل منها، فالفلسفة متتابعة الحلقات ، والافكار متسلسلـة لا يجد القارىء ادنى عنت في الربط بينها بل انها في ذلك النظام والترتيب لتغريه بالمطالعة والاسترسال في القراءة حتى يفرغ من كل بحث وقد احاط به علما تصوريا وتصديقيا في زمن يسير وجهد غير كبير .

على ان جوهر الموضوع ومادة البحث في كل باب من هذه الابواب الثلاثة ، قد استوفى استيفـاء تاما بالنسبة لما هو موجود ومعـروف في المصادر حتى الآن . فلم يترك شاذة ولا فـاذة الا احصاهـا وحصلها ولا شاردة ولا فاردة الا تتبعها وقيدها ، وهذا جهد المقل الذي يستوجب الشكر الكثير . والاقلال هنا راجع الى ناحية المصادر لا الى ناحية الكاتب ، فاذا ظهر قريبا تاريخ ابن صاحب الصلاة والجـزء الرابع من ابن عذارى وبعض المجموعات الادبية التي تزيد الموضوع اتساعا ، فقد تمتد رحاب البحث الى ابعد مما وصل اليه المؤلف . ولكن ذلـك لا يزري بكتابه كدرس حافل بالغض الجني مما وصلت اليـه المعارف في عصر الموحدين من نضج واثمار .

وللمؤلف حس دقيق ونظرة نافذة في تعليـل الامور وتحقيق المسائل والتنبه الى الاخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب فعقب هو عليها بما يبين وجـه الصواب فيها كهذا النص المتعلق بنسب ابن تومرت والمخرق عند يوسف اشباخ وقد رده المؤلف الى ما يظهر انه الصواب ، وورد ايضا نسبة كتـاب في الفلسفة الى المهدي بن تومرت وقعت غلطا في كتاب تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان كما صحح بعض الاوهام في مبحث الجغرافية وهذا المبحث في الكتاب بلغ من الدقة والتحرير حد الاتقان فنهنـي عليـه المؤلـف .

ونحن مع كامل التقدير لجهود المؤلف وتمـام الموافقة على جل ما له من انظار ، فاننا لا نخفي عدم قبولنا لبعض الآراء التي ذهب اليها في بعض المسائل كترجيحه ان الموحدين كانوا ظاهريـة في الفقـه وان دعوتهم لنبذ مذهب مالك لم تكن الا للتمسـك بمذهب داود ، وتأويله للنصوص التي تدل على انهم كانوا اهل سنة وحديث ، وان دعوتهم كانت للاجتهاد المطلق ، بما يؤيـد نظره ويعضـد ترجيحـه . وكانكاره المحاورة الشعريـة المشهـورة التـي جرت بين عبد المؤمن ابن علي ووزيره ابي جعفر بن عطية تأييدا لما ذهب اليه من أن الطابع الديني الغالب على الدولة جعل الشعر الغزلي يقل بل ينعدم من بين موضوعات الشعر وهذا تعمق كبير ، فما منع الروح الديني المسيطر على الصحابة في عصر النبوة من ان يقول كعب ابن زهير (بانت سعاد) وينشدها امـام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في المسجـد وتكون سببا في نجاته واجازاته .

ومخالفتنا أو مخالفة غيرنا للمؤلف في نظـر يذهب اليه ، لا تقدح في قيمة الكتاب ، لان الانسان قد يذهب في مسالة ما اذا كانت نظريـة ، مذهبـا يخالف مذهب غيره ، وليس بلازم أن يتفق كل الناس في كل المسائل والذي يقدح في قيمة كتاب مـن الكتب وهو مخالفته للقواعد المقررة والاصول المحررة وتحريفه للنصوص وعدم احاطته بالموضوع وما الى ذلك ، وقد علم ان كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين برىء من كل هذه العيوب بالغ الغاية في الجودة والاتقان يستحق عليه مؤلفه كـل ثنـاء وشكر فنهنيه من صميم الفؤاد على توفيقه ونجاحـه ونقدمه الى الشباب المثقف والبحاثين في التاريـخ المغربي والحضارة الاسلامية كأحسن طرفة يقدمها صديـق الى صديـق .

طنجة : عبد الله كنـون

ارتسامات عن كتاب

القانون لأبي موسى الجزولي

للأستاذ محمد ابن تاويت

كلمة القانون يونانية فى أصلهـــا ، ودخلـــت الايطالية ، وهو فى المعنى الاول مقياس كل شـــيء ونظامه وقضيته الكلية .

وقد عرفت العربية هذه الكلمة فى القرن الثاني، حينما اطلعت على كتب اقليدس فى الهندسة ، ثـــم استعملها ابن سينا فى القرن الرابع حيـــث جعلهـــا عنوانا لكتابه الطبي ، الذي اشتهر به شهرة بالغة عند الاوربيين خاصة ، وقبيله اخترع الفارابـــي الآلـــة الموسيقية المعروفة فسماها قانون لكونها جامعـــة لاوتارهـــا .

وفى القرن السادس (وربما الخامس) كانت الكلمة شائعة فى الاندلس ، بمعنى القاعدة والنظام ، فوجدنا الكلمة تتردد فى المدخل الى المنطـــق لابن طلمس ، ولعل المناطقة بحكم اتصالهم بفلسفة ابـــن رشد ، استاذ ابن طلمس ، كانوا وحدهم المستعملين لهذه الكلمة ، وكان المنطق لذلك العهد ، قد وجد له صدى طيبا واقبالا من الدارسين ، فاشتهر به لذلك العهد محمد ابن عبد ربه الشاعر الكاتب لابي الربيع الموحد ، كما كان من دارسيه أبو موســـى عيســـى الجزولي ، الذي ركن الى المنهج المنطقي فاستعمله فى تأليفه النحوي ، ولم يكتف بهذا ، بل سمى كتابه « القانون » فكانت هذه التسمية جديدة ، عندنا سواء فى المغرب والاندلس .

وفى القرن السابع ، وجدنا الكلمة يتوسع فى استعمالها ، حتى اذا كان أوائل القرن السابع ، وجدنا ابا القاسم محمد بن جزى الكلبي ، يؤلف كتابـــه فى الفقه عامة ، ويسميه بالقوانين الفقهية .

واستعمال كلمة قانون فى الفقه ، كان أولا على يد ابن جزى هذا ، ثم انتقلت الكلمـــة الى الشرق ، حيث وجدناها تستعمل فى ذلك عند الاتراك العثمانيين خاصة فى القرن العاشر وكان احد خلفائهم وهـــو سليمان عاشرهم واقواهم ، يلقب بالقانوني ، لكونـــه نظم لامته القوانين التشريعية التي يجب اتباعها فى السلطنة العظيمة ، فأصبح منذ ذلك العهد يسمى كل تشريع أو تنظيم حديث بالقانون ، فهذا قانون جنائي وذاك تجاري ، وغيره ، وسمي عمل نابليون فيما بعد قانون نابليون ، الذي شاع العمل به فى عدة بـــلاد غربية وشرقية .

وعندنا فى القرن الحادي عشر كان أبو علـــي الحسن اليوسي يؤلف كتابه « القانون » فى مبادىء العلـــوم .

لنعد الى قانون الجزولي ففيه يرى الجزولي ان الكلام ليس هو المقسم الى اسم وفعل وحرف ، بل المقسم الى ذلك انما هو الكلم ، وهذا ما يوجد بمدخل ابن طلمـــس .

وفى تعرضه لدلالة المطابقة نجده يساير ابن طلمس فيها كذلك ، كما يسايره فى تعريفه للفعـــل ، وفى النظرة الى الاتصال بين المنطق والنحو ، كعلم

له قوانينه وضوابطه العامة . وما تفسيره للوضع الا تفسير منطقي نجده في المدخل عند تعرضه للمقولات ؛ وليس الوضع الذي ذكر بعد في الاجرومية، فسره شراح بكونه القصد ، وآخرون بكونه الوضع اللغوي ، الذي وجدنا فيه يؤلف العضد الايجي ، وتناوله الاصوليون بالبحث قديما ... ومما يسترعي النظر في هذا الكتاب ، أنه يعبر عما يقابل المفرد ، وهو المثنى والجمع ، بالكثرة او التكثير ، وهو الصنيع الذي سلكه الاوربيون في نحوهم ، فهم اما مستعملون الكلمة التي أصلها اللاتينية Plunalis (وما زالت كلمة Plus تدل على الاكثر بالفرنسية) واما مستعملون مرادفها الالمانية Mchrzahl اي اكثر من عدد الذي هو في الالمانية Zahl ومصدره Zahlen

والجزولي على شدة اتصاله بالكتاب لسيبويه، فانه متيقظ مستقل في آرائه النحوية ، فهو يأخذ بالراي الكوفي ، اذا ما بدا له صحته فيكون اختياره موفقا غالبا ، ان لم يكن دائما .

ويرى الجزولي ان مجيء النعت للتوكيد والمدح، انما ذلك على وجه القلة .

وهذا صواب منه ، اذ مبدأ تسميته بالنعت والوصف ، انما كان بسبب أن الغالب والكثير في استعماله ، انما كان النعت والوصف . أما المدح والتأكيد او الذم مثلا ، فمن قبيل الملاحظ البلاغية، وهي بالنسبة الى الاولى قليلة ، والا لكان النعت ، يسمى بالتوكيد مثلا ، مما أشارت اليه كتب النحو وشراح الالفية ، وعلى راسهم ابن ناظمها .

ويفرق الجزولي — كالبصريين — بين التمني والترجي .

وهو على صواب في هذه التفرقة الحاسمة ، فالترجي أصله توقع وانتظار ، لما يحب ولما يكره ، وهو خبر بخلاف التمني فهو طلب فمن الانتظار والتوقع ، قوله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا » اي لا ينتظرنه ، لكونهن طاعنات في السن ، لا انهن لا يتمنينه ، فقد يكن على تمني ذلك ، ولكن تمنيهن من قبيل « ليت الشباب يعود يوما » . وعلى كل حال ، فهن لا يرجونه اي لا يتوقعنه . وحتى كلمة « لعل » نجدها مجردة للانتظار والتوقع ، كما في قوله تعالى : « فلعلك باخع نفسك » فهي تؤدي ماتؤديه الكلمات الاوربية في التمريض الخبري نحو : Perhops او Vielleicht او peut-être او quizas فهي بمعنى ربما ، ولها مرادفات اخرى معروفة في هذه اللغات .

وهنا يتبادر السؤال :

ما العلاقة بين التوقيع وهذا التمريض ؟

والعلاقة واضحة ، فقد انبثق التمريض ، عما يتوقع حدوثه ، فمعنى « ربما يكون كذا » هو قولنا « يتوقع أن يكون كذا » من غير ما يكون هناك تحقق ، اذن فقولنا « يتوقع كذا » يساوي « ربما يقع كذا » وفي هذا التوقع وقوته ، تتأرجح « ربما » في معناها، فهي للتقليل مرة ، وللتكثير آونة ، بحسب طبيعة مدخولها .

وعلى العكس من هذا الترجي في انبثاقه من التوقع ما حدث في التمني ، فهذا التمني انبثق عن النفي ، فهو طلب ما لا طمع فيه ، او ما فيه عسر ، فالعلاقة بينه وبين النفي وثيقة ، ولهذا قررنا فيما نشرناه ، بمجلتي الرسالة والثقافة المصريتين منذ ما يربو على ثلاثين سنة أن كلمة « ليست » ما هي في الواقع الا « ايت » الرابطة الآرامية في الاسناد ، داخلا عليها « لا » النافية ، فليست هذه تساوي تماما « ليس » التي هي كذلك في الواقع « ايس » زائدا عليه « لا » النافية ، وفي المعاجم ، نجد « ائتني من ايس وليس » ، أي من حيث الوجود وعدمه ، ويقول الجاحظ ، متحدثا عن مصطلحات المناطقة : من عباراتهم الايس والليس ، أي الايجاب والسلب ويلقي الضوء الكاشف على علاقة ليت بليس كلمة « لات » فهي مشبهة بليس كما يقول النحاة ، او هي اختها ، او هي هي كما في الواقع .

والنتيجة أن الترجي انبثق عن الوقوع ، والتمني انبثق عن عدمه ، وظل الاول في حيز الخبر، وانتقل الثاني الى حيز الطلب ، وانخرط في الفصيلة التي جمعها البيت :

دعى نهيا استفهاما أمرا تمنيا
وعرضا وتحضيضا معا شمل الطلب

ومما قرره ابو موسى ، أن كل ما جاء من الافعال ، بمعنى صار عمل عملها ، وذلك ستة افعال

كما قال ، وهذا العدد غير حاصر ، ولهذا وجدنا الخضري بعده بسبعة قرون ينهيها الى عشرة في هذين البيتين :

بمعنى صار في الافعال عشر
تحول آض عاد ارجع لتغنم

وراح غدا استحال ارتد فاقعد
وحار فكاكها والله أعلم

وهذا العدد كذلك ليس حاصرا ، كفل فعل دل على التحول استحق عمل صار . وما منصوبه وغيره في واقع الامر الا حال . وابن جني يراه كذلك في ليس وما الحجازية والكوفيون عامة ، ولعل منع سبق الخبر على ليس اتى من قبيل أن هذه غير متصرفة ، والحال لا تتقدم عاملها ان لم يكن متصرفا

والحال ان ينصب بفعل صرفا
او صفة أشبهت المصرفا

فجائز تقديمه كمسرعا
ذا راحل ومخلصا زيد دعا

وقد جيء بالواو الحالية في نحو قول الافوه :

اصبحت من بعد لون واحد
وهي لونا وفي ذلك اعتبار

وقول الفند :

فلما صرح الشر
فامسى وهو عريان

مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان

وطعن كفم الزق
غدا والزق ملآن

وقول ابي تمام :

وما كان الا مال من قل ماله
وذخرا لمن اضحى وليس له وافر

والمهم ان تدخل المنطق في العلوم ، اتى استجابة لمقتضيات العقل الذي تدخلت فيه قوانين التفكير المنظم وقد اخذت بيده الفلسفة لذلك العهد عندنا ، فاصبحت جارفة طافحة ، وخاف طغيانها الوسط العلمي المتزمت وانساق نحوه رجال الدولة وعلى راسهم الخليفة يعقوب ، ومن قبل بقليل ، كانت المجابهة للفلسفة ، برغم احتضان يوسف لها ، فكان من الشعراء ابن حبوس يداهمها ويسفه أحلامها ثم كان ابو حفص عمر الاغماتي كذلك يسفه أحلام رجالها ، فلا شك ان الجزولي كان ممن تأثر بمدرسة ابن رشد فكان زميلا لتلميذه ابن طلمس، وبذلك وجدنا التجاوب بين الكاتبين المدخل والقانون، في عدة مسائل منهما.

تطوان : محمد بن تاويت

نزهة الحادي

بأخبار ملوك القرن الحادي

عرض: الأستاذ محمد الحاج ناصر

منذ سنين ادرك المغرب الاكتفاء الذاتي — بل اوشك ان يكون قد تجاوز الاكتفاء الى التخمة — في الكتاب المدرسي المتصل بالمواد النظرية وببعض المواد التطبيقية ، واكبر الظن انه لو تم تعريب جميع المواد التطبيقية او التجريبية لما استعصى على المغرب ان يدرك فيها الاكتفاء جميعا ، ورغم النقص والخلل والانحراف وما الى ذلك من المآخذ التي تتسم بها بعض تلك الكتب المدرسية ، فان نشاط مؤسسات النشر المغربية في تشجيع الكتاب المدرسي قد سجل نجاحا طيبا في التجاوب مع حاجات التلاميذ حتى فيما يتصل باللغة الفرنسية .

والى جانب الكتاب المدرسي اخذت تظهر بين حين وآخر منشورات بعضها على جانب من الجد وبعضها اطراز من السخف الذي يلجأ اليه بعض المتعجلين النهمين الى الشهرة او الذين يلتمسون من تسويد البياض وسيلة الى الارتزاق او الذين استهوتهم بعض المذاهب الواردة — وما عرفوا منها غير بعض الجوانب الاعلامية — فانطلقوا لها دعاة وابواقا .

وباستثناء المنشورات الجادة المتصلة بالتراث التي تصدرها المطبعة الملكية بأمر من صاحب الجلالة حفظه الله وبضعة كتب نشرها الاستاذ عبد الوهاب بن منصور من مؤسسة كان قد انشأها باسم دار المنصور ثم ما لبث ان صرف عنها النظر وباستثناء كتب قليلة جدا صدرت عن دار الكتاب حين اتجهت الى محاولة نشر كتب التراث وما شاكلها من الكتب الجادة في فترة سابقة ، وباستثناء منشورات المطبعة المهدية بتطوان وجلها تراثي قيم أصيل ، وباستثناء الكتب التي اخذت تنشرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وجلها ذخائر قيمة من كتب الحديث والتفسير فان المكتبة التراثية المغربية وخاصة الجانب التاريخي منها — ما فتئت تشكو الافتقار الى العناية بنشر ذخائرها وباستئناف ما توقف من نشاط في هذا المجال منذ توقفت حركة الطباعة بالمطبعة الحجرية ، وقضت الحماية الظالمة على نشاط القصر الملكي لعهد السلطان المنعم مولاي عبد الحفيظ رحمه الله الذي اسهم بجهد مبرور في اثراء المكتبة العربية بذخائر قيمة اتيح لها النشر بعنايته وتوجيهه أجزل الله ثوابه .

تلكم خواطر اثارها في نفسي ما اجتمع الي في هذه الايام من منشورات تراثية عنيت بنشرها مؤسستان كريمتان في مكتبة الطالب للسيد عبد القادر المكناسي ودار المغرب للتأليف والترجمة والنشر للاستاذ الدكتور محمد حجي ، وبدا لي ان اقدمها للقراء في مقالات متلاحقة اسهاما في لفت الانتباه الى هذا النوع من العمل الجاد الضروري للمغرب في هذه الفترة التي يلتمس فيها معالم ذاته ويستشف ملامحها ويستشرف مسارها ومصيرها ،

وهي فترة لا مناص له من اجتيازها بوعي وبصيرة ان اراد ان يقيم حاضره ومستقبله على اسس أصيلة غير مدخولة ولا هجينة .

ولعل المغرب صادق الحرص على ان يكون في نهضته الراهنة صريحا اصيلا فالاتجاه الذي تشهده الآن الى تدوين ودراسة تاريخه القديم والحديث انعكاس لارادته الواعية في ان يكون حاضره ومستقبله استمرارا متجددا متلاحقا لماضيه مع عالمه الراهن .

وان كانت الانظمة والاساليب والمناهج التي ياخذ اليوم او قد ياخذ غدا بها في تخطيط مساره وتحديد مصيره فما من سبيل الى ان يكون ما يخططه وما يحدده منقطعين انقطاعا جذريا غريبين غربة مطلقة عن الانظمة والاساليب والمناهج التي يؤلف منها مسيرته التاريخية لما يزيد عن ثلاثة الاف سنة خلت من تاريخه المنظور كمنطقة دارجة مع الحضارات ولما يقرب من الف واربعمائة سنة من تاريخه الملي كقطر من اقطار العالم الاسلامي .

لذلك كان نشر كتب التراث التاريخي اسهاما قيما يستحق كل من يقدم عليه الجزيل من الشكر والجميل من الذكر ، وخاصة اذا وضعنا في تقديرنا ان المغرب لهذا العهد لا يملك وسائل المشرق جغرافيا ولا اعلاميا لضمان سوق صالحة للتغطية المالية لجهوده في النشر مما يجعل اي جهد يبذله اطرازا من التضحية قد يكون غير مامون العاقبة .

وكتاب نزهة الحاذي الذي نقدمه اليوم او بالاحرى نقدم طبعته الثالثة ، سبق ان طبع مرتين احداهما طباعة حجرية بفاس والاخرى طباعة عادية باشراف المستشرق هوداس الذي كان مدرسا للغة العربية بباريس خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر اى في الفترة التي كانت مخالب الاستعمار تستبق الى اقتناص الفريسة المغربية وكان استكشاف طبيعة المغربي ماضيا وحاضرا احدى اهم وسائل الافتراس .

وقد لا تكون بحاجة الى الافاضة في التعريف بمؤلف الكتاب فما من احد عنى بعض العناية بتاريخ المغرب لا يعرف شيئا عن ابي عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الافراني ، الملقب بالصغير، واحد مواليد مراكش حوالي 1080 هجرية (1669– 1670 م) والمتوفى بها حوالي 1151 هجرية عن عمر يناهز واحدا وسبعين عاما اضطرب خلاله بين الدراسة والتدريس وامامة الجمعة انطلاقا من مجلس الفقيه ابي العباس احمد بن علي السوسي الذي كان يجلس للتدريس في مسقط راس المؤلف ومرورا بجامعة القرويين حيث اتم دراسته وانضج ثقافته على النهج الذي كان دارجا يومئذ ، ثم بمكناسة الزيتون حيث اضطلع بمهام وكلت اليه في نطاق تسيير الدولة قريبا من المولى اسماعيل ثم عودا الى مراكش حيث تولى الامامة والخطابة بمسجد علي بن يوسف بن تاشفين لفترة من الزمن ختم بها حياته الحافلة بجلائل الاعمال .

على اننا قد نعود الى تقييم لشخصيته في دراسة نفكر في أن نصرف اليها الجهد لكتابه نزهة الحاذي وابعض من كتبه الاخرى ، فهو في تقديرنا نمط من المؤلفين يتميز بين معاصريه وبين ابناء مدرسته من السابقين واللاحقين بخصائص تجعل منهم مثلا جديرا بالاحتذاء حتى في هذا العصر الذي التبس فيه على الكثير عمل التدوين التاريخي الملتزم بالامانة العلمية بعمل الاعلام القاصد الى التاثير والاجتذاب .

وكتاب نزهة الحاذي الذي يتالف في طبعته الثالثة من ثلاثمائة وخمسة عشرة صفحة بدخول الفهارس صورة جيدة وتكاد تكون دقيقة لذلك النوع من المنهاج العلمي الامين الذي يمثله المؤلف أصدق تمثيل .

فقد عرض فيه للدولة السعدية كلها منذ نشأتها ولصدر من الدولة العلوية ادام الله اعلامها معززة بالنصر مؤيدة بالتوفيق الى عهد المولى اسماعيل بن الشريف .

والتزم في عرضه التثبت من المعلومات التي دونها ما استطاع الى ذلك سبيلا ولم يكن في تثبته يعتمد على التاكد من صحة الرواية فحسب ، وانما كان في بعض الاحيان يحاول تمحيص الرواية حين تضطرب في وقعها او في موقعها من التاريخ حسب ما يتراءى له ، وانك لتعثر في ثنايا كتابه هذا بمواقف التشكك والارتياب من عدة أحداث وحتى حين يقف موقف الترجيح فانه لا يخفى عليك انه كان مرجحا وليس بمستيقن وانك لتلمح فيه اشراقا ذهنيا جديرا بالملاحظة في ذلك العصر الذي داب فيه المؤلفون عامة على الانغلاق والتسليم امام ما ينتهي اليهم من

روايات مهما نزعت فى الغرابة بل لعلهم يكونون اشد اطمئنانا أليها كلما اوغلت فى الاغراب .

ولسنا نبرىء الرجل من الخطأ فى التقدير ولا نرغم انه لامع الذهن الى حد المقدرة على التجرد او حتى الخلوص من شوائب التأثر بما كان سائدا لعهده من التسليم لبعض ما هو فى حكم الاساطير والخرافات ، بيد اننا نسجل انه ـ مع انسياقه فى تيار التسليم لما يتناقله الناس من انباء خوارق المتصوفة والاشراف ومن اليهم ، ومع انطلاقه من التسليم خاصة بكرامات الشرفاء والتقدير لهم ومحاولة التستر عنهم او التماس المسوغات لما قد يكونون اقترفوه من اخطاء وسيئات ـ يشعرك فى كثير من هذه المواقف بأنه يعاني صراعا بين عقله وعقيدته وهذا موقف منهجي جدير بالاعتبار لمؤلف عاش فى مثل ذلك العصر الذي هيمنت فيه حتى على عقول الخاصة الاساطير والخرافات .

والكتاب من قبل ومن بعد عبارة عن ثلاثة وأربعين كتابا ما بين خاص بالتراجم ومعني بالتاريخ ومتخصص فى غيرهما من المعارف السائدة فى ذلك العهد كالفقه والادب ، وجل هذه الكتب له قيمة وثائقية ما فى ذلك شك ، فهي من مدونات المعاصرين للدولة السعدية والكثير منها ما يزال يعتبر مفقودا لذلك كان التقييم الوثائقي يضع نزهة الحادي فى الدرجة الثانية من حيث التوثيق على الاعتبار الزمني ولكنه قد لا يزحزحه عن صدر الدرجة الاولى من حيث التوثيق فى الاعتبار المنهجي ، على حين ان الفصول القليلة الخاصة بصدر الدولة العلوية تضعه فى الدرجة الاولى على الاعتبارين معا ، وبخاصة من حيث انه لمؤلف لم يعاصر ذلك العهد فحسب ، وانما كان احد المسؤولين الذين لهم اسهام بارز فى تنفيذ السياسة الرسمية للدولة نظرا لموقعه من حكومة المولى اسماعيل .

والكتاب الى ذلك كله يضم مجموعة منتقاة من النصوص الادبية التي تعكس جانبا هاما من التاريخ الفكري للعصر الذي عني به ، كما تشد اليه القارىء شدا وثيقا .

وما من شك فى ان اعادة نشره بعد ان ندرت نسخه من الطبعتين السابقتين حتى اصبحت فى حكم المخطوط ، عمل قيم لتسيير تداوله للقراء عامة وبخاصة للذين يريدون ان يبذلوا جهدا فى استجلاء الطبيعة التاريخية لذلك العهد من عهود التاريخ المغربي ، وهو عهد حافل بالعبر والمفاخر والامجاد ، وهو بهذا الوصف جدير بعناية المثقفين عامة والمؤرخين بشكل خاص .

الرباط : محمد الحاج ناصر



المعرفة

مسيرة نضال وثبات

جمع: الأستاذ حسن أحمد المصمودي

● لعبت الصحافة المغربية دورا حيويا في تطوير وبلورة الحركة الوطنية على مدى الكفاح الطويل الذي خاضه العرش والشعب جنبا لجنب. وكانت صفحات المجلات المغربية سواء فيما كان يصطلح عليه « بالمنطقة السلطانية » او فيما كان يعرف بالمنطقة الخليفية في شمال المملكة مرآة لتطوير الفكر المغربي الاصيل سواء في جانبه النظري والاجتهادي او في الجانب التطبيقي.

وكانت مجلة « المعرفة » بمدينة تطوان وعلى مدى الفترة الممتدة من 1947 الى 1957 منبرا للنضال الوطني ومنتدى للاقلام الواعية التي خاضت غمار معركة تاصيل الكفاح وترشيده وتعبئة جماهير الشعب بالمفاهيم السليمة والاراء السديدة والتوجيهات القيمة مما يجوز معه القول ان مجموعة اعداد مجلة المعرفة تعكس وتسجل بأمانة صفحات مشرقة من تاريخ المغرب المعاصر.

وقد احسن الاستاذ حسن احمد المصمودي صنعا باختيار مجموعة وافرة من افتتاحيات مجلة المعرفة التي كان يديرها، ونشرها بين دفتي كتاب. وهي افتتاحيات باقلام ثلاثة من كتاب المقالة الصحفية في المغرب : الاستاذ أحمد بن سودة والاستاذ محمد العربي الخطابي والاستاذ حسن المصمودي. ويقع الكتاب في 203 ص. تتناول مختلف أطوار المرحلة الاخيرة من عمر الحماية في المغرب بما في ذلك نفي جلالة الملك المغفور له محمد الخامس الى كورسيكا اولا ثم الى مدغشقر وما تخلل تلك الفترة الحرجة في تاريخ المغرب من احداث وتطورات ومؤامرات كانت جميعها تسير في خطين مختلفين : خط الاستعمار وما كان يبيته ضد السيادة الوطنية، وخط المقاومة المغربية الباسلة التي انتصرت في بوتقتها جهود المخلصين الاوفياء من أبناء شعبنا.



ويعتبر العمل الثقافي القيم الذي أخرجه لنا الاستاذ حسن المصمودي ليس فقط اضافة قيمة الى المكتبة المغربية ولكنه في حقيقة امره سابقة لها وزنها وقيمتها وجديرة بأن تحتذى.

ولا شك ان مجلات « السلام » لصاحبها الاستاذ محمد داود، و « العهد الجديد »، و « الانيس » و « رسالة المغرب » و « لسان الدين » وغيرها التي كانت تصدر في تلك الفترة الحالكة من تاريخ المغرب تعتبر من المراجع المهمة التي لا يسد مسدها عشرات المؤلفات في هذا الموضوع. ولذلك فان الامانة الادبية تتطلب من أصحاب هذه المجلات وكتابها ان يحذوا حذو الاستاذ المصمودي.

بقي أن نشير الى أن الكتاب صدر عن مطبعة فضالة ويحتوي على مجموعة تاريخية مهمة من صور جلالة الملك المغفور له محمد الخامس وجلالة الحسن الثاني نصره الله والاسرة المالكة. الى جانب عشرات الشخصيات البارزة في المقاومة والكفاح المغربي.

« دعوة الحق »

من ذكريات سجين مكافح

تأليف : الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني



● اكرم الله الاستاذ الباحث محمد ابراهيم الكتاني الى جانب التضلع فى الثقافة المغربية بميزة الجهاد وفضل الكفاح والامتحان فى سبيل الله والقيم الوطنية المقدسة وقد وفق الاستاذ الكتاني فى تسجيل التفاصيل الكاملة لادق فترة واخطر مرحلة اجتازها المغرب فى عهد الحماية البغيض . وهكذا كتب مذكراته النضالية فى صدق وامانة ووفاء نادر وجمعها فى كتاب تحت عنوان :

« ذكريات سجين مكافح فى عهد الحماية الفرنسية البغيض بالمغرب : أو أيام كولميما » وقد نال الكتاب جائزة المغرب لسنة 1972 . واصدرته دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر منذ شهور قليلة .

وجاء فى مطلع الكتاب انه محاولة لوصف القمع الوحشي الفظيع الذي لقيته طائفة من المكافحين الوطنيين على يد جيش الاحتلال الفرنسي فى مركز كولميما بالجنوب المغربي . وهي حقا صورة جليلة لبطولة المغاربة وصمودهم فى وجه اعداء الانسانية فى وقت اطبق فيه الاستعمار على بلادنا من جميع اطرافه .

يهدي المؤلف كتابه الى :

« جميع المكافحين فى سبيل دينهم ووطنهم وامتهم الذين انعم الله عليهم بالابتلاء الشديد بالسجن والتعذيب بالضرب والجوع والحرمان والاهانات والسباب وفراق الاهل والاولاد والكتب والصحف والحرية والى زوجاتهم واولادهم الذين قاسموهم هذا الابتلاء الشديد اهدي هذا الكتاب » .

والحق ان الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني قد ابرا ذمته بنشر هذا الكتاب أمام الله سبحانه وتعالى ثم امام تاريخ امتنا . ذلك ان كل مجاهد مغربي يجمع بين جهاد السيف والقلم وبين تجربتي الفكر والتوعية والتخطيط والعمل والممارسة والمعاناة مطالب ان يدلي بشهادته فى زمن نحن أحوج ما تكون فيه الى شهادات الرواد فى كل ميدان من ميادين الجهاد الوطني الاسلامي . ولا شك ان هناك عددا كبيرا ممن فى استطاعتهم أن يدونوا وينشروا مذكراتهم الجهادية . ولا يمنعهم من ذلك الا ما يمنع عاده كل كاتب يريد ان يساهم فى اثراء الحركة الفكرية فى البلاد . واعني بذلك الصعوبات المادية التي يلقاها فى طريق النشر .

« دعوة الحق »

نتائج جائزة المغرب

لسنة 1977

منحت جائزة المغرب لسنة 1397 (1977) للاشخاص الآتية اسماؤهم :

— جائزة المغرب للعلوم الانسانية والاجتماعية للاستاذة نعيمة التوزاني الاستاذة بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس ، تقديرا لكتابها « الامناء بالمغرب فى عهد السلطان مولاي الحسن » .

— جائزة المغرب للعلوم والرياضيات للدكتور عبد اللطيف بن شقرون الاستاذ بكلية الطب بجامعة محمد الخامس ، تقديرا لكتابه « دور المثانة المكونة من الاعور فى حصر البول » .

— جائزة المغرب للآداب والفنون للاستاذ عبد العلي الودغيري ، الاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد بن عبد اله بفاس ، عن كتابه « ابي علي القالي » .

وكانت لجنة التحكيم تتألف من السادة :

الدكتور عبد اللطيف بربيش ، الدكتور عبد القادر التونسي ، الدكتور ادريس بن يحيى ، الدكتور محمد ابن شريفة ، الدكتور عباس الجراري ، الدكتور تمام حسان ، الدكتور عبد الهادي التازي ، الدكتور عبد الكريم الابيض ، الدكتور محمد ابن شقرون ، الدكتور محمد بنونة ، الاستاذ محمد القبلي ، الاستاذ محمد المنوني ، الاستاذ محمد ميكو ، الاستاذ عبد الكريم غلاب ، الاستاذ عبد الرحمن الفاسي ، الاستاذ محمد ابن تاويت ، الاستاذ الامين الدمناتي ، الاستاذ مراد بن مبارك .

ديوان المجلة

- مقاطع من ديوان المسيرة
- ذكرى اللقاء الخالد
- تحية إلى المغرب العربي



مقاطع من ديوان المسيرة

للأستاذ وجيه فهمي صلاح

التفاف الشعب

هذا التفاف الشعب يا موطني ... من حول عرش الحب قد أوصلك
فسرت بالخضرا لصحرائنا ... تقبل الشهم الذي قبلك
تلون الرمل بحلو الجنى ... رسالة عاهلنا حملك
قدم منار المجد يا موطني ... لنا التآخي فيك والعز لك

مليك صادق النظرة

هي الصحراء كم غنت ... نشيدا واثق النبره
وكم صدحت طوال العمر ... باسم العرش والاسره
وفي ظل المليك اليوم ... تبني عزها حره
مسيرتنا لها أقوى ... من الصاروخ والذره
بشعب زاحف بطل ... وملك صادق النظره
فلم الشمل كي تحيا ... على تاج النهى دره
هو التاريخ يا وطني ... يسجل للورى عبره
بأن النصر قد يأتي ... بروح السلم والقدره
وأنا قد أعدنا الحق ... باسم الله والخبره

ومضة الزمن

هنا في المغرب المختال ... بالاخلاص والحب
رباط شاهق الامجاد ... بين العرش والشعب
توارثنا هوى الاوطان ... من صب الى صب
وفجرنا قوى التحرير ... من درب الى درب
لنرفع راية الاسلام ... فوق الشامخ الصعب
وسرنا في ظلال العرش ... ركب في سنا ركب
مسيرتنا الى الصحراء ... ملء العين والاذن
حناجر صيدها تشدو ... بحب العرش والوطن
قوافلها معززة ... بكل الشعب والحسن
تسير على هدى القرآن ... والاسلام والسنن
توحد تربنا الغالي ... وتبقى ومضة الزمن
ويبقى الفكر سر النصر ... فوق الحرب والمحن

بسمة استشهاد

سوف تلقى صحراؤنا كل شهم ... لا يهاب الردى جليل المراد
بين جنبيه خافق وحدوبي ... وعلى الثغر بسمة استشهاد

لا نهاب الطائرات

نحن قوم لا نهاب الطائرات ... نصطلي الحرب ولا نخشى الممات
بقلوب كالجبال الراسيات ... وسهام كالرياح الذاريات

امازيغ وعربان

انا على العهد يا صحراء فارتقبي ... اشاوسا من امازيغ وعربان
قد كبروا ومشوا والله حارسهم ... فعانقي فاتحا في ظل قرآن
واستبشري بحفيد المصطفى ملكا ... يرعى العهود وحيي سبط عدنان
غدا ترين سدود الخير دافقة ... تروي الرمال بفضل العاهل الباني

حدود الوهم

عقدنا العزم أن نلغي	حدود الوهم بالسلم
وان نبقى حماة الدين	أهل العز والكرم
وان نحيي صلاة الرحم	ما دمنا ذوي رحم
مسيرتنا تشق طريقها المر	سوم بالحزم
بحث خطى قوافلها	مليك صادق العزم
تردد وهي ظافرة	تحية قائد العلم
مسيرتنا الى أرض	ورثناها عن الاجداد
فحان اليوم أن تحيا	وان تزهو بها الاعياد
وان نحيي معالمها	لتشرق في سما الامجاد
مسيرتنا الى الصحراء	فتح ماجد الابعاد
سيبقى خالد الاشراق	محمودا مدى الاباد

الركب السائر

ركبنا اليوم سائر يتحدى	كل نهم اضاع نور الرشاد
فانظر الركب لا ترى غير حر	وطد العزم للفدا والذباد
يا عروس الرمال ما قهر البغي	الا على رمال البوادي



ذكرى اللقاء الخالد

للشاعر الاستاذ :
عبد الواحد اخريف

كان للحق موعد فى الوجود / حينما انشق رملنا عن نشيد

حين نادت صحراؤنا : يا مليكي / ضمني ضم والد لوليد

فاستجاب المحرر البطل الفا / لي نداها بعزمه المعهود

ودعا لافتكاكها بطريق / عبقري التخطيط والتسديد

بطريق تجمع الشعب فيه / فاتحا بالهدى وخفق البنود

ومشى فى « مسيرة الفتح » شعب / ليس تثنيه رهبة عن مزيد

صدح الصوت بالكتاب ونادى / بهتاف التكبير والتمجيد

تلك صحراؤنا ونحن بنوها / فلنصل عهدها بعهد الجدود

عبروا فاتحين سلما ثراها / فتلاشت اسطورة للحدود

وانحنوا خاشعين لله لما / فتح الله ارضها بالسجود

وارتموا كالعطاش من لهفة الشوق على رملها النقي المجيد

وارتوت اكبد من البعد حرى / تنهل الوصل كالمحب العميد

وتغنت بالفتح سمر الروابي / وازدهى السهل باللقاء السعيد

واستعاد العشاق صورته المثلى ، وكم زينت بلثم الخدود

واظلت صحراءنا الوحدة الكبرى فضمت طريفها للتليد

واطمأنت الى يد « الحسن الثا ... ني » وجاءت ببيعة كالورود
واوت نحو امها قارتنا ... صورة الحب مشرقا كالعقود
« مغرب » فيه اشرق اليوم عهد ... يكتسي شعبه ببرد جديد
سوف يبني على النجوم علاه ... رغم مكر العدا ، ولؤم الجحود
ستعيش الصحراء والوطن الا ... م اخاء ، وتحت حمر البنود
جاء فتحا كفتح مكة سلما ... وانتصارا من الطراز الفريد
وتردى الخصوم فى هوة اليا ... س ، وولى بالخزي كل حسود
او يعي العالمون ما قد وعينا ... آمنوا بالسلام لا بالحديد

* * *

وتعود الذكرى فيبتهج الشو ... ق طربا مثل الصباح الوليد
فترانا كأننا اليوم عدنا ... من لقاء يظل فخر الوجود
كلما عاد ذكرها انعشتنا ... نسمات من عطرها الممدود
قد بنينا بها الحياة وشدنا ... قمما اخرست نعيق العنيد
فليمت خصمنا مهينا فانا ... لن نرد الصحراء نحو الجمود
عرفت فى ركابنا كيف تحيا ... حرة فى ضياء نجم السعود
لسنا نخشا والحق يحمي حمانا ... قفزة العرج او زعيق القرود
فلنا فى السلام خلق رضي ... ولنا فى الحروب بأس الاسود

* * *

اصبح الرمل جنة وبنوه ... فى نعيم من الحياة جديد
جرت الارض أنهرا تحمل الخير ، وتحيي بمائها كل عود
واخضرار السهول يغري بعيش ... لم تشبه مرارة التنكيد
ربما كانت الحياة جحيما ... ثم طابت كطيبها فى الخلود
قد رفعنا معاهد العلم فيها ... فتوالت أفواجه للصعود
وبنينا مسالكا ربطتنا ... بوثاق التحرير والتوحيد
دائما نمنح الحياة جديدا ... رائدا فى نطاق فعل حميد
ان فخرنا فليس ذاك عجيبا ... وحديث العلا يقص نشيدي
ليس من عادة الكرام التباهي ... خلق صانهم عن التمجيد
واذا ما دعا الى الفخر داع ... ناب عن فخرهم لسان الوجود

وانا شاعر اترجم عنه ... لغة راق سحرها بالقصيد

كم دعونا لوحدة ونذرنا ... كل ما نال شعبنا من رصيد

فاذا عاقها الغرور فانا ... برآء ، واللوم فوق (العقيد)

* * *

نحن قوم نجدد المجد دوما ... كلما رام رقدة فى اللحود

نبعث الفخر زاهيا يتباهى ... ونعيش الحياة بهجة عيد

بيننا والعلا زواج قديم ... زينته الايام بالتجديد

امة « تنشىء الحياة » وتبني ... لغد مشرق رفيع عمود

ما عراها الفتور كيف وفيها ... همم تغتذي دماء الجدود

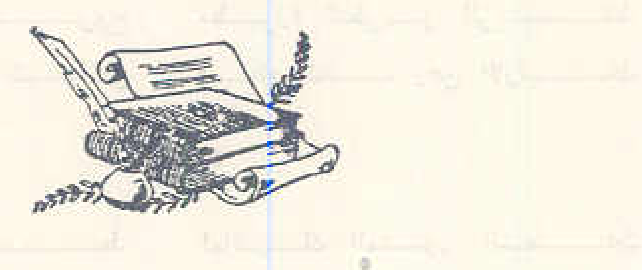
كيف يعرو الفتور من كان فيه ... من ينمي حياته بالمزيد ؟ !

« حسن » يغمر البلاد ضياء ... وعلوما بسعيه المحمود

كل يوم له بناء مشيد ... للمعالي الى بناء مشيد

عاش للمجد والبطولة ركنا ... وحديث العلا لدهر مديد

تطوان : عبد الواحد اخريف



تحية الى المغرب العربي

للشاعر الأستاذ فاضل المهدي
بغداد

اراني اليوم من فرط اغتباط ... تعاودني الشبيبة في الرباط
غذذنا السير من شوق اليها ... ومن امل برؤيتها مناط
وطفنا المغرب الاقصى تخوما ... منضرة ممهدة الصراط
رأينا عبر خضرتها بساطا ... من الجنات مد على بساط
فمن سهل نداماه كروم ... تساقيه كؤوس الانبساط
الى جبل كأن عليه مما ... ينث الغيث عقدا ذا انفراط
تعانقه تلال مزهرات ... هياما اذ تلاحقه الشواطي
وعن كثب تغازله مروج ... مطرزة كتطريز الرياط
فيا عجبا لجبار طليق ... دعاه الحب رهن الارتباط

* * *

بلاد المغربين انار سمط ... لماضيك المنور بالسماط
اقام هنا بأروقة فساح ... متوجة باعمدة سباط
وحل هناك في رحاب قصر ... وصومعة ، وطوق في بلاط
أحاط « مراكشا » بسور مجد ... وما شاق « المحيط » سوى المحاط
وفي « فاس » نفائس من كنوز ... معطرة بأنفاس الفياط
فيا لك مربعا قد طاب غرسا ... وزين بالقلائد والقراط

● شهريات الفكر والثقافة

المغــــرب :

● احيت سفارة الجمهورية الباكستانية الاسلامية بالرباط بتعاون وتنسيق مع وزارتي الثقافة والاعلام الذكرى المائوية لميلاد الشاعر والفيلسوف محمد اقبال .

وذلك بقاعة المحاضرات بوزارة الثقافة بحضور وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية الاستاذ السيد الحاج امحمد با حنيني والاستاذ محمد العربي الخطابي وزير الاعلام الذي القى محاضرة قيمة عن شخصية اقبال وفكره وتأثيره في النهضة الاسلامية .

كما القى الدكتور المهدي بن عبود محاضرة ممتازة عن المفكر الاسلامي محمد اقبال وصلته بالحركة الاسلامية المعاصرة .

● احصى الدكتور عبد الرحمن بدوي في عرضه لكتاب « الشيطان في الفلسفة الحديثة » لمؤلفه ارنست جلنر **Ernest Gellner** مجموعة الابحاث التي نشرها المؤلف المذكور عن المغرب باللغة الفرنسية والانجليزية وهي :

1 ـ البربر في المغرب في مجلة **Quarterly Review** عدد رقم 608 / ابريل 1956 ص : 218 ـ 223) .

2 ـ اهل الجبل في المغرب (جريدة التيمس 25 / 3 / 1957) .

3 ـ الاستقلال في الاطلس الاعلى الاوسط (جريدة الشرق الاوسط) صيف 1957 .

4 ـ النضال من اجل ماضي المغرب (جريدة الشرق الاوسط شتاء 1961 ص 79 ـ 90 .

5 ـ المغرب (ضمن كتاب **Abandbook of The Continent** ص 43 ـ 60 لندن 1967 .

6 ـ الولاية والتشرد الاخلاقي والنزعة العلمانية والنزعة القومية فى الشمال الافريقي (فى كتاب :
Archives de Sociologie des réligions
رقم 15 ص 71 ـ 86 .

7 ـ هيوم والاسلام فى شمالي افريقية (فى : Religion in Africa يوليو 1964 .

نشر العرض فى العدد الاخير من مجلة عالم الفكر الكويتية .

● مثل الاستاذ المهدي الدليرو المغرب فى اجتماع خبراء المخطوطات العربية والافريقية المنعقد اخيرا بنواكشوط .

وقد حضر هذا المؤتمر مجموعة من الخبراء والعلماء والمهتمين بالمخطوطات العربية الافريقية .

وانعقد المؤتمر بدعوة من معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم .

● صدر للاستاذ عبد الكريم غلاب كتاب جديد عن الدار العربية للكتاب بتونس بعنوان « الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات » .

● اصدر الدكتور عبد اللطيف السعداني كتيبا جديدا بعنوان « تيار خفي فى شعر ابن زيدون » . وذلك عن مطبعة محمد الخامس بفاس .

ويقع الكتيب فى 40 صفحة يتناول شعر ابن زيدون من زاوية تأثير العنصر الفارسي فى الادب الاندلسي .

● القى الاستاذ ريمون بيزوتو مدير المعهد الثقافي التابع لسفارة ايطاليا بالمغرب محاضرة بطنجة حول موضوع : «الدراسات العربية والشرقية فى ايطاليا»

● زار المغرب الاستاذ عبد الصاحب المختار من ادباء العراق الشقيق ، وهو صاحب النظرية الجديدة فى أوزان الشعر العربي التي أسماها « دائرة الوحدة»

وقد نظم الزائر العراقي ندوة صحافية بقاعة المحاضرات بوزارة الثقافة شرح فيها الخطوط العريضة لنظريته .

ومما يذكر ان « دعوة الحق » كانت قد اشارت الى نظرية الاستاذ عبد الصاحب مختار فى احد اعدادها الاخيرة وتلقت رسالة كريمة من الاديب العراقي ينوه فيها بالمجلة .

● زار المغرب مؤخرا كاتبان سوفياتيان هما : الشاعر أوليغ شيستنسكي والمستشرق ايفوريير ماكوف عضوا اتحاد الكتاب السوفيات .

وقد احيى الشاعر السوفياتي بالرباط امسية شعرية .

● صدرت قصة « اللعنة المقدسة » للكاتب عبد الغني حيدة .

● القى الدكتور حسن المنيعي محاضرة بثانوية مولاي يوسف بمكناس فى موضوع : « مدخل لدراسة المسرح العربي » .

ومعلوم ان الدكتور المنيعي قدم اطروحته للدكتوراه من السربون فى موضوع المسرح المغربي.

● تحت عنوان « العناصر المكونة للحركة الوطنية» القى الدكتور عبد الله العروي محاضرة بالدار البيضاء تحت اشراف جمعية أساتذة التاريخ والجغرافية .

● زار المغرب الاديب العراقي الاستاذ عبد الرحمن منيف . وقد القى عدة محاضرات بالمغرب وشارك فى ندوات أدبية تحت اشراف اتحاد كتاب المغرب .

● القى الدكتور الالماني كونراد ديجلير الاستاذ بمعهد ماكس بلانك للقانون الخاص الاجنبي والدولي بهمبورغ محاضرة بكلية العلوم القانونية بالرباط

في موضوع : تطبيق القانون الاسلامي بالمحاكم الالمانية .

● « الحياة الادبية في المغرب على عهد الدولة العلوية » ، رسالة الدكتوراه للدكتور محمد الاخضر صدرت في 500 صفحة عن دار الرشاد الحديثة بالبيضاء . وهي دراسة اكاديمية جادة تتناول فترة هامة من تاريخ المغرب تبدأ من 1075 هـ – 1311هـ (1664 م – 1894 م) . وهي مرحلة متشعبة وغنية بالاحداث الجسام التي عرفها المغرب تحت ظل العرش العلوي السعيد . وتميزت بالخصوص بتصاعد المد الصليبي الاستعماري في اتجاه البلاد العربية والاسلامية .

كتب مقدمة الكتاب الاستاذ محمد الفاسي .

ولنا عودة الى الكتاب في عدد قادم ان شاء الله. ونشير الى ان بعض فصول الكتاب نشرت في حلقات بمجلة دعوة الحق .

تونس :

● عن « دار سيريس الناج » بتونس صدر كتاب عن : « السكان والمجتمع في المغرب العربي » لباحث التونسي المنصر الدويسي .

● مجلة « الفكر » التونسية اصدرت عدد خاصا عن الادب الموريطاني شاركت فيه مجموعة من الاقلام الموريطانية المثقفة .

المملكة العربية السعودية :

● افتتح الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية المعهد العالي للدعوة الاسلامية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بمدينة الرياض . وقد التحق بالمعهد كدفعة أولى 311 طالبا من 20 دولة اسلامية .

● انشات جامعة الملك عبد العزيز مركزا للبحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة .

وفي مقدمة اهداف المركز الجديد :

— توجيه البحوث العلمية لمعالجة بعض القضايا الاسلامية القائمة والتي تحتاج الى حلول سواء اكانت هذه القضايا فقهية أو اقتصادية أو لغوية او حضارية .

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يقوم المركز باجراء اتصالات مع كبار الباحثين في العالم الاسلامي واساتذة كلية الشريعة لمتابعة بحوثهم في هذا المجال .

— احياء التراث الاسلامي وجميع ما أمكن من نوادر المخطوطات الاسلامية المبعثرة في كل ركن من اركان العالم اما عن طريق الشراء أو التصوير .

وقد انشا المركز ست لجان فنية لتنفيذ سياسته في مجال تخصصه وهي :

— لجنة البحث العلمي .

— لجنة احياء التراث الاسلامي .

— لجنة المجلة .

— لجنة الترجمة .

— لجنة الموسوعة الفقهية .

— لجنة الفهارس والمعاجم .

● نال الباحث السعودي الاستاذ محمد الفوزان درجة الدكتوراه في موضوع « الادب الحجازي بين التقليد والتجديد » . والرسالة تقع في 1500 صفحة مقسمة الى 5 أبواب رئيسية .

● نظمت جامعة الامام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية اسبوعا للفقه الاسلامي وذلك

بالتعاون مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة .

وقد القيت بالمناسبة محاضرات اسلامية متنوعة عالجت الموضوع المطروح من وجهة نظر معاصرة دون اخلال بالاصول الرئيسية للفقه الاسلامي .

وقد ركزت البحوث على ضرورة تطبيق الفقه الاسلامي فى المعاملات الخاصة والعامة باعتبارها المخرج الوحيد للازمات التي تعاني منها الشعوب الاسلامية .

حضر المؤتمر أزيد من 60 عالما من 19 دولة اسلامية .

العـــراق :

● شهدت بغداد خلال الاسابيع القليلة الماضية مهرجانا ادبيا كبيرا تخليدا لذكرى شاعر العربية الاكبر ابي الطيب المتنبي .

وقد وجهت الدعوة الى عدد كبير من الادباء والشعراء والباحثين واساتذة الجامعات من مختلف البلاد العربية .

● اصدرت مجلة « المورد » العراقية عددا خاصا عن ابي الطيب المتنبي يقع فى 400 صفحة من الحجم الكبير ضم مجموعة متنوعة من الابحاث والدراسات لعشرات الكتاب والباحثين فى شعر المتنبي .

وهو جهد ثقافي يستحق التقدير . وقد احسنت المجلة صنعا بنشر فهارس المخطوطات والبيلوغرافيات التي تضم كل ما كتب عن المتنبي فى العالم العربي سواء فى ذلك المؤلفات والمقالات فى عدد كبير جدا من المجلات والدوريات من بينها مجلة « دعوة الحق »

● آخر دواوين الشاعرة العراقية الكبيرة الاستاذة نازك الملائكة « للصلاة والثورة » تنحو فيه منحى اسلاميا صرفا وتصدر عن تصرف اسلامي خالص مما يؤكد عودة الشاعرة الرائدة الى الجذور الاساسية للفكر العربي الاسلامي .

ومما يلاحظ أن الشاعرة نازك الملائكة تواجه الآن فى الساحة الادبية العربية بموجة من النقد العنيف بسبب اتجاهها الاسلامي الجديد . وهكذا يمارس الارهاب الفكري فى دنيا الكلمة بشكل مفضوح .

وقد كانت نازك ذات صوت عال فى الاربعينات والخمسينات ومنتصف الستينات . وقد اثرت المكتبة العربية بروائعها الخالدة .

وللشاعرة كتاب بعنوان « التجزيئية فى المجتمع العربي » ذو طابع أصيل متميز .

الكويـــت :



● العدد الاول من المجلد الثامن من مجلة « عالم الفكر » الكويتية خصص لدراسات فى التراث . تضمن الموضوعات التالية :

تحقيق التراث ، من التراث العربي الاسباني ، العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها ، علوم العرب القديمة .

أبــو ظبـــي :

● طالب مؤتمر وزراء التربية العرب المنعقد اخيرا بأبي ظبي بتنقية الكتب الدراسية فى الدول العربية من الاخطاء ، على ان يتولى خبراء متخصصون مراجعتها وتوحيد المفاهيم العربية فى الكتب التي تدرس الاجيال المختلفة ، ووضع خطة عاجلة تتيح للاجيال القادمة ان تتحدث بلغة عربية سليمة ، وان يتم توحيد المحتوى الادبي والتاريخي للكتب

الدراسية ، وان تضع كل دولة كتبها فى اطار هـذا المحتـوى .

وطالب المؤتمر بأن يستبدل بالمرحلة الابتدائية، مرحلة اساسية لتمكين الطفل من المهارات والخبرات الى جانب القيم الدينية والسلوكية .. وتشجيع التعليم المهني ، وتمكين الاطفال الذين انهوا المرحلة الابتدائية من فرص التدريب فى المؤسسات الزراعية والصناعيـة .

كما طالب المؤتمر بأن تعمل الدول العربية على تنسيق خططها التربوية ذات المدى الطويل فى ضوء مسح شامل لكفاياتها البشرية واحتياجاتهـا مـن المهارات اللازمة للتحرك على طريق التنمية الشاملة لتكون على مستوى العصر ، وان تقوم الدول العربية بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة ومع اليونسكو بانشاء مكاتب لتحقيق تطلعات المتعلمين ومتطلباتهـم .

وطالب المؤتمر كذلك بالتعمق فى اسس الاصالة العربية الاسلامية لتسلم من التلوث العقائدي كمـا طالب بمتابعة التكنولوجيا وانشاء مركـز اقليمـي لتدريب الاساتذة والتربويين .

رسالة القاهرة

● القى فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر محاضرة فى نقابة الصحفيين بالقاهرة كان عنوانها : « الاسلام دين التوحيد » وقد القى كلمة النقابة قبـل بـدء المحاضرة يوسف السباعـي نقيـب الصحفييـن ورئيس تحرير الاهرام .

● صدر عن دار الانصار بالقاهرة كتابان للداعية الاسلامي ابي الاعلـى المودودي ، الاول بعنـوان : « مبادىء الاسلام » والثاني « نحـن وبنغلاديش » والاخير يعد من الكتب الهامة على صغره ، ويوضـح حقائق جيدة عن الوضع فى الباكستان وبنغلاديش والهنـد .

● الغت صحيفة « الاهرام » القاهرية التصريح الممنوح لها باصدار مجلة « الطليعة » . وكانت هـذه المجلة تعبر عن افكار وآراء الماركسيين المصريين بزعامة لطفي الخولي رئيس تحريرها .

وقد اصدر الاهرام مجلة اخرى تحمل عنوان : « الشباب والعلوم » ويراس تحريرها صلاح جـلال المحرر العلمي للاهرام .

● بعد عودته من السعودية قال الشيـخ محمد الغزالي الداعية الاسلامي المعروف ، ان اسبـاب وجود الفراغ الاسلامي لـدى الشبـاب يتمثـل فى ثلاثة اسباب هي :

1 ــ تقصير الدولة بكل اجهزتها فى رعاية الشباب اسلاميـا .

2 ــ انتشار الفكر المادي وسماسـرة الفـن الرخيص واصحاب الاقلام الهابطة .

3 ــ تقصير علماء الدين والجمعيات الدينية فى فهم الواجب الاسلامي وعدم التمييز بيـن الاركان والنوافل . جاء ذلك فى حديثـه لمجلة « الاعتصام » القاهرية .

● كتابان جديدان صدرا فى القاهـرة عن « دار الاعتصام » للاستاذ انور الجندي هما : « الشعوبية فى الادب العربي الحديث » و « مقدمات المناهج » وكلاهما يعالج قضايا معاصرة ترتبـط بالمفاهيـم والمعالجات المغلوطة لتاريخنا وفكرنا الاسلامي .

● مـات مؤخـرا الاديـب المحامـي عباس الاسواني بعد صراع طويل مع المرض . وقد اشتهر الاسواني الذي كان مستشارا قانونيا لمؤسسة « روز اليوسف » بمسلسلاته الاذاعيـة وكتاباتـه الساخرة ونقداته اللاذعة .

● « حتمية الحل الاسلامي » كتاب جديد للدكتور ابو المعاطي أبو الفتوح ، وهو يضع تأملات فى النظام السياسي من خلال وجهة نظر اسلامية .

● « الايام » مجلة ادبية جديـدة تعنـي بأدب الشباب ، صدر العدد الاول منهـا . يشرف على المجلة الدكتور مرسي سعد الديـن رئيس هيئـة الاستعلامات الصحافية المصرية .

● ما زال اقتراح النائب سعد الدين الشريف بمجلس الشعب المصري ، والخاص بعودة المرأة العاملة الى البيت نظير تعويض تدفعه الدولة ، ما زال هذا الاقتراح يلقى تأييداً عريضاً على كافة المستويات وفى داخل قطاعات المرأة العاملة نفسها . وبالطبع فهناك معارضة من بعض الجهات التي تكن كراهية عميقة للاسلام .

● عن دار « المختار الاسلامي » صدر كتاب « الاسلام الممتد » من تأليف محمد الحسني ، ويتناول ما يتعرض له الاسلام اليوم من مؤامرات ومحن .

● « نسيبة الانصارية » قصة للاطفال صدرت في سلسلة القصص الديني عن دار الفكر العربي .

تركيا :

● صرح نائب رئيس الوزراء التركي السيد نجم الدين اربكان فى مقابلة صحافية أجريت معه ، ان هناك خطوة كبيرة ومهمة جدا ستقبل عليها تركيا قريبا ان شاء الله وهي تعديل مادة الفلسفة وعلم النفس فى المدارس التركية وفق العقيدة الاسلامية.

وقال المسؤول التركي ان هناك ثلاثة مفكرين وراء الغارة الفكرية على المسلمين وخاصة الطلبة والشباب ... وهم : « **دارون** » و « **فرويد** » و « ماركس » .

وقال : انهم يعلمون أولادنا نظرية « دارون » . فالنظرية وضعت فى المدارس لترفع من عقول الطلبة فكرة الايمان . و « فرويد » اليهودي ونظرياته فى علم النفس حيث بدل الافكار الروحية وأقام الحس الحيواني فى المجتمع .. ونظرية « كارل ماركس » وهو من الشيوعيين الذي عطل وظيفة الملكية فى المجتمع .. وجميع روابط الاسرة ... وهؤلاء اليهود حاخاميون وهم لا يؤمنون بنظرياتهم ووضعت لتدريس أبناء العالم الاسلامي .

فرنسا :

● موسوعة فى 18 جزءاً عن « تاريخ فرنسا المعاصر » صدرت فى باريس من تأليف مجموعة من الباحثين الفرنسيين المتخصصين فى التاريخ والاجتماع والعلوم السياسية .

● سلمت جامعة « السوربون » الدكتوراه الفخرية للسيد « امادو مختار مبو » المدير العام للمنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) .

المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين بالقاهرة

● استمر المؤتمر الثامن للعلماء المسلمين بالقاهرة شهرا كاملا تحت اشراف مجمع البحوث الاسلامية التابع للازهـــر .

وطالب المؤتمر فى جلسته الختامية برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر بأن يقوم الازهر ومجمع البحوث الاسلامية بوضع دستور اسلامي ليكون تحت تصرف أي دولة تريد ان تأخذ بالشريعة الاسلامية منهاجا لحياتها ، يقره مؤتمـــر طارىء لعلماء المسلمين . ووجه نـــداء الى الدول الاسلامية بأن تمد يد العون للمجتمعات الاسلامية فى كفاحهـــا .

وطالب المؤتمر فى قراراته بالا يقتصـــر فى التربية الاسلامية على الدراسة النظرية ، وانه ينبغي العناية بالجانب العملي وان تقوم المناهج التربويـــة الدينية على مواجهة مشاكل البيئـــة المعاصـــرة ، وعقد الاتفاقات والمعاهدات الثقافيـــة بين الـــدول الاسلامية لدعم التربية الاسلامية ، وانشاء جهاز من المتخصصين لمتابعة ما كتبه المستشرقـــون عـــن الاسلام والرد عليه بمختلف اللغات ، وسد النقص فى مجال التأليف فى الدراسات الاجتماعية والنفسية على أسس اسلامية ، وان يكون الاستشهاد بالقرآن فى بعض الآراء العلمية موضوعيا وبعيدا عن التعسف فى تفسيرها ، وحماية الاسلام من اعدائه فى البلاد المهددة بخطر الغزو الفكري والمادي .

واعرب المؤتمر عن شعوره بالخطـــر الـــذي يتهدد المجتمعات الاسلامية نتيجة للنشاط التبشيري والماركســـي .

نداء من رابطة العالم الاسلامي لدعم مسلمي الفيلبين

● اصدر المجلس التأسيسي لرابطـــة العالـــم الاسلامي نداء عاما لجميع المسلميـــن لمسانـــدة اخوانهم فى الفيلبين .

وفيما يلي نص النداء :

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

ان المسلمين فى الفيلبين يتعرضون لحـــرب ابادة وقتل وظلم وتشريد على يد السفاح الصليبـــي ماركوس الذي يدفعه حقده الصليبي للقضـــاء على سكان الفيلبين الاصليين وما ذلك الا لانهم مسلمون

وان الواجب على المسلمين فى كل مكـــان ان يهبوا لنصرة اخوانهم فى العقيدة بكل غال ، واذا لم يستطيعوا اغاثة اخوانهم بالجهاد فلا أقـــل مـــن أن ينفقوا مما جعلهم الله مستخلفين فيه امتثالا لقول الله تبارك وتعالى : (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا ممـــا جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير) ، وقوله تعالى : (مثل الذين ينفقـــون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) .

وان رابطة العالم الاسلامي اذ تقدم لكم الاخوة اعضاء جبهة تحرير مورو الاسلامية الممثلة للمجاهدين المسلمين هناك فانما تريد أن تؤكد انهم موضع الثقة التامة ، وقد ساهمت بمليون ريال سعودي راغبـــة بذلك فى أن تستثير ركائز الخير فى نفوسكم المؤمنة الابية القادرة دائما على البذل والعطاء راجية منكـــم أن تسهموا فى دعم اخوانكم المجاهدين ومساعدتهم على جهاد اعدائهم . والله يضاعف لكم الاجر ويحقق للمسلمين النصر على اعدائهم انه سميع مجيب .

رئيس المجلس التأسيسي
لرابطة العالم الاسلامـــي
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

المؤتمر الاول لعلماء الزراعة المسلمين

● شهدت رحاب كلية الزراعة بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة الاخيرة المؤتمر الاول لعلماء الزراعة المسلمين . شارك فيه 140 عالما من علماء الزراعة المسلمين من مختلف اقطار العالم .

وقد صدرت عن المؤتمر عدة توصيات هامة جاء فيها :

— انشاء امانة عامة دائمة يطلق عليها «الامانة العامة للتنمية الزراعية فى العالم الاسلامي».

— التنسيق بين السياسات الزراعية للدول الاسلامية بما يحقق توفير الغذاء الكافي والتكامل الزراعي .

— دعم امكانيات البحث العلمي الزراعي فى دول العالم الاسلامي .

— تشجيع الدراسات المتعلقة بامكان توفير الماء بكل الوسائل المتاحة وتجميع واستكمال الدراسات المتعلقة بموارد المياه السطحية والجوفية فى العالم الاسلامي .

— ضرورة التعاون بين البلاد الاسلامية فى دراسة المشاكل المتعلقة بالملوحة والقلوية والاهتمام بدراسة مشكلات انتاج المحاصيل والمراعي فى المناطق الجافة ونصف الجافة فى العالم الاسلامي .

— تصنيف العالم الاسلامي الى مناطق مناخية ونباتية والتنسيق بين السياسات الانتاجية والتسويقية للزروع والتوسع فى استخدام وسائل المكافحة غير الكيميائية وغير ذلك من الجهود العلمية المتطورة .

— دعوة معاهد التعليم الزراعية فى الدول الاسلامية الى الاهتمام بمشكلات البيئة المحلية التي تخدمها .

مؤتمر اسلامي ثقافي بجزيرة موريشيوس

● عقد مؤتمر اسلامي ثقافي فى بورت لويس بموريشيوس حضره ألف مندوب يمثلون مائة منظمة اجتماعية او ثقافية او دينية فى الجزيرة . وبعد استعراض المشاكل الاجتماعية والثقافية التي يواجهها المسلمون فى الجزيرة اتخذ المجتمعون القرارين التاليين :

1) تشكل اللغة العربية والثقافة الاسلامية جزءا من منهج المدارس الابتدائية وما فوقها .

2) تطبيق قانون الاحوال الشخصية على المسلمين لتنفق حياتهم مع الشريعة الاسلامية .

منح سودانية لطلاب مسلمين امريكيين

● قدمت جامعة أم درمان الاسلامية منحا دراسية لعدد من الطلاب المسلمين الامريكيين للدراسة بالجامعة عن طريق رابطة العالم الاسلامي .

وذلك ضمن برنامج الجامعة الاسلامية فى امريكا لزيادة المعرفة بالاسلام والعمل على تبصير المسلمين فى الولايات المتحدة بحقيقة دينهم .

مؤتمر اسلامي عام بالهند

● انعقد بدلهي مؤتمر اسلامي لعموم الهند وذلك خلال يومي 3 و 4 من شهر اكتوبر الماضي .

وقد اتخذ المؤتمر قرارا حول دور المسلمين فى بناء بلادها العزيزة مساهمة ملموسة منطلقة من ان

« لا زالت الامة المسلمة الهندية تساهم فى بناء بلادها العزيزة مساهمة ملموسة منطلقة من ان الاسلام دين يستهدف اصلاحا عاما وبناء شاملا .

وان المسلمين هم دعاة هذا الدين وحاملو لوائه . والتاريخ يشهد ان المسلمين لهم دور بارز لعبوه قبل الاستقلال فى بناء البلاد واصلاح نواح مختلفة من حياة سكانها وهم يتمنون بعد الاستقلال ايضا أن يؤدوا نصيبهم ويتعاونوا مع المواطنين فى عمل اصلاح الافراد وتشكيل مجتمع نظيف نزيه ولاجل ذلك لا تزال الجمعيات الاسلامية المختلفة من الجمعيات الدينية والسياسية وفق سياستها وبرامجها فى مجال نشاطاتها تقوم بخدمة البلاد ولفت أنظار المسلمين اليها » .

الفهرس العام
لموضوعات السنة 18
من
دعوة الحق

الفهرس العام لموضوعات السنة 18

أبحاث ودراسات

مكتبة "دعوة الحق"

ديوان المجلة

قصص